بسم الله الرحمن الرحيم

بفضل من الله و توفيقه

قمنا بجمع كتاب اللؤلؤ الرطب من جديد بصيغة pdf

حتى لا يفقد هذا الكنز الذي الفه الشيخ سعيد الحارثي

نرجو الدعاء لي و لمن قام بتصوير الكتاب

ساترك اسمي

اعرفوني بالامام

....

المقدمـــــة

الحمد لله الذي مكّن الحكام في الأرض ساسة للأنام ، وقرن طاعتهم بطاعته وطاعة رسوله ، في عدل الأحكام ، ورفع المؤمنين والعلماء درجات وجعلهم قادة للحكام ، إذ كل شيء فاسدٌ مالم يأخذ منه العلم بزمام .

والعلم وحملتُه حياة الأرض ، وري الأوام(١) .

ولولا العلم لما فضل آدم أبو البشر على الملائكة عليهم السلام .

ولولا العلماء الذين يستنبطون بالعلم المشكل ،لتساوى الناس والأنعام ، فالحمد لله على ذلك حمداً كثيراً يملأ الفضاء والوهاد والآكام ، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة للعالمين على الدوام ، محمد النبي الأمي وآله وأصحابه أهل الفضل والجود والإكرام .

أمـا بعـد ..

فقد رأيت مستعينا بالله أن أبرز ما عندي من محفوظات عن سيرة أئمتنا المتأخرين ، ومأثور أحاديثهم الغُرر ، مما سمعته من الثقات الأمناء ، مما(٢) لم يكن مأثورا في كتاب ، فخشيت إذا أنا مت أن يذهب هذا الأثر النفيس ، لأن كلام العلماء وسيرتهم ترياق لسم الجهل .

فأسأل الله التوفيق .

وغالب ما رويت عن شيخنا : **محمد بن سالم الرقيشي** ، إذ كنت ملازما له في السجن مدة غير قصيرة .

وعن شيخنا العم : **عبدالله بن سليمان الحارثي** : وهو الحافظ الثبت الذي قال في حقه الإمام : **نور الدين** : لو بقي ناصر بن سالم المعمري وعبدالله بن سليمان الحارثي يتعلمان ، لأصبحا مُفْتِيَيْ عمان .

كما رويت أيضا عن سيدي والدي **حمد بن سليمان الحارثي** .

وكلهم يروي عمن يثق به في الرواية : **كالإمام الخليلي** .

والشيخ عيسى بن صالح الحارثي ،

عن أبيه الشيخ صالح ،

أو عن الوالد الرضى سليمان بن حميد الحارثي .

رحمة الله عليهم أجمعين .

مرويات الشيخ الرقيشي

قال : كان الشيخ سعيد بن أحمد الكندي : يسكن : نزوى ، فقتل له ولد ، ولم يعرف قاتله ، فهم جماعته بأخذ الثأر من قبيلة يتهمونها ، فمنعهم الشيخ قائلا : « إنه لم يتحقق القتل من أحد ، وما كان لنا أن نقتل برئياً » .

قالوا : لايمكن أن نغضى على العار ، فلا نأخذ بالثأر .

قال : « لكن إذا عرفتم القاتل » .

قالوا : لكن هذه عادة القبائل .

قال : « لا أقبل ، فإن كان لابد لكم من ذلك بغير رضى مني ، فدعوني أخرج من هذا البلد ، فانتقل إلى العليا في وادي بني خروص . و يقال إن كتبه كانت حمل أربعمائة حمار » .

وعنه قال : كان الشيخ : أبو نبهان : **جاعد بن خميس خروصي** ، مولعا بالصيد ، وتنقية البنادق ، ويحمل الأحسن منها .

فوصف له تفق عند الشيخ : **سعيد بن أحمد ..** فذهب إليه يطلب ذلك التفق ، فتفرس الشيخ فيه أنه من أهل العلم ، لا من أهل القنص ، فوعده أن يأتيه في صبح غد ، فمن شدة حرص الشيخ **جاعد** على التفق ، صلى الصبح عنده ، وقد جاء من العوابي .

فالشيخ بدل أن يعطيه التفق أعطاه كتابا ، وقال له : هذا تفنك ، أنت لم تخلق لمتابعة الصيد ، بل خلقت لحمل رسالة العلم ومنفعة الأمة ، فمن ذلك اليوم . انكب الشيخ أبو نبهان على التعليم ، وترك حرفته الأولى ، وكأنما كشف عن قلبه ، فصار من أشهر العمانيين علما ومكانة بين أهل العلم ، وناهيك أن من تلامذته :

« الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي » .

وعنه قال :

« إن الشيخ **سعيد بن أحمد** هذا ، ليس له شغل في الدنيا ، إلا العلم والتعليم » :

« جاءه يوما في وقت القائلة : مَنْ دق عليه الباب ، فخرج إليه ، فوجد رجلا يبحث عن مسألة فقهية ، وقال له : أنا حائر في تفسير شيء من القرآن فجئتك مسترشدا :

قرأت في القرآن آية تقول :

« وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون » .

سورة الحج الآية ٤٧

وآية تقول :

« تعرج الملٰئكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » .

سورة المعارج الاية ٤

فهذا فيما يظهر تناقض بين الآيات ؟ ..

قــــال : فقبض الشيخ قبضة من تراب رمى بها وجه السائل .

وقــــال : يا عدو الله . انظر غيري .

قــــال : فتلاشى السائل من بين يديه ولم يره أحد .

قــــال : إنه إبليس ، أراد أن يلبس عليّ ، ولكن خاب سعيه ، فأخزاه الله .

وقال الشيخ الرقيشي عن نفسه : « عشت خمسة وثلاثين سنة وأنا أحكم من قبل الإمامين :

الخروصي والخليلي : آمر وأنهى ، وأقيد وأحبس : بنفوذ الشرع الشريف ، وهأنا ذا الآن مقيد محبوس ، عسى أن يكون تكفيرا لما أخطأت فيه ، وقد حاسبت نفسي طوال هذه المدة . فما تحرجت من شيء فعلته إلا واحدة ، ومع ذلك فهي حق للشرع أخذته من الجاني ، وقصتها كما يلي :

« **لما كنت واليا على عبري** ، قبضت على رجل كلباني قتل أمه ، فوضعناه في خشبة مقيدا عليها ، فبقى مدة طويلة حتى صار الدود يدخل ويخرج تحته ، لما أكلت الأرض من مقعدته وظهره مع الأوساخ التي تخرج منه .

قــال : فتحرجت من طول عقابه . وكان على طريقي حين أدخل الحصن . فواطأت واحدا يدخل معي حين

أدخل ، و يسألني أمام السجين لم سجن هذا ؟

قلت : هذا قتل أمه ، وهو وليها ، والمسئول عنها ، ولو اعترف لأ راح نفسه من هذا العذاب ، ومن سيناقشه في أمه ؟ . لكن أردنا أن نعرف القاتل فقط .

وكان هو يسمع الكلام ، فما كدت أن أصل مجلسى ، حتى أرسل إلى أنه معترف بالقتل ، فخرجت إليه وسألته عن اعترافه ، وهو ما كنت أطلبه ، قال :

إن أمه كان عندها عجلة ، فطلبتها منها لأ بيعها ، قالت ، وما يغنى ثمن هذه العجلة ؟ . فما رضيت ، فسكت عنها حتى نسيت .

فجئتها يوما ، فقلت لها : أتريدين حشيشا للعجلة ؟ .

قالت : نعـــم .

قلت : خذى معك حبلا واتبعيني ، فأدخلتها في شاغ بين الجبال ، حيث لا صائح ولا موحي ، فربطتها بالحبل ، وجمعت رجليها الى عنقها ، وربطت يديها من خلفها . وهي تقول :

لاى شيء يا حبيبي تفعل بى هكذا ؟ وماذنبي ؟

وأنا لم أصغ إليها ولم أرق لها ، ورجعت حالا الى البيت ، و بعت العجلة ، أظنه قال : بنصف قرش » .

وفي وقت العصر صحت على أهل البلد : إن أمى لم ترجع .

فخرج أهل البلد يبحثون عنها حسب العادة فيمن يغيب ، و بنفسي قدتهم الى الشاغي الذي هي فيه ، فوّجدناها قد تيبستْ في الحبل ، فدفنت هكذا ، لأنها لم تتراجع رجلاها المجموعتان إلى عنقها ، وعلى كل حال فهي أمي وأنا أولى بها .

قال الشيخ : فأمرت به فحُلّ من وثاقه ، وأمرت أن يقتل .

فقال جماعته : نقتله بأنفسنا خوف أن يعترض احد على العسكر ، فوافقتهم ، وأرسلت معهم من أصحابي مَنْ شهد قتله .

وقال ايضا : لما كنت في عبري واليا ، وقد وطدناها بعد ما غلبت عليها الفتن ، واستعبد فيها الأحرار ، وانتهبت فيها الأموال ، وصارت جحيما لا تستقر ، و بفضل الله ، ثم بفضل **سيدنا إمام المسلمين** : سكنت ، واطمأن أهلها(١) وكثير من المشاكل قضينا عليها .

ومن جملتها : مشكلة أتعبتنا حتى غلب فيها الحق على الباطل .

وهي : أن دِرْعيًا بغى وهرب عن الحق ، فحكم الشرع بقتله ، لكنه لم يقدر عليه فتركنا له عيونا إذا هبط سوق عبري .

وذات يوم جاءنا الخبر أنه موجود في السوق .

وإذ بنا نفاجأ أن في السوق مائتي دِرْعي ، ولابد للحمية أن تثور ، فتعظم الفتنة ، فاستعملنا الحكمة في ذلك :

« بالتِّبر يُكسر ناب الضيغم الضاري»

فأرسلت إلى كبيرهم ، فأعطيته مائتي قرش ، وقلت له : أخرج جماعتك من السوق ماعدا فلانا .

فلما خرجوا هجمنا على الباغي فاعتصم بدكان رجمه على نفسه من داخل ، وكمن وراءه لمن يهم به .

قال الشيخ : فأمرت بحطب ألقى على الباب ، وصُبّ عليه حل التراب وأشعلنا فيه النار ، فاحترق الباب ومافي الدكان

وكان في الدكان ذخيرة كثيرة ، فحربت(؟) الناس ، فخرج هو رامياً بنفسه ، وتفقه ينقع فيمن يراه ، لكن ما كاد يتجاوز باب الدكان حتى نقعت فيه تفاق العسكر فمات .

وهدأت الأمور بعد هذه القضية ، وأحدثت هيبة للدولة ، كسرت شوكة البغاة فيما بعد ذلك .

قال : ومن غريب الأشياء أنه بعد أن احترق الدكان جاءني رجل تاجر سعودي الجنسية يقول : إنه ترك في هذا الدكان ثلاثين ألف روبية ـ وكانت الروبية هي العملة المتداولة في الخليج ـ .

فقلت : إن شاء الله تجدونها مكانها ، فالتمسوها فوجدوها في وعائها كما هي ، ولم يبق في الدكان شيء لم يحترق سواها ، وغرم الامام رحمه الله الدكان . والمال الذي فيه من بيت مال المسلمين ، لأن صاحبه لم يرض بتحصّن الباغي فيه .

وكان للشيخ سياسات في توطيد الظاهرة :

منها : بذله المال لرؤوس البغاة .

ومنها : تزوجه بالفتاة العامرية التي هي من أكابر قومها ، وممن يخيفون الظاهرة و يؤمنونها ، وكانت له فيهم رغبة ورهبة استطاع أن يحكمها بسياسته ، وكان من ورائه إمام المسلمين الرضي يشد أزره ، و يقوي ظهره .

وكان حرب السليف(١) وتدمير حارة المناذرة من الأسباب التي مكنته في الظاهرة .

وكان المناذرة تابعين لبني هناة ، و يعتبرون في عرف العمانيين هناو ية ، ولما كان في نخل واليا عليها ، حارب بني حراص وهم غافرية حتى أنه قال له بعض الناس :

لا نعرف هل أنت غافري أم هناوي لأنك حاربت الهناو ية وحاربت الغافرية ؟

قال : أنا لست من الفريقين . بل أنا خادم الإمام .....

---

(١) تعليق على ذكر حرب السليف :

سبب حرب السليف : بغى أهلها ، وتعديهم ومخالفتهم لأحكام المسلمين فقام عليهم الشيخ الرقيشي لما كان واليا عليها ، فهدم حارتهم ، وسجن أكثرهم و بذلك دانوا للمسلمين ، ورضخوا للأحكام الشرعية ، وصار بسبب ذلك نزاع كبير بين الشيخ الرقيشي والشيخ زاهر بن غصن الهنائي الذي ينتمي إليه أهل السليف ، وكادت تقع بينهم حروب لولا حصافة الإمام الخليلي . واحضارهم جيما في نزوى ، واحتدم الخصام بينهما في حضرة الإمام ، حتى ثار الهز بران في وجه بعضهم البعض بالحديد ، فحكم الإمام بثبوت مافعله واليه ، وغرم بعض الاشياء من بيت المال ، وأقتنع الشيخ الهنائي فسكت ، لأنه الألمعي المحنك الذي لايدخل في أمر حتى يعرف المخرج منه ..

وفي هذه الآونة بغى بنوقتب ، فآذو المسلمين فأرسل الإمام بعض عسكره من بني رواحة ، ليقبضوا على رؤسائهم أو يقتلوهم ، فنزلوا على الشيخ محمد بن سيف المنذري في السليف ، فأخبروه عن قصدهم ، فانضم إليهم وقام معهم ، ودخلوا على هؤلاء الرؤساء في مجلس حضروا فيه ، فارتاب اللصوص منهم ، فخرج واحد منهم ورمى بندقيته ، ودخل فقعد في وجه محمد بن سيف .

ولما تساءلوا، وما كادوا أن ينتهوا أطلق القتبي على محمد بن سيف الرصاص ، فقام اليه بخنجر وضربه في لبته ، فماتا جيما ، ورمى بعض العسكر بعض اللصوص فقتله فمات منهم ٣ ، وهرب الباقون .

وقد اطلعت على كتاب من الإمام ـ رحمه الله ـ للآباء يذكر فيه قتل : محمد بن سيف ، ويحكي لهم القصة في كتابه ، ومن جملة الكتاب قوله :

« لعله بلغكم موت الشيخ محمد بن سيف المنذري ، ولقد عاش حميدا ومات شهيدا ، ليس الكريم على القنا بمحرم » .

ومحمد بن سيف هذا هو الذي قتل الطاغية سلطان بن راشد اليعقوبي : لما تجبر على الظاهرة ونعب أهلها منه وآذاهم بالتنكيل والتغريم .

وقد سمعت بعض أهلها يحكى عنه ، يقول : من طغيان سلطان بن راشد وتجبره على أهل عبرى وما حولها . فرض على الناس إذا نزل به ضيف أن يرسل إلى من يختار منهم بأن يعطيه مبلغا يكرم به ضيفه ، ولا يرضى إلا أن يكون المبلغ بيسا .

ومن أموره أنه اذا ركب يركب خلفه كل من سمع عن ركوبه ، فإذا تخلف أحد عاقبه العقوبة الشديدة .

يقول الراوي : وفي ذات يوم كان عند والدى ابن صغير محتضر ، يجود بنفسه للموت . وكان والدي على رأسه ، فسمع العصى على آباط الركاب . فسأل ، فقيل له : هذا الشيخ ، خارج فلم يدر الوالد ما يفعل : يتأخر لولده و يكون عذره مقبولا ، أم يركب في جملة من ركب ولم يحضر موت ولده ؟ .

فآثر الثانية على الأولى : رأفة بنفسه ، واتقاء لما له ، والولد سيموت بأجله » .أ . هـ .

ــ وهذا نموذج من سيرته .

وكان له زوجة في السليف يمضي إليها في بعض الليالي وكان ذاهية لا يتجاسر عليه أحد .

فكمن له الشيخ محمد بن سيف قبيل الفجر عند الفلج فلما خرج ليغتسل ، أطلق عليه الرصاص في الفلج فأرداه قتيلا .

وأراح الناس من شره .

فهذه واحدة من أفعاله الجميلة .

والثانية قتله للقتبي .

ولذلك أثنى عليه الإمام ، وهو أهل للثناء .

انتهى التعليق .

على حرب السليف ...

وحدثني ــ رحمه الله ــ قال : لما كنت واليا في بلدة « **نخل** » ، وكـان في « **نخل** » آنذاك : **خلفان بن ثنيان الحراصي** : شيخ البلد : جبارا عنيدا ، استولى على أوقاف البلاد ، وأكل أموالها خضما وقضما ،(١) ولم يترك أحدا عليه سيما الصلاح إلا دس عليه من قتله ، و بلغت حياته في الفساد مالم يبلغه ملك من الملوك ، ولم نقدر أن ننفذ شيئا من أوامر الشرع في البلد .

وكان السبب في ضراوته هذه : أن أخاه **أحمد بن ثنيان** : تزوج امرأة سليمية ، وكان لها ابن عم خفيف العقل : فعيره بعض الناس أن ابنة عمه تزوجها أجنبي ، ولم يترك له رأى ، فتحين الفرصة فأطلق عليه النار فقتله ، فقام أخوه **خلفان** هذا فصنع كما صنع **المهلهل** لما قتل **كليب** فقتل من خيار **نخل** (٦٥) رجلا وامرأة ، وكاد أن يفنيهم ، وسكن **الرميس** من الباطنة ، وجلاوزته اللصوص القتلة ينطلقون كل ليلة فيقتلون ، فطلبوه مرة أخرى ــ تفاديا لشره ــ أن يكون مسئولا في **نخل** ، و يعطى أوقاف البلاد : طعمة : فجاء ، فتوقف عن القتل ، لكنه ملك البلاد ، ولم تكفه الأوقاف ، وحال بين الوالي و بين إنفاذ الشرع ، ومنع الزكاة وطغى وتكبر . فاستغثنا بالإمام الخليلي عدة مرات فأمرنا الإمام بقتله على أى حال وأرسل إلينا خمسة من العسكر على رأسهم .. **سيف بن حمود الرواحي** من **أهالي وادي مَحرم** .

قال : فلما وصلوا انزعج خلفان وأعوانه ، وظنوا سوءا ، فأخذوا بالحزم .

---

(١) كأنه ابتلع بجميع فمه وقطع .

يقول الشيخ : قلت لسيف : لانستطيع أن نقتله غيلة ، وقتله لايتم إلا جهارا في مجلسه .

فكانت سياسة قتله كما يلي :

اتفقت مع **سيف** بأن يخرجوا عصرا من البلد يوهمون الناس أنهم راجعون الى **نزوى** ، ثم يرجعون في الليل بعد أن تهدأ العيون فيدخلون الحصن . وفي الصباح نرسل إلى **خلفان بن تنيان** أنا سنصل عنده للتسليم عليه ، فواحد منا يصافحه ، والآخر يطلق عليه الرصاص ، و يفعل الله بعد ذلك مايشاء . ولم نخبر أصحابنا بذلك ، بل هذا بيني و بين **سيف** فقط .

قال الشيخ : أردت أن يصافحه **سيف** وأنقع أنا فيه ولكن **سيف** قال :

إذا تقدمتك أنكَرنا .

ولكن تقدم أنت فصافحه وأنا أطلق عليه .

فدخلنا فوجدناه في مجلس يضم قدر مائة من جماعته كلهم مسلحون « ولكن الباطل زهوق » .

فمددت يدي فصافحته ، وكانت عينه في تفق **سيف بن حمود** فبدل ما يقول : كيف حالكم ؟ ينعق على **سيف** : تفتك خاشع : قال سيف :.نعم « في كبدك » . فأطلق عليه رصاصة لم تخطيء فؤاده ، فبكل قوة عنده أمسك على نجاد تفقي ، ولم أستطع اطلاقه من يده ، وتفرق عنا بعد النقع من كان معه(١) ، ومن كان معنا ، ولم يبق إلا نحن الثلاثة في المجلس ، وأنا أصارعه على التفق .

---

(١) لو اتعظ بهذا من يحرصون على الاكثار من الحراس يحرسون بهم أنفسهم من قدرهم بلا دافع ، وقد حرس طاغية نفسه بحراس أشداء من أمريكا فقتلوا معه عندما حان حينه ، وهنا فر الحراس لينفذ قدر الله وقضاؤه .

فقال سيف : اترك التفق له وننجوا فتركته في يده ، فما كدنا أن نصل الى الحصن ، حتى أحيط بنا من كل مكان . فرجمنا الباب على أنفسنا شهرا كاملا ، إذ كان قتله : في عاشر ذي القعدة سنة أربعين وثلاثمائة وألف وقد فرج الله عنا ، ودخل المسلمون فاتحين : في عاشر ذي الحجة : حاصرونا في هذه المدة ، وقطعوا عنا المدد من كل شيء(٢) ، وكسرو الفلج الذي يمر على الحصن ، و يبست البئر التي فيه ، وما بقي فيها إلا القليل من الماء ، جعلناه لحمار و بقرة كانا معنا .

أما نحن بنو آدم : فأقمنا على أكل البصل مستغنين به عن الأكل والشرب ، لأن طبعه يدفع العطش ، وهو مع ذلك غذاء ـ كان معنا منه الكثير ـ ..

فاجتمع الإمام وجنوده في مسلمات من المعاول ،

..... وفي ليلة العيد : وزعوا الجيوش لدخول البلد بعد ما وجهوا النصائح والانذارات فلم تجد فيهم شيئا .

وقد التف عليهم لفيف من البغاة : ممن يكره الحق ، و يتحين الفرص للشر ، وكان الجواب عدم الجواب . و بقى الإمام ومن معه من المشايخ في مكانهم ودخل الجيش نخلا من كل مكان :

فكان نصيب أهل الشرقية من الطريق الرئيسي ، ولذلك وقع القتل فيهم ، ولم يقع في غيرهم من القبائل .

---

(٢) عجيب أمر أهل نخل لنقنهم قاضي الإمام من طاغية استنفم ، ومع ذلك حاصروا أصحاب الحق لو لعانوا عليهم أتباع الطاغية .

يقول الوالد صالح بن أحمد الحارثي : ـ وكان قائدا للفرقة الداخلة من الطريق الرئيسي :

نحن سائرون والرصاص علينا كأنه المطر ، وذلك عند بزوغ الفجر ، يسقط القتيل منا فلا نلتفت إليه ، حتى وصلنا باب الحصن ، فخرج الشيخ الرقيشي يقذف الزبد من فمه ، وأحرق الخيام التي أمام الحصن ، فما أن رأى البغاة النار حتى انحلوا من مقابضهم وتركوها وخرجوا من البلد رأسا وتركوا قتلاهم ومابقى احد . أ . هـ .

و يقول الوالد **عبد الله بن سليمان الحارثي** ـ وكان من جملتهم :

يقول لي الأخ **صالح** : كن خلف القوم لتسوقهم وأكون أمامهم لأقودهم .

قلت : حاشا لله ، لا أكون في الخلف ، فمن أراد أن يتخلف فلا خير فيه ، فوصلنا سويا عند الباب .

وكان من جملة القوم **سلطان بن منصور الغفيلي** ، فلما كان في أثناء الطريق نجم فيه النفاق وقال : أى شيء بيننا وأهل **نخل** : ؟ نقاتلهم في بلادهم،فتأخر .

وكذلك كان الشيخ **سليمان بن سنان العلوي** دخلا بعض المساجد في الطريق ، ولم يأتيا إلى **نخل** إلا بعد ما استقرت .

وكان الوقت جداد(١) المبسلي ، فقام البدو يأخذون لركابهم من النخيل وهذا من معرة(٢) الجيش ، فشغل الأخ **صالح** بهم يلاحقهم ، و ينهرهم في ذلك الوقت العصيب ، وكاد أن تكون بينه و بينهم فتنه ، لولا تأخيرنا له ، وأنه غير مكلف بهذا . أ . هـ .

وفي الصباح جاء الإمام ومن معه ، وقبض على فلول البغاة ، فقتل بعضا ، وسجن آخرين ، وصفت البلاد وتطهرت .

وحدث الشيخ **الرقيشي** قال : لما كنت واليا على : **نخل ووادي المعاول** : أقمنا الحد على زانية فجلدناها .

وبعد مدة طلبت أن تتزوج فمنعتها من التزويج اعتمادا على قوله تعالى : « **والزانية لاينحكها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين** » .

سورة النور الآية ٣

وفي أثناء تلك الأيام وصل الى البلاد الشيخ **عيسى بن صالح الحارثي** فأخبرته عن المرأة وقلت له : إني منعتها من التزويج .

قال : تريدها تزني مرة أخرى ؟. زوجها .

فزوجتها امتثالا لأمره .

ومن مروياته ــ رحمه الله ــ قال :

لما تم الاعتماد على بيعة **الإمام سالم** : طلب الشيخ نور الدين زعماء القبائل أن يحضروا أمامه . فاصطفوا ، **فضحك** ... فقيل ما يضحك ؟ قال : لما بتنا في بركة الموز في طريقنا الى هذا الغرض ، رأيت في النوم أني أصف اسطوانات أمامي ، فلما صُفِفْتم الآن ذكرت الرؤيا ، فإذا أنتم الأساطين .

ثم قال : أنتم تقْدمونَ على أمر عظيمٍ لا يتم لكم إلا بالخضوع لله عز وجل والتوبة إليه ، وتعد عليكم سقطات ، انتم

الأكابر ، واريد أن اتوبكم منها ، فتوبوا الى الله من جميع ذنوبكم ، فتابوا .

ثم طلبوا **سالم بن راشد** . فقال له الشيخ : المسلمون رأوا أن يبايعوك إماما لهم فلتكأ عن البيعة لهيبة المقام ، وقال : أنا ماصحبتكم لهذا ، ولا أصلح أن أكون إماما . ولحزم الشيخ على تمام الأمر ، وخوف دخول الفشل في التريث ، نادى في الحال **أبا زيد عبدالله بن محمد الريامي** ، فقال : اقطع رأسه ، فشهر **أبو زيد** سيفه ، وجاء ممتثلا أمر شيخه . فلما سمع **سالم** ذلك قال : ماتكون منزلتي معكم إن قتلتموني ؟

قال : نبرأ منك لأنك شققت عصى المسلمين ، وفرقت ذات بينهم بعدما التأمت .

قال : أعوذ بالله من أن أنزل هذه المنزلة ، رضيت بما يرضاه المسلمون **فبايعوه إماما** . وقام بالواجب خير قيام كما ذكرت سيرته في : « **نهضة الأعيان** » .

وكان على رأس القائمين بهذا الأمر الشيخ **حمير بن ناصر النبهاني** .

ولهيبة المقام تلكأ بعض الشيء في أثناء المشورة ، لنصح بعض جماعته له قائلين : إن هذا الأمر ليس بالهين .

.. وأنه ليس عندك أحد من الرؤساء .

.. والشيخ **السالمي** فقير غير متبوع .

.. وسيقع هذا الأمر على رأسك ، فيحتاج أن تحسب له حسابا ، ولا تستعجل .

فلما فهم الشيخ ذلك ، ذهب إليه في بيته وقال له :

انني لم أعتمد على البشر في هذا الأمر ، بل اعتمدت على الله ، والله لن يضيعني فإن كنت لا ترى قيامك معنا خوفا على نفسك ، فأنت معذور فاقعد في بيتك ، ولكن أعطني عصاك (الله أعلم مايريده من العصى) .

فلما سمع الشيخ الحميري هذا الكلام . قام كأنما أنشط من عقال فنصح ، وقام بالواجب خير قيام لأمر أراد الله له التمام .

وكان الشيخ **نور الدين** ومن معه يأملون أن يكون **الإمام محمد بن عبدالله الخليلي** أو : **هلال بن علي البوسعيدي** .

ولكن الاثنين كليهما لم يحضرا ، ولم يكن للشيخ الحازم الذي أذهب عمره كله في طلب نجاح هذا الأمر ، فيضيعه عند حضور وقته ، وتهيؤ فرصته ، فلذلك عدل على **سالم بن راشد** فكانت البركة فيه .

ولما بويع الإمام قال الشيخ : تمت واحدة .

فما وصلوا : **نزوى** وصلوا الجمعة قال : اثنتان .

ولما وصلوا : **سمائل** وأقاموا الحد على زانية قال : تمت الثلاث التي كنت أسأل الله أن لايميتني إلا بعد ماتتم .

« طبت يا موتُ فإن شئت فزر » .

وما مضى عليه سنة بعد هذا القول ، حتى اختار له الله ماعنده ، فألحقه بالصالحين .

وأخبرني قال : لما سقط الشيخ **نور الدين** من راحلته ، وبقى يعالج الموت في بلدة **تنوف** ، كان يقول : سنقسم إن شاء

الله مغانم الهند ، وكان يكررها ، يقول هذا حثا للمسلمين على اقتفاء السلف ، ولكي تكتب النية في حسناته .

قال : وجاء الإمام يعوده .

فقال له : لم جئت ؟.

قال : عائدا لك .

قال : ارجع فأنت في مقام أصلح للمسلمين من عيادتي ، فرجع في الحال .

قال : وانكسرت رقبته فبقى أياما إذا حمل على الأكتاف هان عليه السهر ، وإذا وضع اشتد عليه .

وذات يوم قال : ماهذا اليوم ؟ قلنا : كذا .

قال : بعد غد ، لم يزد على هذه الجملة ، وما عرفنا معناها فاذا هو يموت بعد غد .

رحم الله تلك الأوصال ، وأحلها دار الخلد والجلال .

ودفن بين قبري : المشايخ سليمان بن سيف وناصر بن سيف النبهانيين ، تكرمة من الشيخ حمير له ، بأن دفنه بين أبيه وعمه .

يقول الوالد حمد بن حميد الحارثي : رأيت الشيخ السالمي في النوم بعد موته يقول : «آذتني هذه الكُنُف» .أ.هـ .

قلت : ورأيته أنا في النوم كأنه نائم و يغط في نومه ، وكأنه ملتحف برداء أخضر ، وأقول لبعض الاخوان نذهب لنسلم على الشيخ ، قال : لكن ننتظره حتى يصحو .أ.هـ .

حكى الشيخ الرقيشي : كان الشيخ نور الدين يقول في

مرضه : ماأخاف عليكم من جهل وفيكم **عامر بن خميس** .

وما أخاف عليكم من وهن وفيكم **سالم بن راشد** .

فكان الأمر كما قال ، والمؤمن يرى بنور الله .

وحكى الشيخ قال : لما مات الشيخ **نور الدين** قال الإمام : الآن وقد مات قدوتنا ، سيظن عدونا أن فينا وهنا بسبب موته ، ولابد من أن نريه القوة من أنفسنا .

المسلمون بعد لم يفتحوا نخلا ، ووادي المعاول ، ونرى أن نذهب إليهما ، فندخلهما في الطاعة ، و بالفعل وُجِّهت الدعوات إلى القبائل ، ليحضروا إلى **نزوى** ، فاتفقوا على أن يأتوا عن طريق الجبل الأخضر ، إلا **الشيخ : عيسى بن صالح الحارثي** أمره الإمام أن يأتي عن طريق : **وادي سمائل** . فيقبض في : التصاوير(1) ، ليرد عنهم المدد الذي يخافون منه ، ولما أرادوا الافتراق ، ناجى الشيخ **عيسى** الإمام ، وقال : عندي نصيحة وهي : إذا فتحتم . **نخلا . ووادي المعاول** ، إن شاء الله ، واطمأن الحال ، فإن **مطاوعة الحجريين** ومن يرى رأيهم : سيغرونك على القيام إلى **بركا** .

---

(1) محلة في فنجا .

ومن رأيي أن لايستفزوك ، فإنه ليس لكم قبل على مواجهة خصومكم ، فإنهم ليسوا وحدهم ، وانما من ورائهم من لاتملكون العدة التي عنده ، ومن الأفضل أن تبقى دولة المسلمين ظاهرة قوية ، ولا تفشل في أمر منه بد ، وواسع التأخير عنه .

فحبذ الامام هذا الرأي ، ووعد بذلك ، وافترقوا عليه ، وكل ذهب الى قصده ، وكان الإمام يمشي لايرضى أن يركب ، فكان كلما مر عليه أحد عرض عليه الركوب ، فلم يرض .

وكان الشيخ **أبو زيد** رفيقه في المشي ، فكان يقول لمن يعرض على الإمام أن يركب : دعوه بخدم على نفسه ، يشير الى الحديث : **« لايجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في أنف امرىء مسلم »**.

فوصلوا بحمد الله نخلا وفتحوها ولم يعترض سبيلهم أى شيء .

وما كاد أن يستقر بهم الحال ، حتى قام الجماعة الذين أشار إليهم الشيخ **عيسى** (بحكم التجربة) فدعوا الامام الى القيام على **بركا** بحجة أن المسلمين لابد لهم من بحر ، لاسيما وأنه جهاد ، وما هي إلا إحدى الحسنيين : والإمام لايُدعىٰ إلى خطة رشد إلا استجاب لها ، فوافق على القيام ، ونسي وصية الشيخ **عيسى بن صالح** ، وبالفعل فتحوا ، **بركا** . ومن غير اعتراض في بادىء الأمر .

وبعد يومين أو ثلاثة جاءت بارجة حربية فوقفت في عرض البحر ، فأطلقت الرصاص فتجاوز البيت الذي هم فيه .

ثم ضربت ثانية دونه ، وكان قصدهم التحذير ، فلما لم يخرجوا ضربت البيت فقصفته ، وهم لايستطيعون الرد عليها ، لأن بنادقهم لا تبلغها .. وهذا ما أشار اليه الشيخ في نصيحته .

وفي المثل العماني : « المجّرب غالب الطبيب » . لكن لاينفع اللوم ، والقصد لله ، جزى الله الجميع خيرا .

رجع الجميع الى نخل وجعلوا عليها واليا ، ثم رجعوا الى نزوى .

يحدث الشيخ الرقيشي معجبا بالشيخ محمد بن عبدالله الخليلي ، يقول : لما كنا في **بركا** ،والبارجة نتراآها في البحر ، خرج أكثر اصحاب الإمام يمشون على الساحل ، فأمطرت البارجة عليهم وابلا من الرصاص فرّقهم(١) ،وصاروا يتحيزون و يتحرفون ، **إلاالخليلي** لم يغير مشيته حتى من بطء إلى سرعة على الأقل والرصاص من حوله كأنه المطر ، فقيل له : لم لا تأخذ حذرك من الواقع ؟

قال : لأى شيء خرجنا ؟ ألا لإحدى الحسنيين ؟ : « **فل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا** » .

وأخبرني قال : لما فتح الله على المسلمين « **نفعا** » على يد **الإمام عزان بن قيس** ــ رحمه الله ــ كان **شامس بن حسن العامري** من فحول الرجال ، المعدود الواحد منهم عن ألف « وواحد كالألف إن أمر عنى » .

يحدث العامري عن نفسه يقول : كنت جالسا بعد ما فتحت **نفعا** وهدأت الأمور ، وسيفي أمامي ، فإذا بثلاثة أبطال هبطوا من الجبل ، وكأنهم الجمال يُزْبدون و يقولون : « عزرة بن

نـزرة بـن صــم الحـجر : ما من حرث بريوه » يعنى إبرا : وهم يـقـصـدون نحوى ، يهزون سيوفهم ليقطعوا رأسي ، فأردت أن أقوم إلـيـهم وأحمل سيفي ، ولكن كأنما سُمّر عليّ في الارض ، وقبض على يـدي ، فـمـا اسـتـطعت أن أعمل شيئا ، وليس بى قصور من شيء ، وفي نـفـسى لـو رأيـت مـلء واد مـن الأعـداء وأنـا وحـدى مـادخـلـتـنـي منهم هيبة وما بقى إلا أن يقطعوا رأسي ، وأنا أنظر لولا تعرض القضاء والقدر . فما شعرت إلا ورؤوس الثلاثة تقطع من رقـابها ، ورأيتها تتجندل والجثث هامدة مكانها ، وما رأيت من قطعها .

ويقـول شـيخـنا الرقيشي : إن هؤلاء الثلاثة من إزكي ، وهو يعرفهم .

وبمناسبة الحديث عن شامس بن حسن العامري .

حـدثني أبي عن أبيه قال : كنا في غزوة الإمام عزان حين غزا البريمي ، ليرد عنها أهل نجد ، وكنت يومئذ صغيرا ، بلغت الحـلـم في تـلـك الـغـزوة . قـال : لما تقابل جيش الإمام والجيش الـنجدي ، وكان على رأسهم قائد يسمى مدغم ، خرج مدغم على حـصـان يجول بين الـصـفين يـقـول : مـن يـبـرز لي ؟ أيـنـك ياعزان ؟ أينكم ياخيالة البعر ؟

يقـول الجـد : فـغـاظني ذلك ، فقلت لزميل عندي : نخرج إلـيـه ، فـاسـتـأذنـا الامـام مـرتين فـلـم يـأذن لـنـا ، بـل نادى : شـامـس بـن حـسـن الـعـامـري ، وأمره بالخروج إليه : فبارزه وتـقـاتـلا مـلـيـا ، ثـم أرسل شامس الحربة إلى خصمه ، فلما أحـس بهـا مـدغـم ، أنهـا لاتخـطـئـه : رفع رأس الحصان ، فـتـلقاها بجبهة الحصان فـسـقـط ، وكـان ابن أخ لشامس عنده

تفق فنقع فيه . فما أن رأى **شامس** ذلك ، حتى التفت الى ابن الأخ ليقتله ، يقول له : فضحتني بين القبائل ، تُجهز على قتيلي ، وتجلعنا اثنين نقاتل واحدا ، والله ماتركتك حتى أقتلك .

ثم لما فاته ونُصح عن قتله حلف ألا يكلمه مادام حيا

وحدثني **أبي** أيضا قال : لما قام الإمام بتوزيع القبائل عند وصولهم **البريمي** ، رتب كل قبيلة في مكان ، حتى جاء دور **المساكرة والحرث** ، أراد أن يجعل كلا في مكان ، فاعترض عليه الشيخ **صالح بن علي** قائلا : أيها الإمام : لا تفرز بين **الحرث والمساكرة** ، بل اجعلهم في مكان واحد ، لأنهم إذا خرجوا من بلدهم يصيرون كالجسد الواحد ، و يتركون شرهم في إبرا ، فعمل الإمام برأيه فجعلهم في كمين واحد .

وحدثني عمي عبدالله بن سليمان الحارثي ، عن خاله الشيخ عيسى بن صالح ، عن أبيه ، عن الإمام عزان قال : لما حاصرنا **نفعا** ، ووقف أهلها لنا وقفة المستميت وكدنا أن ننهزم ، أشار بعض الأصحاب أن نلوذ بجبل خلفنا عن الرصاص الهاطل علينا كالمطر ونحن في العراء ، وأعداؤنا في المقابض ، هممنا أن نعمل برأيه .

فاعترض علينا **رجل شبلي من أهل الشرقية** ، وكان الوحيد من **أهل الشرقية** ، لأن **أهل الشرقية** ما استطاعوا أن يصلونا لقبض **العق** عليهم .

فقال الشبلي : لا أيها الإمام .

لا تتأخر من مكانك ، لأنك إن تأخرت ذراعا عن مكانك ، لم يبق أحد في المعسكر ، سيظنون أنها هزيمة ، ولكن اصبر بقدرما تقرأ الحمد ثلاث مرات ، ولو قتلت في

هذه الوقفة ، فسترى النصر إن شاء الله .

قال : فرأيت ذلك البدوى يركض نحو البلد ، فما مضت دقائق حتى شبت النيران في الخيام التي شرقي البلد : ديارا مهجورة يسكنها الحضار(١) ، فما أن رأى أهل نفعا النار حتى قالوا : « دُخلت بلادكم من خلفكم » فولوا هاربين إلى البلاد ، والمسلمون يتبعونهم يقتلون و يأسرون ، حتى دخلنا البلاد ، وذاب البغي ، وكان النصر بسبب ذلك البدوي المبارك .

« الرأى قبل شجاعة الشجعان .. هو أول وهي المحل الثاني » .

وحكى الشيخ الرقيشي قال : زار الإمام محمد بن محبوب الرحيلي من « صحار » زار الإمام : موسى بن علي العزري في « إزكي » وكانا قطبي زمانهما :

مرجعا للعلماء :

فخطب الرحيلي على العزري إحدى بناته ، وكان عنده ثلاث بنات وعندهن مربية مملوكة ، فقال الشيخ للمربية :

اختاري لضيفنا العزيز واحدة من هذه البنات :

فأعطت المربية لكل واحدة منهن ــ على انفراد ــ شيئا يؤكل ، ولم تقل لها شيئا .

وفي اليوم الثاني ، جاءت إلى الكبرى ، وسألتها عما أعطتها ، فقالت : أكلته ، والوسطى كذلك ، أما الصغرى قالت : ها هو .

قالت : لأى شيء لم تأكليه ؟

قالت : ما قلت لي كليه ، بل أعطيتني ومضيت ، ولا أدري لماذا العطاء ، وما كنت لآكل شيئا لا أعرفه .

فقالت الخادمة لسيدها : هذه تصلح للضيف .

فزوجه اياها ، وسافر بها ، ولم يعرف أهلها عنها شيئا عشر سنوات .

و بعد ذلك قالت أم البنت للشيخ موسى أبيها : هل يعقل أنا لانعرف عن بنتنا شيئا طول هذه المدة .

فسافر الشيخ ليبادل الإمام الرحيلي الزيارة ، فلما دخل البلد أراد أن يسأل عن بيت صهره ، فوجد صبيّين في الطريق يختصمان في شوك بين جدار وحضار في الطريق ، وكان الشوك أقرب إلى الجدار منه إلى الحضار ، فأحد الصبيين يقول :

إنه يترك فيما هو أقرب إليه .

والآخر يقول : إنه يترك فيما شابهه ، فظهر الشيخ عليهما ، فقالا : نحكم هذا الشيخ ، فقال الشيخ : كلاكما على حق ، وأحب إلى أن يترك فيما شابهه ، ثم قال لهما : إني أشم عليكما رائحة آل الرحيل ، فأولاد من أنتما ؟

قالا : نحن أولاد محمد بن محبوب .

ومن أمكما ؟ .

قالا : ابنة موسى بن علي .

وأين بيتكم ؟ فأخبراه بموضعه ، وقالا : نحن ذاهبان الى المدرسة .

فذهب الشيخ ، وكان أمام البيت شجرة ، قعد الشيخ في ظلها ، وأرسل إلى أهل البيت بوجوده . فأرسلت اليه ابنته أن اقعد ، حتى يأتي صاحب البيت .

فرجع الشيخ **محمد** قبيل الظهر ، فوجد صهره خارج البيت ، فتعانقا ، وغضب على زوجه حيث لم تدخل أباها .

قالت : ما أمرتني بذلك .

قال : فأنا أعلم الغيب أنه سيأتي هذا اليوم ؟

فاعتذرت إلى أبيها لهذا السبب .

قال : أصبت . لو أدخلتيني ولم يكن عندك سابق إذن ، لما رضيت عليك .

وذلك الولدان فيما يقال : إنهما عبدالله ومحبر .

فعبدالله أبو الإمام : سعيد بن عبدالله :

الذي قال في حقه مؤلف : تحفة الأعيان :

« لا نعلم أفضل منه في عمان إلا أن يكون الجُلندَى بن مسعود » .

ومحبر : هو الذي يقال في حقه :

« تستبرأ الأمة ولو أخذت من محبر » .

رضي الله عن الجميع . ورزقنا أمثالهم من شبابنا الناهضين(١) .

وأخبرني الشيخ عن الشيخ ماجد بن خميس العبري :

وكان ثقة من أفاضل المسلمين وعلمائهم الزاهدين .

كان في آخر أيامه يزور الإمام الخليلي في نزوى .

فإذا وصل يفرض لنفسه وزوجه من بيت المال كل يوم « ١٧ بيسة » ، فاذا زيد عليها ردها من شدة ورعه ، **وكان قد عمّر ، وعاصر ثلاثة أئمة :**

---

(١) استدراك : قلت : لا أعرف اسم الولد الثاني ومحبر : أخو «محمد» فيما يظهر من السيرة لا ولده .

ــ عزان بن قيس ، وكان والياله على بهلا :

فلما قتل الإمام ، وكان هو في الحصن ، أخبر بذلك ، فضرب فألا في المصحف فخرج له قوله تعالى : « **فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلوٰة واتبعوا الشهوٰت فسوف يلقون غيا** » .

سورة مريم الآية ٥٩

فنزل من الحصن بحبل ، وراح إلى بلده ، لئلا يكون سببا في مشاركة الجبابرة في الاستيلاء على معقل المسلمين .

ــ وعاصر الإمام : سالم بن راشد الخروصي :

ولم يذكر الشيخ عنه أنه تولى في زمانه .

ــ وعاصر الإمام الخليلي :

ولكنه في زمانه كان هرما إلا عن القيام بالواجب ، رحمه الله ورضي عنه .

ومن المعمرين فيما بلغنا أن رجلا من أهل الهجر من الحواتم :

عاش منذ زمن الإمام **ناصر بن مرشد أول القرن الحادي عشر ، وتوفي في عصر الامام الخليلي** ، أواسط القرن الرابع عشر الهجري ، وكان ذاسمع وعقل و بصر ، و يقال إن لحيته ابيضت واسودت ثلاث مرات .

● ● ●

ومن أخبار شيخنا الرقيشي يقول : كان رجل من أهل منح عنده زوجة ثرية ،يطمع في إرثها ، فأبطأ عليه موتها ، فسولت له نفسه اغتيالها وكانت عادتها أن تقوم قبل الفجر ، فتجذب ماء من البئر الذي بالمنزل فتتركه مهيئا لمن أراد الغسل

والوضوء ، ولسقي الحيوانات .

قال : فجاءت على عادتها ، وهي ضعيفة النظر ، فجاء الزوج من خلفها فدفعها في البئر ، وهرب قبل أن يعرف خطته ، هل تمت أم لا ؟ وخرج على وجهه حتى أتى نزوى . فوجد الإمام محمد بن عبدالله وأصحابه يقرأون القرآن بعد صلاة الصبح .

فنادى أيها الإمام : وكأنه يأخذ شفعة ! .. إن أهل منح قتلوا زوجتي ، رموها في البئر .

قال له الإمام : وما شأن زوجتك حتى يجتمع عليها أهل بلد كلهم ؟

قال : لا أدعي على فرد ، بل على الجميع ، ولعله يظن أنه يحصل على قسامة مع الميراث .

فأمر له الإمام بالسجن من دون توقف . قال : ادخل السجن حتى يتضح أمر زوجك ..

أما هي : فإنها تعلقت في الحبال وصاحت ، فأدركها جيرانها فأنقذوها سالمة .

فأرسل الشيخ خالد بن هلال الهنائي وهو الوالي يومئذ على منح يخبر الامام عن الواقع ، وأنه إذا مر عليهم الرجل فليلقوا عليه القبض .

قال الإمام : عرفنا ذلك من قبل وفعلنا ..

ومن توفيق الله لهذا الإمام ، كما أخبر الشيخ الرقيشي : أنه قتل رجل ناصري في وادي العين : ولم يعرف قاتله ، ومضت مدة على البحث عن القاتل ما يقرب من سنة ، و بعد

ذلك جاء رجل **هطالي** إلى الإمام يشتكي يقول : إن فلانا « لم يحضرني اسمه » أجرني على ان أقتل فلانا ، يعني المقتول الناصري بخمسين قرشا لم يعطني إياها ، فأنا أطلب حقي .

قال الإمام : أأنت صاحبه ؟

قــــال : نعم بأمر من فلان .

و بعد الإقرار الواضح قال الإمام : أنا أعطيك حقك ، منذ مدة أطلبك ، فلم أجدك ، وأمر بقتله .

أخبرني الشيخ الرقيشي قال : تزوج رجل من أهل **سعال** بنتا من **العقر ـ نزوى ـ** فلما زفت إليه ، وكانوا متوسطين الوادي الأ بيض سال عليهم الوادي ففرقهم كل على وجهه ، و بقيت العروس وحدها حائرة لا تدري أين تذهب ، وقد أخذ الخوف منها كل مأخذ . وفي حيرتها تلك رأت سراجا على بعد فقصدته ، وإذا بالسراج في حجرة ، فهجمت على الباب ، فدخلت تلك الحجرة فوجدت شيخا منكبا على كتابه يقرأ ، فجلست بجانب من الحجرة كالمستميت ، فبقيت طول ليلتها خائفة تترقب وتنظر الى ذلك الشيخ يقرأ مليا و بين حين وآخر يضع اصبعه على نار السراج ثم يعود فيقرأ وهكذا حتى أصبح ، فخرج يصلي الصبح .

ولما رجع سأل البنت من أين هي ؟ وما الذي أدخلها عليه ؟ فأخبرته عما جرى لها ، وطلبت منه أن يوصلها إلى بيت أبيها .

فقال لها : امش خلفي ، ودليني على البيت .

فقرع الباب على أبيها . وقال له :

هذه أمانة ـ اقبضها ـ والسلام عليكم .

فأخبرت أباها بخبر الشيخ .

وكيف يحرق أصابعه .

وحدثته عن أمانته وصيانته لها .

وكان لأبيها صديق . فدعا به يشاوره يقول له :

« إن نفسي ترغب أن أزوج هذه البنت لذلك الشيخ فكيف السبيل إلى ذلك ؟ ولا يحب أن يكدر على زوجها الأول . إن الذي وقع خارج عن إرادة الجميع » .

قال له : أنا أكفيك ذلك .

فذهب إلى الزوج ، فسأله عن خبر العرس ، وعن نيته في الزوجة بعدما وقع من الشؤم .

قال في الحقيقة : إن في نفسي من ذلك شيئا ، ولكن لا أدري ماذا أفعل ولا ذنب لها ، إنما هذا قضاء من الله ؟

قال الصديق : لكن الشؤم في ثلاثة ، والأحسن أن تتركها .

قال : لكني استحي من أبيها .

قال : أنا اكفيك إياه .

قال : أخاف أن يكون في نفسه علي .

قال : لا ، وسوف ترى منه ما يسرك .

فطلقها ، وهي بغية أبيها .

وبعد ذلك قصد الشيخ فعرض عليه البنت فقبلها الشيخ وتزوجها وأنجب منها .

قلتُ : وهذه ثمرة التقوى « من ترك شيئا لله عوضه الله » .

فسألته بعد ذلك عن سبب حرق أصابعه ليلة المحنة فقال :

إن نفسي تقول لي : هذه غنيمة سيقت إليك ، وهي على ماترى من الزينة والطيب والشباب والجمال و. و. و ... فإذا زادت على أذقتها حر النار حتى تكتوي . وهكذا الصراع حتى أصبحنا .

ومن مرو ياته يقول :

لما دخل الإمام سالم بن راشد . بهلا . وفتح حصنها ، أصدر أمرا بقتل ولد شيخة المحروقي . وكان وزيرا لناصر بن حميد العطابي ، وسيفا لدولته في الفساد ، وقتل الناس وإيذائهم ، وسيأتي عنه بعض أخباره ، فضاقت عليه الأرض ، ولم يجد ملجئا يلجأ إليه .

وبعد محنة كبيرة أصابته ، جاء ليلا فدخل على الشيخ حمير بن ناصر النبهاني مستجيرا ، وأظهر التوبة ، وطلب منه أن يشفع له عند الإمام .

قال الشيخ حمير : أما أنا فلا أستطيع أن أكلم الإمام فيك لكن نذهب إلى الشيخ عيسى بن صالح الحارثي فذهبا إليه .

قال الشيخ عيسى : وأنا لا أستطيع أن أكلم الامام ، ولكن نذهب إلى الشيخ عامر بن خميس المالكي .

وكان الشيخ المالكي جريحا من أثر القتال بين المسلمين ومن في الحصن قبل أن يفتح . فكلماه في الموضوع ، قال : أنتم الأمراء أقدر على مكالمة الإمام مني .

فغضب عليه الشيخ عيسى قائلا : لايصلح المزاح في كل وقت ، فأرسل إلى الامام أن يأتي إليك فتخاطبه في الموضوع .

فجاء الامام ، ولما رأى الاجتماع ، فهم أن هنالك أمرا .

فقال : سوف نقضي إن شاء الله على الدعوة الجاهلية ، والتعرض لأوامر الشرع .

فقال له الشيخ **عامر** : لا تعجل أيها الإمام ، فهذا ابن شيخة جاء تائبا ، مذعنا للحق ، والمشايخ يسألونك العفو عنه .

فقال الإمام : هل يسعني ذلك .

قال الشيخ : نعم — « وكان الامام يثق في الشيخ عامر و يتخذه قدوة — ، لأن الله يقول : من قبل أن تقدروا عليهم : وهذا جاء تائبا قبل القدرة عليه .

قال الإمام : إذن أقول لربي إذا سألني عن ذلك أن :

« عامر بن خميس هو الذي تقلد ذلك » .

قال : قل : وسوف لايسألك الله عن ذلك إن شاء الله .

وكان من بعض أخبار « ولد شيخة » وظلمه للناس :

أن أشار على **ناصر بن حميد** : أن افرض ضريبة على أهل الأموال تساعدنا على قيام أمورنا .

ففعل ..

فقال أهل الأموال : إن أموالنا لا تفي بما عليها من مغارم ، فكيف تأخذون عليها ضريبة ؟

قال : لابد .

قالوا : إذن نترك لك الأموال ونسافر .

قال : افعلوا واتركوها .

فدخل عليه الوزير و بيده : **هيب وقفير** :

فقال : ما هذا ؟

قال : لتقوم أنت وأنا فنخدم أموال أهل بهلا ، لأنك أذنت لهم بالسفر ، ولم يبق غيرنا لخدمة الأموال .

قال : إذن كيف نفعل ؟

قال : امنعهم من السفر ، وأكد عليهم الضريبة ، ومن أبى فأدخله السجن .

ففعل ذلك ، وهذه واحدة من عشرات من الظلم والتسلط .

ومثل هذه القصة التي أمر فيها الامام سالم بن راشد « رضي الله عنه بقتل ابن شيخة ، كذلك وقعت عند الامام **عزان بن قيس** ، كما أخبرني الشيخ **سالم بن حمود السيابي »**

قال : كان **جمعة بن خصيف الهنائي** جابيا للزكاة في **سمائل** من قبل الإمام **عزان** .

فجاء الى بعض أكابر آل سعد : يطلب منه الزكاة .

فانتهره يقول : أنت تزكينا . و بالأمس تأتي لنا بالسمك من السوق ؟ ثم راح كالمفتخر إلى بعض أصدقائه فأخبرهم عما قال للجابي .

فقال له صديقه : إنا لله وإنا إليه راجعون ، إنك اذن مقتول .

قال : ولم ذلك ؟

قال : لانك منعت الزكاة ، وسيأمرّ الإمام بقتلك اقتداء بأبى بكر حين قال : لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة :

قال : اذاً كيف أفعل ؟

قال : لاينفعك إلا الشيخ : **سعيد بن خلفان الخليلي** ، فاذهب إليه تائبا يشفع لك عند الإمام .

قال : فدخل على الشيخ مستجيرا به وأخبره القصة ، وطلب منه أن يعتذر له مع الإمام .

فقال الشيخ : عسى أن يكون الامام لم يبلغه الخبر وإلا فمعضلة ، فذهب الشيخ بالسعدي الى الامام .

فقال له : إن فلانا أخطأ في جنب الشرع ، وهو الآن تائب مذعن لما عليه .

فقال الامام : ــ ولم يكن يعرف الرجل ــ : « فرغنا من الأمر فيه ، أمرنا بقتله ، إن لم يكن مقتولا ، فسيقتل الليلة » .

فقال الشيخ : ها هو ذا بين يديك .

قال : أهذا هو ؟

قال : نعم ، و يسعك العفو عنه ، لأنه تائب دائن بما عليه .

قال : أتقول ذلك ؟

قال : نعم .

قال : إذن لا يؤدي الزكاة إلا بيد ذلك الفقير الذي منعها عنه مع الاعتذار إليه ، و يسجن مدة ستة أشهر .

ومن مرويات والدي ــ رحمه الله ــ عن الشيخ عيسى عن أبيه .

قال : دخلت يوما على شيخنا الشيخ **سعيد بن خلفان الخليلي** : في بيته ، فوجدته يتميز من الغيظ و يقول :

« حملنا هذا الانسان « و يعني به الإمام » على رقاب الناس .

وإذا هو لا يصلح لذلك .

أعلمت أنه حمل أوعية « صفر » من مسقط إلى الرستاق لأنها بلده ؟

فانتهز فرصة إمامته لكي يُعد حصته على حساب الدولة ؟

فقلت له : لا تعجل . لعل له عذرا ، والأفضل أن نعاتبه في الموضوع .

قال الشيخ **صالح** : فغدفت(1) إلى بيت الإمام من الجدار ، وكنا الثلاثة متجاورين في بيت العلم وما حوله فعاتبناه على ماصدر عنه .

فبكى ، وقال : تتهمونني هذا الاتهام كله ، فما عيشي وأنتم عاتبون علي ؟

اعتذر عن فعلي هذا بنيتي الصحيحة .

وهو : أن مركز المسلمين في **الرستاق** خال من الأوعية فإذا جاءنا ضيف ونحن هنالك ، نذهب نستعير من أهل البلد أوعية .

وهنا الأوعية كثيرة ، فنقلنا بعضا منها من مركز المسلمين إلى مركز المسلمين ، وهُوَ لهم أينما كان ، وأعوذ بالله من القصد السوء .

إن رأيتم هذا سائغا ، وإلا فسنرده هذا اليوم .

قال : فرضي الشيخ وسامحه .

---

(1) غدفت : لهجة عمانية ، بمعنى اقتحمت .

وفي مختار الصحاح : أغدف الصياد الشبكة على الصيد أرخاها .

وفي الحديث إن قلب المؤمن أشد ارتكاضا من الذنب ، يصيبه من العصفور حتى يغدف منه ، والكلمة مأخوذة من هذا المعنى .

قال : وكان الإمام يوما بارزا ، وبجانبه الشيخ الخليلي ، ولعل الإمام كان مشغول الفكر ، فعبث بنجاد سيفه عدة مرات ، فضرب به الشيخ الخليلي على يده وقال : لا تلعب .

فانظر إلى جدهم في الأعمال وفي الأقوال .

كما حكى أيضا : أنه تقدم الى الشيخ الخليلي اثنان متخاصمين ، فتكلم المدعي ، ورد المدعى عليه ، فسكت الشيخ عنهما طويلا ، وهما في وسط الناس ، وقد تعبا من الانتظار .

قال الشيخ صالح بن علي : وكان بجانبه : أيها الشيخ : أراك لم تحكم بين هذين .

قال له : احكم أنت .

قال : لا ، سامحني : ظننتك اشتغلت بفكر فنسيتهما .

قال : لا ، ولكن في الحكم بينهما عشرة أقوال ، لابد لي من ترجيح أحدها ، وأنت إن حكمت بالقول الذي تحفظه ستريحني من التماس الأدلة للترجيح .

قال : وعتب الشيخ محمد بن سُلّيم الغاربي على الشيخ الخليلي ، بسبب تغريقه بعض أموال الظلمة ، يقول :

لا أرى ذلك ، لأنه إن أراد أن يتخلص هذا الظالم من المظالم ، بم يتخلص ؟ وقد أخذتم ماله ؟

فقال الشيخ : من جملة اقناعه للشيخ الغاربي : إذا مثلا ظلمك ظالم حمارا ، فوجدته في البرية ، وقدرت على أخذ حمارك .

هل تتركه له ؟ تقول أنه سيهلك إن أخذت عنه الحمار ، بأنه لايقدر أن يتوصل إلى البلد ، أم تأخذ حمارك ولا تسأل عنه ؟

قال : بل آخذ حماري .

قال : اذاً فالمسلمون قدروا على أخذ مالهم من ظالمه .

فقال الشيخ **الغاربي** : حسن : سلمت لك الأمر .

وفي الحقيقة أني أعترف أنه ليس عندي ما أقف به محتجا في وحه نسل : **الخليل بن شاذان** .

من أخبار الإمام سالم بن راشد

وحدثني والدي أيضا معلقا على مايؤثر عن الإمام **سالم بن راشد** ــ رحمه الله ــ قبل الإمامة و بعدها ، من ضرب به المثل الأعلى في الزهد والورع ، يقول :

دخلت المسجد ذات يوم وأنا صغير ، وقد فرغ الناس من الصلاة ، فرأيت **سالم بن راشد** : يبكى ، ودموعه تنحدر من وجنتيه ، فأخبرت خالي : يعنى **الشيخ عيسى** :

فقال : إنه يبكى لما فاتته الجماعة .

وقال : حدثني عمي **حمد بن حميد** قال : خرجت يوما قبيل الظهر إلى خارج البلد : **مضيرب** : فرأيت رجلا يسوق أمامه حمارة ، وقد أحرقته الشمس ، ينتقل إلى الظل أحيانا ، و يعود وراء الحمارة ، فقصدته ، فاذا هو **سالم بن راشد** .

فقلت له : لمَ لمْ تركب ؟

قال : لأنني أخذت الحمارة بالإعارة من صاحبها ، لأحمل عليها تمرا من السوق ، وغفلت أن أقول لصاحبها : إنى أركب عليها . فإذن ليس لى بأن أجمع بين منفعتين ، أخذت الحمارة لواحدة .

قلت : لكنه معروف أن من أخذ حمارة ليحمل عليها ، ركب .

قال : لا أحب أن أتوسع في الرخص .

قال : وجاء ذات يوم إلى السوق ، فمر على مسجد يصلى فيه بعض الأثرياء ، فصلى معهم الظهر ، وجاء ليخرج ، فقال له ذلك الثري : لا تذهب حتى « تتقهوى » والسوق لم يفتح من الآن ، فتأخر ، واستأذن بعد القهوة ، فلحقه ولد الثري في الطريق فقال له :

إن أبي أرسل إليك هذه الدراهم ، وكانت « ١٣ » قرشا ، لتستعين بها على مهمتك .

قال : لا : ان مهمتي تحتاج الى قرشين . وهاهما عندي ، فردَّ الدراهم إلى أبيك ، واشكره عني .

قال : هذه صدقة ، ولاينبغي أن تردها .

قال : لمن هو أحوج مني ، ولا أبيت ، وعندي مالا أحتاج إليه .

قال له : لحاجة غد .

قال : ومن يضمن حياتي إلى غد ، وإن حييت فسوف يكون رزقي ممدودا .

قال : و يبيت الليلة والليلتين لا يأكل فيهما شيئا إلاّ الأسودين ، واتخذ شاة يعيش على لبنها ، فرآها ذات يوم تحتك على جدار ، فقال : « إنا لله وإنا إليه راجعون » .

هذه الشاة تجنى عليّ وأنا لا أعلم ، وأمر ببيعها في ذلك اليوم ، ولم تبتْ عنده تلك الليلة .

وكان لايبالي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فمن حكاياته : أنه مر ذات يوم تحت قلعة نزوى .

وفيها الحضارم عسكرا من قبل حاكمها :

سيف بن حمد البوسعيدي ، وقد ظهر منهم رقص وأشياء لا تنبغي في مثل هذا المكان ، ولم يكن له ذلك اليوم أى سلطة .

فناداهم من تحت القلعة وقال : تأدبوا في معقل المسلمين ، فسكتوا ، وما حيلته فيهم لو لم يسكتوا ، لكن سر الإخلاص لله .

ولقى ذات يوم سلطان بن منصور الغفيلي ، وهو : تميمة آل وهيبة ، طاغوتا من الطواغيت لقيه في مجمع من الناس وهو يجر إزاره ، فانتهره قائلا : ارفع إزارك . فرفعه دون أن يراجع بكلمة .

وبعد مابويع إماما ، خاف سلطان بن منصور فما قدر أن يقابل الإمام إلا بصحبة من الشيخ عيسى .

ووجد ذات يوم رجلا نائما في المسجد في « القابل » قال له : إن المساجد للعبادة لا للنوم ، وأنت من أهل البلد ، و يرخص للغريب أن ينام فيها .

فرد عليه ردا قبيحا ، وقال له : اذهب إلى بلدك إن أردت أن تأمر وتنهى ، فنام ، فما شعر إلا وقد حمله أناس لايعرفهم ، فرموه خارج البلد ، فقام من مكانه ، وكأنه أخرج من قبر ، فأسرع إلى الشيخين : السالمي وعيسى ، فأخبرهما بالقضية ، وقال : إن هذا الرجل ساحر فاطردوه من البلد ، فمن لطف الشيخ السالمي أجابه بقوله : اليوم سحرك أنت ، فإن طردناه

سحرنا كلنا ، فالأحسن أن لا تنام في المسجد مرة أخرى ، وإذا أمرك بشيء بعدها فلا تخالفه .

ـ وحدث عنه القائم في مسجد « القابل » قائلا : ما دخلت المسجد إلا ووجدت سالم بن راشد على المحراب ووجدت عبدالله بن محمد « يعنى أبا زيد منكبا على القراءة .

كما حدث قال : من عادتي أن ابقى في المسجد حتى يخرج جميع المصلين بعد صلاة العشاء الآخر ، فأطفىء السراج . وأغلق الباب ، حتى آتى لصلاة الصبح .

وذات ليلة : قام بالفور بعد الصلاة الشيخ محمد بن عبدالله الخليلي الذي صار بعد إماما ، فقعد على السراج يقرأ ، فلما خرج الناس وقفت على رأسه :

فقال : ما تريد ؟

قلت : أطفىء السراج .

قال : أريد أن أطالع قليلا ، ثم أكفيك إطفاءه .

قال : فرحت عنه ونمت في بيتي ، وكانت من ليالي الشتاء ، وقمت قبيل الفجر إلى المسجد للأذان لصلاة الصبح ، فلما دخلت وجدت الشيخ كما هو وقت العشاء ، فوقفت على رأسه فرآني :

قال : قلت لك أنا أكفيك إطفاء السراج ، فاذهب أنت .

قلت : يا سيدي : ذهبت فنمت في بيتي ، والآن جئت لصلاة الصبح .

قال : سبحان الله ما شعرت بذهاب الليل .

قال : فترك الكتاب .

ومثل هذا ما جري للشيخ سعيد بن حمد الراشدي ، في

بلدة **المضيبي** :

أخبرني والدي قال : خرج الشيخ **سعيد** من المسجد بعد صلاة العشاء ذاهبا إلى بيته ، فمر عليه أحد من يعرفه وهو واقف بين طريقين .

قال ذلك الرجل : فما كلمته ، ودخلت بيتي فنمت ، وخرجت لصلاة الصبح ، فوجدت الشيخ واقفا في مكانه :

فقلت له : ما برحت من هنا ، أو ذهبت ورجعت تقف مرة أخرى ؟

قال : لم السؤال ؟

قلت : مررت عليك بعد العشاء وأنت واقف ، وجئت لأصلي الصبح وأنت مكانك .

قال : ما شعرت بمرور الليل : واني لما مررت على منترق هاتين الطريقين ، استحضرت قول الله تعالى : « **فريق في الجنة وفريق في السعير** » .

فقلت في نفسي : ليت شعري ، في أى الطريقين سأكون ؟ فمازلت أفكر في هذا حتى هذه الساعة .

والشيخ سعيد هذا هو الذي قال في حقه **الشيخ صالح بن علي** : « ما أعلم على وجه البسيطة أفضل من هذا الشخص في وقتنا هذا » .

روى عنه ابنه الشيخ عيسى قال : خرجت أنا وأبي من البيت الى المسجد فرأينا الشيخ **سعيد بن حمد** واقفا في صرح المسجد قادما زائرا لنا . فقال أبي لما رآه ، تلك المقالة .

أخبرني الشيخ سالم بن حمود السيابي قال : اجتمعت

بالشيخ : **ناصر بن راشد** أخي الإمام قال : كان **لسالم** غرائب ، منها أيام كنا نتعلم في **القابل** ، اشتكى إلي يقول : إن هذا الشيطان يريد أن يلعب علي : يأتيني في النوم يقول : السلام عليك يا إمام المسلمين . فقلت : هذه أحلام ، فما اعتبرتها ، ولكن الآن يأتيني يقظة يواجهني بقوله : السلام عليك يا إمام المسلمين ، وأراني كتابة بالخط الكبير : **سالم بن راشد إمام المسلمين :**

قال : فقلت له : إذا أتاك مرة أخرى فقل له : ان كان ذلك حقا . فليكن على ألسن الناس .

قال : فما شعرنا بعد أيام إلا والناس يتحدثون : « إن سالم بن راشد سيكون إماما ».

حتى أنه ذات يوم كان يمشي في الطريق وخلفه امرأتان تقول إحداهما للأخرى : أعلمت أن هذا سيكون إماما ؟

قالت الأخرى : كيف يكون إماما وهو أعمى ؟!

قالت : ليس هو بأعمى ، ولكنه لاينظر إلى شيء فيظنه من رآه أنه أعمى .

ورأى ذات ليلة وهو في **القابل** كأنه في حلقة فيها .

أبو بلال[1] . مرداس بن حدير . وكأنهم يشربون من كأس واحدة .

وفي تلك الليلة رأى الشيخ نور الدين نفس الرؤيا . فانتبه فرحا مسرورا ، فلما اجتمع به قال : أهلا بمن شرب من كأس مرداس فتعجب الإمام من ذلك ، وقال : أنا الذي رأيت الرؤيا ! فمن أخبر الشيخ بذلك ؟!

فإذا هو من توارد الخواطر .

وكان يبيت الليلة والليلتين ، لايطعم شيئا ، ولايرضى أن يأكل من عند أحد ، وكان المشايخ يتسابقون إلى دعوته للأكل ، ولكنه لايرضى ، فصاروا يرسلون إلى بيته سرا .

هل طبخ له أكلا ؟ فإن لم يجدوا شيئا أرسلوا إليه أكلا زاهيا . فلما عرف ذلك : صار يترك القدر على النار تغلي بماء وحده و يأكل التمر والماء .

---

(١) أبو بلال : هو مرداس بن حدير : هو أحد الذين أنكروا التحكيم في حرب صفين : فهو صحابي أدركه : جابر بن زيد : فماشا سويا في الدعوة إلى سبيل الله . ونشر السنة المطهرة ، ثم قام على الطغاة ، فكان له معهم حروب كثيرة . آل منتهاها إلى استشهاده على يد عبدالله بن زياد : بجمعه مع الإباضية المبدأ ، وقيامه على الباطل .

و يقول القائل في حقه :

لقد زاد الحياة إليّ بغضا ... وحبا للخروج أبو بلال

ولو اني علمت بأن حتفي ... كحتف أبي بلال لا أبالي

وقال ابن الأثير في الكامل كان مرداس عابدا مجتهدا عظيمّ القدر ، هزم هو وأصحابه وكانوا أربعين جيش ابن زياد وكانوا ألفين فقال القائل :

وربما أخذ « عوالا(٢) » فيذهب به إلى خارج البلد بعد المغرب فيدقه و يأكل به التمر خفية عن العيون والأسماع .

و يذكرني بهذه القصة ما حكاه الشيخ : فرحات الجعبيري في دروسه لطلبة المعهد عن الشيخ : **أبي مسور** : **العالم المغربي الاباضي** : أنه كان يحضر الدرس مع شيخه : **أبي معروف** :

و يتأخر عن زملائه ليزداد منه علما ، وكان هذا دأبه كل ليلة ، وفي ذات ليلة كان خارجا عنه ، والشيخ يشيعه ، فوطىء على طرف إزاره ، فانتثر منه حفنة شعير .

فقال الشيخ : ما هذا ؟ فخجل و بكى ، لأنه لايود أن يطلع على ذلك أحد ، ولكنه لايمكنه أن يخفي على شيخه .

فقال : ربما لا أجد طعاما ، وليس عندى ما أشترى به طعاما ، فأنقع هذا الشعير في الماء ، وأشربه . لأستمد من طاقته .

فهؤلاء طلبة العلم الذين تعلموا فسادوا :

وحدثني حميد بن حافظ الشرجي قال : جاء الإمام سالم وهو يتعلم آنذاك ، جاء إلى **الرستاق** .

فربط حمارته تحت جدار مسجد **الكسفة** ، ودخل يصلي . فراثت الحمارة تحت الجدار .

فلما نزل الإمام ، ورأى الروث ، جاء ليحمله فيلقيه عن

أألفا مؤمن فيما زعمتم ... ويهزمكم بآسك أربعون
كذبتم ليس ذاك كما زعمتم ... ولكن الخوارج مؤمنون
هي الفئة القليلة قد علمتم ... على الفئة الكثيرة ينصرون

وقد بسط صاحب العقود القصة عنه . فمن شاء البحث عنه فيراجع صحيفة ١٠٧ من الكتاب .

(٢) السمك المجفف ..

جدار المسجد ، فسبقه إليه رجل فقير حمله عند ، فأعطاه مكافأة بعض الأرز .

فيحكي ذلك الفقير أنه استعمل ذلك الأرز مدة طويلة ، كلما أخذ منه وجده على حاله ، ولم يفرغ مع قلته حتى أخبر بذلك بعض أصحابه ففرغ عليه .

ومن نزاهته وزهده أنه مر ذات يوم هو وأخوه على هضبة نخل على عاضد فلج ليس عليه سور، مباح لكل أحد من الناس والحيوانات ، فقطع أخوه عصا من بعض النخل ، فغضب عليه وقال : لانبرح من مكاننا حتى نتخلص من ضمان ما أفسدت .

قال أخوه : لمن نتخلص ليس ملكا لأحد ، فلم يبرحا حتى جاء مَنْ وثقابه من أهل البلد ، وأخبرهما أنه ليس مِلْكاً لأحد .

ووجد ذات يوم **الإمام الخليلي** ــ وكانا طالبين عند الشيخ : **نور الدين** في « **القابل** » وجده يغسل ثيابه من الفلج ، و يعصرها خارجه .

فقال : ليس لك ذلك ، اعصرها داخل الفلج ، لأن هذا الماء ملك لصاحبه .

وكان إذا طلع نخلة ليخرف رطبا ، ربط عينيه خوف أن يرى جوف بيت أجنبي ، فيخرف باللمس لا بالنظر .

وأخباره من هذا النوع كثيرة لم نستقصها ــ رحمة الله عليه ــ .

ومن مرويات أبي أيضا : قال : اجتمع عند الوالد **صالح بن علي في القابل** المشايخ : **أحمد بن سعيد بن خلفان**

الخليلي و : محمد بن مسعود السعيدي : من : منح .

وكانا عالمين جليلين ، فصاحت امرأة شرقي البلاد : يا آل يحمد : وكانت عزوة للحرث في عرف القبائل .

فقام الشيخ الخليلي بسرعة ، فقبضه الشيخ السعيدي : قائلا : « ألدعوة جاهلية » ؟

قال : لا ، ولكن لإغاثة الملهوف ، ونصرة المظلوم .

قال : اذن كلنا نذهب ، فذهبوا بعد ما صححوا النية .

كما أخبرني أيضا : أنه كان الشيخ محمد بن مسعود عند الوالد صالح . وكان الوالد يرجو ذلك اليوم مشايخ بني بوعلي وقد أرسل أولاده خيّالة لتلقّيهم من خارج البلد ، و يريد أن يكرمهم إكرام مثلهم من أهل الشرف . فقال للشيخ محمد : هذا الذي نريد أن نفعله ، فما نيتنا في ذلك ؟

رد الشيخ محمد عليه : إنك لم تفعل هذا إلا بنيةٍ فعلّمنا .

قال : نيتنا إكرام الضيف ، ونيتنا إعزاز المذهب ، ونيتنا إكرام أهل الشرف . وعد حوالى عشر نيات .

فقال الشيخ محمد : أحسنت ، تكفى واحدة ، والتسع زيادة في ثوابك .

وسيأتي خبر الشيخ صالح ، و بعض من سيرته .

ومن مرويات الشيخ سالم بن حمود السيابي : ما أخبرني به أن رجلا اسماعيليا من أهل إبرا : كان رجلا عنيدا ، صعلوكا ، لايقدر عليه فقطعه جماعته ، وكان يلقب « قرطعا » ، و يعنى : قطعه جماعته . أنه في عرف القبائل من كان مثله ، وقطعه جماعته : إذا أصابه شيء لايؤخذ بثأره .

وسبب ضراوته هذه ، وقع قتل في خفارته كما عرف أن الهناويّ يخفر الغافرية عن الهناوية ، وبالعكس

فكان هذا الرجل في بعض الأيام خفر جماعة من الهناوية ، إذ هو في العرف غافري ، فاعتدى عليهم بعض أهل وادي سمائل ، فقتلوا من خفر فتنمر قرطع وآذى أهل وادى سمائل وضرى عليهم ضراوة منكرة ، حتى . أنه صار يُفزّع به الأطفال ، فاستغاثوا منه . ثم اجتمع رأيهم على أن يتفق أكابر الوادي ، ونظموا رحلة إلى الشيخ : صالح بن علي الحارثي ، يطلبون منه أن يكف هذا الرجل عن الأذى ، و يتعاون معهم ، فربما قبل منه . فركب منهم سبعون على رأسهم الشيخ : راشد بن مُحزِّز الخصيبي وكان عالما كريما سباقا الى المحامد ، برز بروزا لم يبرزه غيره في الوادي .

فلما وصلوا عند الشيخ أكرمهم ، وسعى في حاجتهم ، وأرسل خلف « قرطع » فحضر .

فقال له في حضرة الضيوف المشتكين منه : أما كفاك يا قرطوع ؟ وكان عليه ثياب سود .

فقال : أنا « عايب » من العيب ، وهى كلمة تستعمل للمُهَان في خفارته .

قال له الشيخ : ما أنت بعايب .

قال : تشهد لي ؟

قال : نعم .

قال : تكفيني شهادتك ، فخلع في الحال ما كان عليه من ثياب سود ، ولبس ثيابا بيضاء ، وكف عن الأذى ، واستراح أهل الوادي من شره .

قلت : وهذه الخفارة لها أصل في الشرع ، وكان الشيخ **صالح يُغَرِّم** من ضيّع في خفارة أحد ـــ يغرمه أربعمائة قرش .

واستطرادا لطلب **قرطع** الشهادة من الشيخ :

ما جرى أن الشيخ **ناصر بن حميد العطابي** : لمّا مّر عليه الشيخ **صالح بن علي** في بلده ، وتذاكرا أمر القبائل ، قال الشيخ **صالح** للشيخ **ناصر** : كُل يعرف أنك أنت **أبو الغافرية** .

فقام الشيخ **ناصر** وقوفا ، وقال : اشهدوا أيها القبائل أن الشيخ **صالحا** شهد لي أني أبو الغافرية .

من رواية الشيخ سالم بن حمود يقول : إن سبب نبوغ الشيخ : **راشد بن عزيز الخصيبي** طلبه للعلم ، وسموه إلى معالي الأمور ، فمن أول نبوغه ، كان من عادة أهل **سمائل** إذا أهمهم أمر جامع يجتمع أهل **العلاية والسفالة** في الجامع فيتعارفون ، و يتفقون على الصالح العام للبلد ، و يفترقون .

وفي بعض اجتماعاتهم قام الشيخ **راشد** فباع خنجره ، إذ لم يملك غيرها ، واشترى بها حلوى ، وصنع قهوة ، وحملها عنده إلى الجامع ..

فلما تم الاجتماع ، وأرادو الانصراف ، نادى بأعلى صوته : « قهوة .. قهوة » ، فقعدوا ، فأحضر الحلوى والقهوة فأكلوا .

وكان أهل **العلاية** يظنون أن أهل **السفالة** تكرموا عليهم ، وأهل **السفالة** يظنون أن أهل **العلاية** تكرموا عليهم ، فبقى الكل في حرج يتلاومون و يتساءلون ، حتى ظهر لهم أن القهوة لم تكن من عند أحد الفريقين ، بل هي من عند **راشد** الرجل الفقير الضعيف ، فلفت عليه الأنظار ، فمن عرفه أحبه ، ومن لم يعرفه سأل عنه حتى عرفه .

ومن ذلك اليوم ارتقى به الحال ، حتى صار علما من أعلام الوادي ، وارتقى إلى أن صار وزيرا للسلطان **فيصل** ، وظهيرا له ، وله حكايات في الكرم عجيبة ، و بعض الأكابر يحسدون مقامه .

فكان من الصدف أن لقيه ذات يوم في الطريق واحد منهم .

فقال له يا راشد : «من متى» ؟

ففهم منها ــ وهو دراكة للمعاني ــ أنه يقول له : من متى بلغت هذه المنزلة ؟

فأجاب على الفور: **« نفسُ عصامٍ سوّدت عصاما »** .

ومن أخبار شيخنا الرقيشي .. وقد أغفلناها في موضعها .

قال نزل السيد **أحمد بن إبراهيم** ضيفا في السنينة على : **محمد بن سالمين** وجماعته .

فقال **محمد** لجماعته : «وكانوا ثلا ثمائة» فريق : عليكم قهوة الصباح ، وعليّ الغداء .

قال : وكان عند السيد **أحمد** ثلا ثمائة راكب .

فجيء في وقت الصبح :طلوع الشمس ثلا ثمائة ذبيحة وثلا ثمائة صحن خبز فجلس كل واحد من الضيوف على ذبيحة ، ولم يخبرنا الشيخ عن خبر الغداء ماذا كان من أمره .

ومثل هذه القصة ما حدثّ به والدي عنّ الشيخ علي بن صالح بن علي الحارثي : أنه قال :

نزلنا ضيوفا على الشيخ حمد بن محمد اليحيائي ، في بلدة **ضنك** وكنا ثلاثة عشر راكبا ، فتلقانا من خارج البلد . وذهب أمامنا رافعا عقيرته بقوله : **حيٍّ بالبوش وهَلْها :** حتى وصلنا : فقبضت الركاب ، وأدخلت في مزرع «قت» : تأكل كيف شاءت ، وكل من أتى من جماعته ليسلّم علينا .. جاء وفي يده «عذق خصاب» حتى حمرت الركاب فما استطاعت النهوض ثلاثة أيام .

وفي هذه الثلاثة أيام كان الكرم من المضيف تبذيرا في اليوم الأول : أتى لنا بالغذاء ثلاث عشرة رفقة بثلاث عشرة ذبيحة .

ومن أخبار الظاهرة : وما كان فيها من أمور : فقد حدثني الشيخ إبراهيم بن محمد الرقيشي قال : كانت **الظاهرة كلها جحيما يباع فيها الأحرار و يقتل فيها الأبرياء وتسبى فيها النساء والأطفال وتنهب فيها الأموال : فكان** لايستطيع الواحد والاثنان أن يسافرا من بلد الى بلد إلا مُغامرةً ، وقليلٌ السالم .

فواحدة من عشرات الحكايات التي جرت في **الظاهرة** على سبيل المثال ماوقع في هذه القضية العجيبة من نوعها وهي :

يقول : أرسل الشيخ **علي بن سعيد الغافري** رسولا إلى **البريمي** فانتهب اللصوص ماعنده ، ورجع صفر اليدين من دون أن يصل إلى قصده .

فغضب رجل من جماعة الشيخ علي وقال : مَن كان فيه سمع و بصر وسلاحه في يده ، لايستطيع أحد أن يسطو عليه كائنا من كان .

وكان هذا الرجل معدودا من مقاديم الرجال . فأعجب بنفسه ، وشجاعته ، وقال هذا القول منتقصا المأخوذ ، وكان عين اللصوص حاضرا يسمع مادار من الحديث ، و بعد أيام بدت حاجة للشيخ علي في البريمي .

فقال : من ينتدب لها ؟

فتهيب أصحابه ، فقام صاحب المقالة وقال : أنالها .

فاختار خير الركاب ، وخير السلاح ، والزاد الكافي ، وخرج في قوة من نفسه وغرور .

وكان اللصوص قد عرفوا ذلك .

فكمنوا له عند جفر يقال له : بكربه : وخرج واحد منهم إلى قارعة الطريق ، وقد شد وسطه بحبل وليس في يده حتى عصى .

فلما مر عليه الراكب ، سلم عليه ، وسأله عن الخبر حسب العادة العمانية ثم قال له : هل رأيت في طريقك ناقة من صفتها كذا وكذا .

قال : لا .

قال : انظر تحت تلك الشجرة . هل هي ناقة أم ماذا ؟ ، لأنك أطول مني نظرا .

فنظر الرجل مطمئنا ، لأنه ليس في حسبانه ، كما لم يتصور عقله أن رجلا أعزل يسلب راكبا مسلحا .

فلما نظر : ألقى الرجل بذلك الحبل على عنق الراكب وجذبه بكل قوة يجدها عنده فسقط على أم رأسه وركب فوقه ونادى أصحابه فاحتوشوه ، وصار أسيرا في أيديهم ، ونزعوا ما عليه من سلاح وثياب إلا الإزار ، وأخذو الناقة وما

عليها .وأعطوه من زاده لقمة تمر قائلين له : ما ترى ! هل عندك سمع وبصر وفي يدك سلاحك ؟! أين أنت الآن ؟! خذ هذا التمر تحيا به إلى أن تصل حيث تريد .

فيقال : إنه لم يرجع الى بلده حتى مات

ومثلها ما حدثنا به شيخنا الرقيشي . قال : كان رجل بلوشي متمرد . طعامه كله من كسب أموال الناس ، وقطعه الطرق ، وكان عنده ناقة فارهة ، وسلاح قوى .

فخرج ذات يوم من بلدة نخل متوجها الى الباطنة فقال واحد من شاكلته : أستطيع أن أنهب لكم هذه الناقة ، وهذا السلاح .

فقال أصحابه : ما تفعل بهذا الشيطان ؟ إنك لست مثله .

قال : سترون .

فتبعه دون أن يراه . فأناخ البلوشي عند البرك . فحط رحله ، وعقل ناقته ، واتكأ على فراشه ، وخلع سلاحه ، وأحضر طعامه .

فجاء هذا الرجل المسكين ، وقد شد وسطه بحبل ، بثياب رثة يحتقره من يراه .

فسلم عليه . فناداه البلوشي : قرب للأكل « عادة عربية » .

فجلس بجنبه يأكل .

وسأله من أين أتى ؟

قال : إنه راعى غنم ، و بعد الاستئناس ببعضهما .

قال الراعى للبلوشي : ما أحسن تفقك !. أى نوع هو ؟

قال البلوشي : أنت لا تعرف البنادق .

قــال : عمرى لم أر مثل هذا التفق في الحسن والهيئة الجميلة . هل تتفضل فتريني إياه ؟

قــال : نعم . خذ « كالمفتخر أن له ميزة على غيره ، وكان التفق محشوا .

فأخذه الراعي ، وقلبه مليا في يديه كالمعجب به .

ثم لفظ الرمي منه وحشاه مرة أخرى فعل ذلك ثلاث مرات ثم نظر الى خلف البلوشي يوهمه أن أحدا قادما من ورائه . فالتفت البلوشي ، فلما التفت قفز الراعي قفزة الأسد ، وقعد عنه مزجر الكلب ، ومد التفق إليه قائلا : إن تحركت فأنت ميت .. فما استطاع البلوشي أن يتحرك . والنفس غالية .

ثم قال له : إن بقيت على الفراش فأنت ميت .. فانتقل عن فراشه ..

ثم قال له : إن وقفت بحيث أراك فأنت ميت .. فراح المسكين يجر رجليه ذليلا منكسرا ..

فجمع صاحبه متاعه وسلاحه ، وحملهما على ناقته ، وامتطاها يفرد عائدا إلى أصحابه : « ولقد تزيد على الرجال رجال » .

وحدثني الشيخ إبراهيم الرقيشي يقول : في بعض رحلاتي إلى الظاهرة ، أنخت عند رجل في بلدة ضنك ، فلما كنت جالسا عنده .. جاء ولد تحت البلوغ في هيئة خادم .

فقال لي : ما ترى هذا الولد ؟

قلت : ولد نشيط .

قـــال : هذا أريد أن أشتريه من أبيه ، والآن تركه عندى لأجربه ، ثم يأتي أبوه ليأخذ قيمته .

فقلت له : هذا حرام . أتشتري حرا .

قـــال : لا عليّ من ذلك .

كما ذكر أيضا: أنه خرج ذات مرة من : دبي : قاصدا : **الظاهرة** : مغامرا ، فقطع له اللصوص ، ولكن لما أسعده الحظ : جاءه اللص على هيئة جائع يطلب منه زادا ، «يقول» : ينتظرني أنزل عن ناقتي فيدعو أصحابه فيأسرني . ولكن بالبديهة قلت له : إني متأسف ، كل الزاد مع أصحابي ، وهم في القافلة خلفي ، وأنا سبقتهم أرتاد لهم مقيلا ، فطمع في الأكثر وتركني .

وكانوا : من عادتهم : لايتعرضون للقتل إذا حصل المال ، إلا أن دوفعوا : وما أشبهها بقصة **عمرو بن العاص مع قيصر**.

وقضى الإمام أبو خليل ــ رحمة الله عليه ــ على هؤلاء اللصوص وأفنى غالبهم بالقتل : بعضهم قتل صبرا ، و بعضهم غيلة ، و بعضهم جهارا في حرب ــ جزاه الله خيرا : يقال إن عدد من قتل منهم ثلا ثمائة .

وأخبرني الشيخ الرقيشي : أنه في دفعة واحدة قتل منهم ستة ، من بينهم رجل **كلباني** ، لم يتغير وجهه حين أخذ للقتال ، بخلاف أصحابه . فلما أرادوا أن يقتلوه قالوا له : التفت على الجدار لنضربك من خلف .

قــــال : كـلا : لن أقتل مدبرا ، فأبى إلا أن يقتل مقبلا . ولما أصابتـه الـرصـاصة قال للضارب : هذه لم تنفعك . فهات غيرها ، فضربه الثانية ، قال : وهذه لم تنفعك أيضا ، وكانتا في رأسه .

ضربه الثالثة في فؤاده . فمات ، ولكن الدم خرج منه كأنه كبد ثور . لم يؤثر عليه الخوف وطول هذا الصراع .

ومـن مـرويـات أبي ـــ رحمه الله ـــ قال : أصاب **السيد سالم بن ثويني** ضاروب في يده ، فكانت إذا حصلت لها حرارة سكـن الـسـهـر ، فبـات أبوه **السيد ثويني** واضعا أصبع **سالم** المريضة في فمه ، و **سالم** نائم . وتسابقا ذات يوم على حصانين لهـمـا فـسـبق حصان الأب ، فرأى الابن متكدرا لذلك . فأعطاه إياه .

وفي ذات يوم وهو صغير ، غضب عليه أبوه ، فقام ليضربه . فـهـرب عـنـه ، وكـان أمام البيت في «**الوطية**» مناخات كثيرة لـضـيـوفـه ، فـلـم يـقـم أحد لـيـحجزه عنه ، حتى هبطت زوجه «الحـجـريـة» فحجزته ، فمن شدة حبه لها صاح بأعلى صوته على أولئك الضيوف : كانت أبرك منكم امرأة :

والمرأة هذه من أهل « الواصل « من بدية » .

تـزوجـهـا **السيد ثويني** ، وكانت غير راغبة فيه ، لكن أهلها أكرهوها عليه ، فاشترطت أن يبني لها خارج **مسقط** ، فبنى لها بيت «**الوطية**» .

وكان هو السلطان يومئذ ، لكنها لاتحب السلطان ، بل تحب بلادهـا ، وابـن عـمـهـا ، كـمـا فـعلت **ميسون بنت بجدل** مع

معاوية بن أبي سفيان . فآذته من كثرة ماتذكر ابن عمها . فقال : لابد لي من أن أره ، فرحل إلى بدية . **وطلب أن يراه ، لكنه هرب منه** . وبعد المشقة حضر عنده فلما رآه قال : «بالحل» معناه : لالوم عليها .

فلما رجع طلقها .. فرجعت إلى حيث هوَتْ .

أخبار الشيخ نور الدين السالمي(١).

حدثني أبي ، عن أبيه ، قال : جئت يوما الى القابل فوجدت **صالحا** ممتلئا سرورا يعنى **صالح بن علي الحارثي** :

يقول **ياسليمان** : لو تعجلت قليلا ، لشاهدت ولدا **سالميا** يكاد أن يلتهم العلم التهاما ، ولئن بارك الله فيه ليكونن مجددا لهذا الدين ، قدوة للمسلمين .

مرّ عليّ الشيخ **سلطان بن محمد الحبسي** : وعنده هذا الولد **السالمي** من أهل **«الحوقين»** ، جاء طالبا العلم ، فنزل عند الشيخ **سلطان** وجاءا زائرين لمطاوعة **الحجريين** ، فكنا أنا والشيخ **سلطان** نتذاكر مسألة ، ولم نتفق على حل لها .

فلما رجعا إلى مناخهما ، قال **السالمي** لشيخه : كان عندي في المسألة وجه .

قال : لم لم تقلْه ؟

قال : إني هِبْت الشيخ .

فلما جاءا في المساء .

---

(١) توجد ترجمة هذا الإمام في جميع مؤلفاته فلذلك لم نذكر نسبه استغناء بشهرته .

قال سلطان : إن هذا الولد السالمي عنده قول في المسألة التي تذاكرناها .

فقلت له : حسن : «يَبينَ قرونه و يأتي بما عنده» : «يعجبنا الرجل النطاح» .

فاستنطقناه ، فإذا علمه وعقله أكبر من جسمه ، فأخذته عليه ، أريد أن ينفعنا ، ولكنه طلب مني حتى يعود من بدية إلى المضيبي ثم ينتقل إلينا .

و بالفعل فقد حصل ذلك وانتقل بكله وثقله ، وسكن في جوار الشيخ .

وصار كما ذكر في مؤلفاته أنه من أكبر شيوخه ، كما هو معلوم في تراجمه .

ولما استقر الحال بالشيخ السالمي وترعرع ، وصار مدرسا منظورا إليه جاء رجل حجري في بعض الأيام ، فسأل الشيخ صالحا عن مسألة في الطلاق «لم يحفظها الوالد» .

فأفتاه الشيخ بحرمة زوجه عليه .

فراح إلى الشيخ السالمي فسأله عن المسألة ، ولم يخبره أنه سأل عنها من قبل .

فأفتاه الشيخ بجواز الرجعة إليها(١) .

فرجع السائل إلى الشيخ صالح فأخبره عن فتوى تلميذه ، فغضب غضبا شديدا ، وأرسل إليه قائلا : ما يحملك على أن تفتي في شيء لا تعرفه ، تعلمتم وما تأدبتم .

---

(١) قلت : ما أشبهها بقصة الإمام الشافعي عند الإمام مالك ، في حديث القمري . أ . هـ .

قال : وكان الشيخ السالمي يغضب كثيرا .

ولما لم يكن مجال لإنفاذ غضبه ، قام ودخل الفلج واغتسل ثم رجع إلى شيخه قائلا : يا شيخي : اسمع حجتي فيما قلت : لكنني اهابك فتفضل : حين أتكلم ، لا تتكلم حتى أفرغ ، فإن رأيت حجتي مقبولة ، فالحق يقبل من أصغر منى ، وان كان باطلا ، فالباطل مردود على من كان أكبر مني .

قال : قل .

وكان السالمي أعطاه الله علما ولسانا ، فأدلى بالأدلة التي يستدل بها على قوله حتى فرغ .

وكان قبل إحضار الدليل قال :

أولا : أعتذر إليك أنى لم أعلم أنك أفتيت في هذه المسألة ، وإلا لتأدبت .

وأعرف منزلتي .

ولكن إذ وقع ما وقع ، لابد من إظهار الحجة .

قال الشيخ لما سمع قوله : إفت : فقد آن لك أن تفتى :

« نحن حين يتعلم الناس ننازع البدو تحت السمر » .

الحق ما قلت : وإنما غضبت أولا :

لأن الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي هو الذي قال بذلك القول ، ولا أحب أحدا يخالفه .

ومثل هذه القصة ما جرى عند الشيخ الخليلي نفسه :

إذ جاءه سائل فسأله مسألة في الطلاق أيضا ، فحرم عليه زوجه ، فذهب الى الشيخ البطاشي فسأله فأحلها له .

فرجع الى الشيخ الخليلي فأخبره ، فقال : كان الشيخ البطاشي أبصر بك منى : إذ أردتك أنا أن تكون في صدر

المجلس ، وعرفك الشيخ البطاشي ، فرآك لا تستحق إلا أن تقعد مع النعال .

ومن أخبار الشيخ السالمي : ــ لما كان طالبا للعلم ــ :

ما أخبر به الشيخ أبو بشير قال : قصد الشيخ السيفي في نزوى ليعلمه شيئا من الاسرار التي يستطيع أن يتوصل بها إلى العلم . فأعطاه ، وقال له : اخلُ بهذه الأسرار مدة أربعين يوما ، فإن لم يظهر لك فيها شيء ، فاترك العلم لأهله ، واتخذ لك عملا آخر .

قال : ففتح الله عليه في أربعة عشر يوما .

وكان في هذه الخلوة يأتيه الشيطان و يقول له : أتعبتنا . أرهقتنا ، و يضرب به بأصابعه في رأسه ، ومازالت آثار أصابعه على الكمة التي يلبسها الشيخ ، كأنما أحرقت بالنار ، وهي موجودة إلى زمن قريب .

وأخبار الشيخ نور الدين أكثر من أن تحصر
ــ رحمة الله عليه

أخبار ذي الجناحين المحتسب صالح بن علي الحارثي :
كان الشيخ صالح من أهل الهمم العالية .
لايبيت على ضيْم .
ولا يقر على أذى .
ولا يعرف الخمُول فيه موضعا ، ولا التردد عن إقامة الحق مقاما .
وكان كثيرا مايعاتب نفسه . إذا خلا كان يقول :

يا صويلح : ما عذرك عند الله إن تأخرت عن إقامة الحق ؟

يا صويلح : ماقيمتك إن لم تكن عندك منفعة لدين الله ؟

يا صويلح : أي إنسان أنت إنْ تقوقعت في بيتك ؟

وكان كثير الفكرة : .. سُمع يوما يقول : وعليكم السلام : فقيل له : من سلم عليك ؟

قال : سلم على فلان في المكان الفلاني فحفظت الآن الرد عليه .

وكان يُرى ما شيا في الطريق يضرب كفا على كف و يقول : هيه يا صويلح : أما آن لك أن تقوم بدين الله ؟!

وهذا كله بعد أن قتل أقرانه :

سعيد بن خلفان .

وعزان بن قيس .

وكان بعيد الهمة منذ الصغر .

يقال إنه : دخل على السيد سعيد بن سلطان وهو صغير لم يبلغ الحلم ، وعنده أخوه ناصر، وكان أسن منه ، فقربهما السلطان . وكان يسمع عن صالح أنه ذو نجابة .

فسأله عن اسمه : فقال : عامر.

قال : أنا أسميك صالح

ثم قال لهما كالمختبر: أنتما أولاد علي بن ناصر: النار تخلف الرماد .

فأجابه صالح بالفور: تلك نار الكرب ، أما نار السمر فتخلف الجمر.

ثم قال له السلطان : وبلغني أنك تتعاطى الطواعة ، ليس لك حاجة فيها ، وكان في المجلس رجل معولي ، لما خرج

صالح شيعه .

وقال له : لا تسمع قول السلطان ، أطع الله ، فإن من أطاع الله أطاعه كل شيء .

ثم قال السلطان لأصحابه بعد خروج صالح عنه : لئن عاش هذا الصبي ليَرَيَنَّ من يجلس في هذا الكرسي بعدي منه شرا .

وذهب ليدرس على الشيخ في «سمائل» وكان من عادة الشيخ « سعيد بن خلفان الخليلي » إذا جاءه طالب علم يمتحنه قبلا

سمعت والدي يحدث عن خاله عن أبيه الشيخ صالح :

يقول : ذهبت إلى الشيخ طالبا العلم ، فلم يلتفت إلي . وبقيت أياما أتردد ما بين بيته ومسجده ، وهو يعرض عني ، فلما رآني صابرا على ذلك ، أعطاني كتابا .

وقال : اقرأ في هذا الكتاب ، فإذا فرغت منه فأتني ، (وبلغني عنه بعد ماتعلمت منه ، وخرجت ، قال : في حين الامتحان : إن هذا الولد من بيت شرف ، فإن كان طلبه العلم لله ، لن يستنكف من معاملتي له ، وسيرجع . وإن كان طلبه للدنيا لن يرجع ، لأنه يرى ذلك إهانة له) .

قال : فرجعت إليه ، ورأى مني اجتهادا ، فأقبل عليّ إقبالا كليا ، وقربني منه فنلت خيرا كثيرا . ولما خرجت من عنده بعد ما رزقني الله من العلم ما رزقني ، سافرت إلى زنجبار فبقيت مدة حاولت خلالها : أن أنصب إماما : يأمر بالمعروف وينهى

عن المنكر(١) .

قال : فاتفقت مع أحد أولاد الإمام أن يقوم بذلك فوعدني ، ثم خانني .

وشاع ذلك حتى بلغ السلطان ، فطلبني ، فتخوفت ، وخرجت من زنجبار إلى الصومال و بقيت بها سنة كاملة ، تعلمت خلالها علم الصرف ، و برعت فيه .

وعند كمال الحول : مرّ عليّ مشايخ آل وهيبة ، وطلبوا مني السفر معهم إلى زنجبار: على أن يطلبوا من السلطان العفو عني ، فسافرت معهم ، حتى إذا وصلنا ميناء زنجبار :

قالوا : تخلّف أنت في السفينة ، ونحن نذهب إلى السلطان فنطلب لك العفو .

فإن عفا عنك نزلْت وإلا هرّبناك إلى مكان آخر .

قال : وكنت عارفا بالطرق في زنجبارفلما نزلوا خالفتهم إلى طريق أقرب فدخلت على السلطان قبلهم .

فاستغرب لما رآني .

قال صالح : قلت : نعم ، وتلك ورطة تورطت فيها مع ابن عمك ، ظننت فيه خيرا ، فاقض ما أنت قاض .

قال : بل نعفو عنك ، وأقعدني بجنبه .

فجاء مشايخ آل وهيبة فوجدوني بجنب السلطان .

قالوا : ماهذا الذي فعلت ؟

قلت : لابد من المنة : إمالكم أو للسلطان ، فأحببت أن

---

(١) وهذه سنة شرعية لم يوفق إليها إلا الإباضية ، لأن الإمامة ما بقيت بعد الخلفاء الراشدين في الأرض إلا حيث يوجد الإباضية ، فضلا من الله العلي العظيم عليهم .

تكون له ، لأنها ليس لها أثر عليّ . أما أنتم فستكون منتكم عبثا عليّ وعلى أولادي من بعدي : تعيروننا ما بقينا .

ولما رجع إلى عمان ، وكان الشيخ في قبيلته أخوه ناصر و يشتكي منه الجماعة عدم القيام بالواجب ، واجتمعوا عند الوالد حميد بن عبدالله الحارثي ، وكان مرجعا في تلك الأيام للجماعة ، لما كان أولاد علي بن ناصر صغارا حين مات أبوهما ، فعين ناصر شيخا على القبيلة، ولكن الوالد حميداً بقي مرجعا.

فاشتكى إليه الجماعة أمر ناصر.

فقال لصالح : إن جماعتك يطلبون منك أن تكون المسؤول عنهم ، فشدّ ظهرك . فقبل ذلك .

و بعد تمام المؤامرة(١) أمر الوالد حميد : محسن بن عامر أن يضيع(٢) في سالفة ناصر ، فأخذ بعيرا على المساكرة .

فغضب ناصر. وسأل عن الآخذ ، فقيل له : فلان ، فطلبه فلم يجده إلا بحضرة حميد ، فقام يهدده ، وهم بالهجوم عليه .

فاعترضه حميد ، وقال له : قف مكانك ، فأنا أمرته ، ولتعلم أن جماعتك عذروك عن المشيخة ، وقدموا صالحا أخاك .

قال : كأنكم تآمرتم علي .

قال : نعم ، لسوء تصرفك .

فقام عنهم مغضبا ، ولكنه لم يتعرضَ لأخيه في شيء إلا ما

---

(١) « وأتمروا بينكم بمعروف » الطلاق/٦ .

يقول صاحب المختار : ... وأتمروا بالأمر إذا هموا به وتشاوروا فيه . أ . هـ أم ر : ض ٢٤ .

(٢) من الضياع وهو الفساد .

بواسطة مندوب السلطان .

قال له واحد منهم : من شاورت حين قبلت السالفة ؟

قـــال : وجدت أبي لايشاور أباك ، فأنا لا أشاورك . فمن كانت له منكم قدرة أن يغير في قيد حمار ، مادامت السالفة فليفعل ، والسلام عليكم .

يقول الوالد سليمان : فمضت المدة ولم يتحرك متحرك .

وبغى ذات مرة الحرث على المساكرة ، فيما يجرى بين القبائل العمانية من تقسيم إلى غافري(1) وهناوي .

هجم الحرث على برج للمساكرة المسمى «النواصر» فاحتلوه .

وكان على رأس المساكرة رئيسهم السياسي المجرب زاهر بن عامر فأمر جماعته أن يحسروا عن رؤوسهم ، كشعار فيما بينهم يتعارفون به إذا التقوا في المعركة ، ثم هجموا ، فصاح الصائح مع الحرث فالتقوا تحت البرج ، فصار الحرث يقتلون بعضهم بعضا ، والمساكرة يقتلونهم ، و يعرفون بعضهم بسبب الشعار ، فكانت الهزيمة على الحرث وقتل منهم عدد لابأس به .

فبلغ الشيخ ذلك ، فجاء إلى إبرا ليعرف صدق الخبر .

فلما تحق ذلك حكم ببغيهم ، ولم يرض أن يصلي على قتلاهم .

---

(1) لا أحيا الله لها ذكرى .

لدعوة القبائل .

قـــال : فاشتغلنا بدعوة القبائل الصديقة ، فما مرت أيام حتى حضروا .

فلما كنا متهيئين للسفر ، جاءني رجل من أهل وادي بني خالد :

وقـــال : أطلب منك أن تنصح الشيخ بالتأخير في هذه المرة ، لأنه ليس له فيها سعد .

فقلت : حاشا لله أن أفعل ذلك ، لوكان صالح يقبل مني ، فكيف وهو لايقبل ، هو لا يسير على السعد والنحس .

قـال : و بالفعل لم ننجح في هذه المرة ، بل انكسرنا .

ولما كنا في الطريق راجعين : سايرته ، وأخبرته عما قال ذلك الرجل .

فقال : « شد رقعته »(٣) نحن لا نسير على السعد والنحس ، وما انكسرنا هذه المرة لننكسر أبدا ، بل لنجدد غيرها وغيرها إن شاء الله .

وجاء رجل ذات يوم يستقرض منه أربعين قرشا ليتزوج بها .

قال له : يا ولدي : لو كان عندى أربعون قرشا ما رأيتني تحت جدران القابل .

وبلغه مرة أن فلج القابل يهدده سليمان بن سويلم وزير السلطان بالهدم .

فصادف أن قام من غدائه ليغسل يده من الفلج ، وكان مارا

(٣) مثل عماني : يقال لمن يتكلم بما لافائدة فيه .

ببيته ، فوجد الفلج منقطعا ، فظن أن التهديد المتوقع قد وقع ، فوالله ماغسل يده ، ولا رجع داخل بيته : بل قال : الحقوني سلاحي وركابي ، لا أرجع دون « مسكد » .

فقيل له : تذهب الى « مسكد » وسليمان بن سويلم هنا ؟

قال : أذهب إلى سادته ، فليس هو كفؤا للمقاومة ، ولاخير فيمن يبقى إذا لم يقاوموا ، ثم ظهر أن الفلج هدمه سيل ، فلحقوه وأخبروه ، فرجع وقد قطع شوطا بعيدا .

قال : وطلب ذات مرة أعيان الحرث ـ ليس الشيخ ، اذ لم يكن معهم ـ طلبوا من السلطان أن يمد سالفة ما بينهم والمساكرة جيرانهم ، فأرسل السلطان : سليمان بن سويلم في هذا الغرض فتلقاه أعيان الحرث في سفالة إبرا ، وأكرموه .

وأخبرهم : أني جئت مندوبا من قبل السلطان ، لمد السالفة بينكم وبين المساكرة ، فرحبوا به ، وفوضوه .

قال : لكن إن أنا مددت السالفة ، هل تستطيعون أن تردوا صالحا إن ضيعها .

فسكتوا .

قال : إذن أنا لا أقول شيئا عن السلطان لا مفعول له :

فردوا عليه إن شئت نحن لاندخل صالحا في أمرنا ، ولانقدر على كبته إن فعل شيئا ، فأسقط في يد ابن سويلم : هل يرجع دون أن يفعل شيئا ـ وقد كبر عليه ذلك ـ .

ثم هداه الرأي : أن يتصل بالشيخ رغما منه ، بعد

الإياس من أصحابه ، فأرسل إليه : إني وصلت إبرا لهذا الغرض . وأحب أن ألقاك .

فأجابه : إن لى مقرا يقصده ذوو الحاجات ، فإن شئت فأهلا وسهلا .

فأضطر ابن سويلم أن يذهب الى القابل ، وكتم على الشيخ أمر الجماعة أنهم طلبوه ، ولكن الشيخ لم يفته ذلك ، وما جرى من الحوار .

فعرض السالفة على الشيخ ، وأن السلطان أرسله لذلك ، فرحب الشيخ ، وأنه مستعد لقبول السالفة .

قال له : لكني أخاف من جماعتك أن يفسدوا في السالفة ، لأنه يبلغنا أنهم على خلاف معك .

قال : لايهمك ، لايستطيعون أن يفعلوا شيئا ، وسأكون المسؤول عنها .

فأجرى ابن سويلم السالفة بحضور الشيخ وأعيان المساكرة لمدة سنتين . فقبل الكل ذلك . وافترقوا .

يقول ابن سويلم : هذا الرجل الذي يعتمد على قوله ولاينبغي خصامه .

يقول الوالد سليمان :

فلما كنا راجعين من الاجتماع ، وكنت الوحيد مع صالح نتبع الظلال من قوة حر الشمس ، رأينا الجماعة الحرث مجتمعين تحت : سوقمة عدى : وقد بلغهم الخبر .

قال صالح : الافضل أن نميل على الجماعة ، ونخبرهم بالسالفة ماداموا مجتمعين .

فملنا إليهم ، وأخبرهم بما جرى بينه والجماعة المساكرة ،

سالم بن حمد البراشدي بتأييد من الإمام الخليلي ـ رحمة الله عليهما ـ .

ولم يزل الشيخ هذا دأبه في قمع الفساد ، ومخاصمة أهله . وكان من عادته إذا صلى الظهر في مسجده ، ينزل أمام المسجد فيختصم إليه البدو ، و يتكلم فيما بينهم حتى يؤذن لصلاة العصر ، فيصليها بوضوء الظهر .

قال الشيخ نور الدين : فبقيت في نفسي من ذلك أن كل هذا الكلام الطويل لايؤثر على الوضوء : فتركت ذات يوم كل عمل ، وترصدت له ، فما سمعته قال كلمة تخل بالوضوء ، أو خارجة عن دائرة الحق فعجبت لهذا الرجل الواسع الصدر :

المتنزه عن قول للباطل .

المتوقد الهمة .

أخبرني عمي عبدالله بن سليمان قال : كان الوالد صالح[1] لايترك الفرصة تمر إذا أمكنت ، يقول : سمعت أبي يقول : ذهبت يوما إلى بلدة «عز» فمررت في طريقي على صالح ، فسلمت عليه ، وأخبرته أني ذاهب إلى «عز» ولم يكن عنده عزم على شيء ، فما كدت أصل حيث أردت إلا ورسوله ورائي ، يدعوك صالح ، فرجعت اليه فوجدته يضرب رددا[2] .

فقلت له : ما الخبر ؟

قال : بعد أن سرت عنى نظرتُ في أمرى ، فرأيت : أنا مُضيّعون للوقت : قاعدون بلا كسب فائدة ، أرى أن نقوم على بعض الطواغيت ، فنردهم إلى طاعة الله فتساعدني بالكتابة

---

(١) وهو جده لأمه .

(٢) معناه : يمشي مرة إلى هنا ، ومرة إلى هناك ، كالقلق المضطرب .

كان في بعض الأحيان ، يغريه بعض أهل الأغراض فيثور ، ولكنه لايلبث أن يتراجع عن مشادة أخيه .

وصرح لهم في بعض المواقف : إنكم تطلبون منا أن نتقاتل أنا وأخي ، وتتفرجون علينا ، فلن يحصل ذلك منا ، وأنا أعلم أنكم لا تحبونني أكثر من صالح ولكن ليتم غرضكم .

فقام صالح بالأمر خير قيام ، وماكفاه أن يسود الجماعة فقط ، بل صار بحيث كفانا غيرنا الخبر عنه .

وتعليلقا على قوله : رضي الله عنه : **« ننازع البدو تحت السمر » :**

قيل : إنه خاصم آل وهيبة في تسلطهم على بلدة سناو وإيذائهم لأهلها .

فاحتج عليهم بقوله : تعلمون أن **سناو** استولى عليها الجنبه من قبلكم ، فآذوها ، وآذوا من يأتي إليها ، حتى أن الجنيبي إذا قطع جراب التمر في السوق يمش سكينه في كشة **الوهيبي ،** ولا يرفع إليه رأس .

فأسألكم : من أخرج **الجنبة من سناو؟ ووقف في وجوههم ، وخلص آل وهيبة من ذلهم ؟**

قالوا : « عيسى بن صالح » .

قال : اشهدوا إذن أن **عيسى جدى ، أنا فسناو سناوي ،** وليس لكم فيها شيء ، فخصمهم بذلك ، واستراحت **سناو** منهم .

ولكن البدو مثل الجن يدخلون في المداخل الصغيرة ، فيوسعونها حتى تكبر ، ولا يملون :

تسلطوا على **سناو** مرة أخرى فحماها منهم الشيخ :

وبمناسبة ذكر دهاء هذا الرئيس المسكري : ما ذكر أنه في زمن **عيسى بن صالح الأول الحارثي**(١) همّ السلطان أن يُجري صلحا بين **المساكرة والحرث** ، وطلب من **عيسى** أن يحضر بسبعة رجال من قومه ، كما طلب من الرئيس **المسكري** أن يحضر بسبعة أيضا .

وطلب من الجميع أن يكون اللقاء في **بيت الخبيب في سمد الشأن** في يوم معلوم ، فخرج رئيس **المساكرة** وكان يُلقب مقندح . فخرج بسبيعن : راكبا جعل كل عشر ناقات تطأ آثار بعضها بعضا ، حتى يتوهم من يراها أنها سبع فقط .

كمن ثلاثة وستون منهم في الطريق ، ليشاغلوا **عيسى** ومن معه ، حتى لايتمكنوا من الوفاء بالوعد ، **فيكون الحكم بالبغي على المتخلف** ، كما هو المقرر من السلطان .

فجاء **عيسى** ومن معه على أثرهم ، **فعرفوا المكيدة** ، **فقال أصحاب عيسى لعيسى : هذه آثار مواطىء سبعين ناقة ، لا سبع ناقات ، فربما أن أمامنا كمينا لانعرف غايته** ، فاركب أنت على خير هذه النوق ، لأنك ستفعل مالا نفعل إن وقع شيء ، **وإن كانت الدائرة علينا : تنجيك هذه الناقة ، ونحن نفديك** .

و بالفعل فقد وقع مايحاذرون :

---

(١) عيسى بن صالح هو الوسط بهذه التسمية وقلنا الأول بالنسبة لعيسى بن صالح الأخير العالم ، ولأن عيسى بن صالح أب الأخوين محمد وصالح جدي أولاد صالح وأولاد حميد لم نذكر عنه شيئا فلا يشكل .

خرج لهم ذلك الكمين : فناقعهم وناقعوه ، ودارت بينهم معركة استمرت إلى العصر ، فلما كان وقت العصر

قال الرئيس المسكري للسلطان : هذا عيسى أخلف الوعد ، فترى أنه هو الباغى ، فعزم السلطان أن يحركه هذا الكلام ، فيحكم ولكنه كان في المجلس : القنانبة : حضروا ليعرفوا الحكم ، وكانوا يعتصبون للحرث ، فلما سمعوا الخطاب : استمهلوا السلطان ، وقالوا له : لا تعجل فإن عيسى لم يتأخر إلا من عذر ، ونحن نكشف لك الخبر ، فركبوا تابعين ، فوجدوا المعركة قائمة ، فاشتبكوا فيها حتى تخلص عيسى وأصحابه ، ووفوا بوعدهم في ذلك اليوم ، أو بعيد الغروب ، فاخبر السلطان عن سبب التأخير ، واعتذر إليه بسبب الأمر الواقع .

وأغار مرة الحجريون على المساكرة ، وأرسلوا من الطريق رسولا يخبر الشيخ صالحا الخبر .

قال الشيخ : لأى شيء ؟ وما ينبغى لهم ذلك ، وهذا بغى منهم .

قال الرسول : إنهم يخبرونك فقط .

فوصلوا إلى الحدود : بين علاية إبرا وسفالتها . فخرج إليهم أعيان المساكرة فصار بعض التفاهم بينهم ، ولعلهم يطلبون منهم ثأرا قديما فاصطلحوا عليه .

فلما دخل المساكرة بلدهم : رأوا حصينيا «ثعلبا» . فكبروا عليه وضربوه .

والحجريون في عرف القبائل يغارون (الحصّيني) .

فلما سمعوا ذلك . قالوا : إنهم يعيرونكم ، فكروا عليهم :

فدخلوا عليهم بلدهم يضربون من لقوا .

وكان المساكرة في منعة : يضربونهم من وراء الجدران ، ومن البيوت .

والحجريون شرعوا بصدورهم في العراء ، فقتل منهم رجال ، وكانت الدائرة عليهم .

فأناخوا في شريعة الزويد في وادي السفالة ، وأرسلوا إلى الشيخ صالح يخبرونه بالواقع ، و يستنجدونه بحجة أنهم : هناو ية ينتمون إليه ، لكنهم ما استخفوه .

يقول الوالد سليمان بن حميد : ذهبت أنا وإياه فقط خيالة ، حتى وصلناهم : فحققنا الخبر ، وطلبوا منه أن يقوم على المساكرة .

قال : لا ، إنكم أنتم البغاة ، وليس لكم حق فيما فعلتم فإن كنتم تخضعون لأمر الشرع ، فسأطلب المساكرة ليخاصموكم ، وأكون الحكم بينكم ، فإن كان الحق عليكم أخذته منكم ، فأصروا قبل ذلك أن يقوم على المساكرة بغير حكم قائلين : نحن جماعتك فيلزمك أن تنصرنا .

قال : « لستم معي بأقرب من المساكرة ، إن كانوا هم على الحق ، تطلبون الآن مني ، وقبل ذلك قدمتم على ماسولت لكم نفوسكم لتقضوا شهواتكم ، ولم تناظروني » .

يقول الوالد سليمان : فتكلم عليهم وأغلظ ، يقول : « مات الحجريون ، و بقيتم أنتم لايهمكم إلا الأرز البنجالي ، والجدي الذي لم يطلع قرنه » .

وخرج عنهم وهو يتميز من الغيظ .

فلما رأوا الجد منه ، وأنه لايتابعهم على رغبتهم ، وهم في

حال لايجدون سبيلا إلا فيما يطلبه هو ، أرسلوا وراءه ، يناديه الرسول وهو لايلتفت إليه من شدة غضبه

يقول الوالد سليمان : فاستعطفته لهم حتى هدأ ، ورجع إليهم .

فقالوا له : إن جماعتك الحجريين لهم طبع ، إذا أرادوا الشيء لايرجعون عنه ، فمثلهم مثل : ثور المعونة :(١)

قال : « لكني لست كذلك ، إنما أردُ وأصْدُر لأمر الشرع مخالفا ماتهواه نفسي ، فمن أراد مني شيئا لابد له من أن يمر بهذا المحك » .

ففوضوه الأمر ، ورضخوا لحكم الشرع .

فحينئذ أرسل إلى المساكرة يخبرهم بطلب الحجريين ، وأنهم يطلبون منه الحكم الشرعي على يده .

لكن أولاد أسود(١) لم يرضوا أن ينزلوا لحكم الشرع :

ولعلهم فهموا أن الشيخ سيشف(٢) للحجريين . لكنهم واهمون

---

(١) قوله : ثور المعونة : المعونة في عرف الحجريين الدرس الذي يربط به الثور ، وله أصل في اللغة . يقول في مختار الصحاح : ويمنعون الماعون . والماعون اسم جامع لمنافع البيت ، وأصل الماعون المعونة ، والألف عوض عن الهاء . انتهى .

ومن عادة البقر : ذكرا كانت أو أنثى إذا خرجت من مربطها تقفز على وجهها ولا تلتفت إلى شيء ، فشبههم القائل بذلك .

وقد رأينا في أسبانيا : عندهم موسم لمطاردة الثيران بالخيل ، فترى الثور إذا خرج كأنه سهم حتى تنهكه الرماح التي يضرب بها ..

(١) الذين قال في حقهم أبو مسلم « ولا يراع لهم في الضيم جيران » .
(٢) سيميل .

في ذلك ، فلعل الحق سيكون لهم لو نزلوا ، ولكن الله يفعل مايشاء . فردوا ردا غير محمود .

فكرّر الشيخ عليهم الطلب رفقا بهم : فلم يرضخوا . فانقلب الحال عليهم ، وحكم الشرع ببغيهم ، وجرت مناوشات بينهم سمع بها أهل دما ، وكانوا يتعصبون للمساكرة ، فجاؤا مناصرين .

وكان الشيخ ومن عنده يكبسون الفلج ، فسمع بأهل دما أنهم قادمون ، فقال لأهل الخيل :

اكشفوا لنا الخبر ، فلم يبق في الجيش أحد ، بل كلهم توجهوا في وجه القادمين ، فأحاطوا بهم وقتلوهم عن آخرهم وكانوا سبعين .

ومن نكتة الحجريين لما رأوا هذه المقتلة قال قائلهم :

ليت ها الدجة في حبـــوس .

معناه : ليت هذه القتلة في الحبوس ، وكان بينهم ضغن قديم يتمنون لهم لو حصلوا على مثلها .

والحجريون قبيلة أهل صدق ، ليس عندهم غوائل ، وإنما مايكون في صدورهم يظهر على وجوههم ، وكانوا دائما يخصمون الشيخ صالحا و يقاطعونه من أدنى سبب .

وكان الشيخ إذا أراد قياما على مكان ، وأراد المناصرة من القبائل الصديقة يرسل من يتحسس في أدنى بلد من بلدانهم :

ماذا يقولون عن هذا القيام ؟

لأن قول أعلاهم في الرأي كقول أدناهم .

فإذا أخبر أنهم راضون عن هذا القيام وجه إليهم الدعوة ، فقاموا معه .

وإن بلغه أنهم غير مصوِّبين له ، تركهم ، وقام بغيرهم .

وفي مرة قاطعوه : وأرسلوا إليه : « إنا لسنا منك ، ولا أنت منا ، ولست في الذمة معنا » . فما تأثر الشيخ لهذه المقالة ؛ لأنه يعرف أنهم لا يتبِعُونها بفعل .

وفي أثناء هذه المقاطعة : أشيع أن سليمان بن سويلم يهجم في هذه الليلة على القابل .

ولم يكن عند الشيخ علم بهذا الخبر .

فخرج كعادته من بيته لصلاة الصبح إلى المسجد .

فرأى النيران حول القابل وكانت ليلة من ليالي الشتاء فاستنكرها .

فبينما هو يطلب أحدا يرسله ليتحسس خبر النيران ، إذا هو برجل خارج من المسجد ، فالتقى به على الباب ، فأراد أن يختفي عنه ، ولكنه لم يمكنه وعرف أنه حجري ، فسأله عن الخبر ، فقال :

ان جماعتك الحجريين بلغهم هذا الخبر ، فأحاطوا بالقابل حفاظا عليها وعليك .

وأنا دعتني الحاجة الي ورود الفلج ما كنت أحب أن تعرفني ؛ لأن جماعتك الحجريين لا يحبون أن تعرفهم .

يقال : فدمعت عينا الشيخ . وقال :

هذا مع القطيعة . فكيف مع النصيحة ؟

وأرسل خلفهم أنه لا يعذرهم عن دخول البلد حتى يأكلوا .

ولكن الرسول لم يجد أحدا . ما إن ظهر لهم الصبح ، وأمنوا ما حاذروه : كروا راجعين لا يريدون جزاء ولا شكورا .

●●●

وفي مقاطعة له أخرى منهم : ذهب بنفسه منفردا حتى دخل على : **بدربن سالم الحجري** في بلد « **الغَبيّ** » . وكان زعيما لفرقة **المحاسنة من الحجريين ، إذ الحجريون فرقتان : محاسنة ومحادة .** فاستغرب من مجيئه منفردا ، مع توجيه الإنذار له . « وكانت القبائل يستعملون إذا قاطعت قبيلة أخرى ، يرسلون إليهم أنكم لستم في الذمة ، فيستعدون لمواجهة الشر ، ولا يأمنون من بعضهم البعض » .

فقال الشيخ لبدر: « أنا وصلت معكم ، فافعلوا ما شئتم ، لم أكلفكم عناء قتلي » .

فقال بدر: والله إن مثلك لا يُعادَى ، ولكن هذا من نزق الجهل .

ولذلك يقول الشيخ من كلماته الموجزة : **الحجريون بدو**(١) .

يقول والدي : وجاء مرة **النداببيون والرحبيون يستغيثون** من بعض جيرانهم وقد هجموا عليهم ، واحتلوا بلدهم **سرور**، وأجلوهم منها ، **ويطلبون منه أن ينصرهم عليهم ،** فإذا فعل عاهدوه أنهم يكونون في صَفّه وشقّه ، وأنهم لا يمتازون عن الحرث بشيء . فاعتذر الشيخ إليهم قائلا : لا أستطيع أن

---

(١) رجل بأمة .

أعادي **وادي سمائل** ، وهو بعيد عني ، و يكفيني ما أنا فيه » .

فلم يتركوا له بدا ، وقالوا : **لا نبرح من القابل** أبدا . إلا إذا اخرجت معنا . **وكان الشيخ** في مثل هذه المهمات **لا يتعدى مشورة الشيخ ناصر بن عامر الحبسي** في **بلدة الفتح** . فذهبوا إليه ، وكان عاقلا مجربا ناصحا للشيخ في جميع أحواله ، وله حكايات عنده ، فأخبره بطلب الوافدين ، فقال :

« لا تتردد في مثل هذا ، قم معهم وضمهم إلى صفك » .

فمال الشيخ إلى رأيه ، فدعا بالقبائل من هناك ، فأول من وصل : **أهل بوغفيلة ، ومن معهم من وهيبة**(١) .

فقالوا : نحن ذاهبون ، إلا أننا نقترح أن لا يكون **الجحاحيف معكم** .

فقال الشيخ ناصر : « ماذا تقولون ؟ **الجحاحيف** لا يكونون معنا ؟ وما السبب ؟ ألأنهم « **مزناج**(٢) » **يبشرون قبل الناس . نعذر الجميع و يصحبنا الجحاحيف** » ؟!.

فلما اجتمعوا ارتحلوا . فلما كانوا « **بوادي العق**(٣) » :

---

(١) قوله : أهل بوغفيلة : فرقة من آل وهيبة ، وهم المرجع لهم في المهمات .
وآل وهيبة قبيلة كبيرة في عمان من أكبر القبائل ، ولما ذكرهم الشيخ صالح بن علي في مؤلفه في الدماء ، قال : « كالجنبة والدروع . والظلمة آل وهيبة » .

(٢) قوله : مزناج : نوع من النخل أحمر الثمرة ، يأتي قبل النخل كله ، ولذلك سمي من يأتي قبل الناس بالمزناج . كما يسمى من يأتي آخرهم بالهلالي ، وهو نخلة ثمرها أبيض تأتي آخر النخل كله .

قوله : وادي العق : هو واد في الطريق ما بين العاصمة وصور وهو من فحول الأودية ، يلتقي بوادي سمائل في بلدة سرور يسكنه الندابيون .

ولما رأى الشيخ الحبسي « السيّب : المقابض » في الجبال . قبض على خطام ناقته ، ونادى الشيخ صالحا :

لا تبرح من مكانك .

ان كان الندابيون صادقين ، فليهدموا هذه السيّب ؛ لأنها ماعملت إلا عن الهناوية ، فلعلهم إذا قضوا وطرهم منا ، يرجع بهم الشف ، فيعودوا إلى ما كانوا عليه ، ونبقى نحن كأنا في سجن ، ولما سمع الندابيون ذلك أسرعوا إلى هدم المقابض ، دليلا على صدقهم ، و باتوا في الدسر .

وفي الليل قام الجحاحيف ، وكانوا خمسمائة راكب ، « ــ وهو الذي توخاه فيهم الشيخ الحبسي ــ ركبوا بغير علم من الشيخ ، فدخلوا وادي سمائل وهزوه هزا ، فأصبح الوادي يرتجف دون قتال ، دائنا للشيخ قبل أن يصل فأصبح في سرور بلا معارضة من أحد .

ونادى مناديه أن : سرورا : قطعة من بلاد الحرث ، فمن تعدى عليها ، أوعلى أحد من أهلها فكأنما تعدى علينا » . فسكنت البلاد واطمأن أهلها .

وزاد الشيخ سالم بن حمود السيابي . قال : « لما ارتحل الشيخ « صالح » عن أهل : « سرور» . و بلغ « فيصلا » الخبر قام على « الرحبيين » بكل حنق ، وكانت هوايته نكاية الشيخ صالح ، فخثى نخيلهم ، وشردهم في البلاد ، وسلط عليهم أعداءهم يلاحقونهم في كل مكان . فاستغاثوا مرة أخرى بالشيخ صالح .

ولكن الشيخ اعتذر هذه المرة ، لعدم استطاعته حمايتهم من السلطان فالسلطان أقرب إليهم منه ، فإذا سار الشيخ عنهم

تعقبهم السلطان بالتنكيل ، ــ وهم وحدهم ضعفاء ــ فبقى الرحبيون في تشريد وتعذيب طول هذه المدة ، حتى قيض الله لعمان الإمام سالم بن راشد . فالتجأ إليه الرحبيون : فنصرهم ، وأسكنهم في بلادهم ، وخفت تلك الوطأة عنهم .

وفي أيام محنتهم : تسلط عليهم بأمر من السلطان والي الوطية : رجل من أهل صحار يدعى : راشد بن سيف السيفي فقتل كثيرا منهم ، وأغرق بعضهم في البحر .

فكمنوا له مرة في مكان يسمى الرميلة : مابين الوطية ومطرح وجعلوا رابيا في الجبل يخبرهم بخروجه من بيته ، فخرج وعنده بنو عمر عسكرا ، فأخبر الرابي أصحابه بخروجه ، ولكن لما كان أجله متأخرا : فبعدما ركب ، وسار الإنذار : بدا له التأخير ، فتأخر ، وسار بنو عمر على وجوههم ، فلما وصلوا الكمين نقعت فيهم التفاق ، فمات منهم ثلاثة : « أردت عمرا وأراد الله خارجة » .

وأخبرني الشيخ سالم أيضا ، قال :

كان هلال بن أحمد البوسعيدي ، من الأغنياء الكبار في مسقط وله مآثر كثيرة : فهو الذي عمق فلج الحيل ، وضبط مجاريه في ذلك الوادي العظيم . وفي آخر عمره : حسنت حاله ، وأوقف كثيرا من الأموال في الخير ، وأعطى المتعلمين ، ولازم المسجد .

ولما صار كذلك : ضايقه السلطان « لا أدرى قال : فيصل أو تركي .

ومن شدة ماضايقه به : أنْ جلب الخنازير : حوالي ٣٠٠ خنزير ، بحجة أنها تأكل روث الخيل ، لأن الخيل

كثيرة ، فصارت الخنازير في الطرق ، وعلى الأبواب ، ويجدها هلال دائما على باب بيته ، ولم يستطع أن يقول فيها شيئا ؛ لأن السلطان يودّ أن يفعل شيئا ، فيجد سبيلا على الانتقام منه .

فضاق عليه الأمر ، ولم ير سبيلا إلا أن يرسل الى الشيخ **صالح بن علي : يخبره بالموضوع ويطلب منه القيام على رفع هذا المنكر .**

فأرسل إليه رسولا بكتاب ، وألفي قرش لنفقته .

فلما جاء الرسول : وجد عند الشيخ **صالح** المشايخ : **هلال بن زاهر الهنائي . وحمود بن سعيد الجحافي .**

فقال للرسول : الدراهم أعطها المشايخ .

فأعطى **هلالا** : ألفا ، و**حمودا** : الألف الآخر .

ونادى بالرحيل إلى مسقط ؛ ليغير ذلك المنكر ، وكتب إلى السلطان كتابا يقول فيه :

« بلغنا أنك جلبت خنازير إلى بلاد المسلمين ، وهذا خلاف أمر الشرع . فإما أن تزيل أذاك ، أو فاستعد للقاء المسلمين » .

فلما وصلته الرسالة ، قال : ماهذا البلاء ؟

أي شيء بيننا وهذا الرجل ؟ أنا أدري من أين طلعت هذه الفكرة وكأنه يشير إلى هلال .

فدعا بصاحب سفن .وأمره بتحميلها ، وإزالتها من **مسقط** . فطهرت الأرض منها .

فسألت الشيخ سالما : هل قدم الشيخ « **صالح** » بعد ذلك ؟

قال : لا ؛ لأن الغرض إزالة المنكر فزال .

• •

•

وناصر بن عامر : كان ذا عقل ورأى مما دعا الشيخ إلى الإعجاب به ، بالإضافة إلى أنه رئيس في جماعته .

جاء مرة إلى الشيخ كالمختبر له ، يقول : إن هؤلاء الجماعة أتعبونا أنا وإياك ، فأرى من الرأي : أن نسافر إلى : زنجبار ونتركهم ، فسوف يرون حاجتهم إلينا . فاستغرب الشيخ من هذا الرأي ، وضرب به على بطنه قائلا :

« كنتُ أعتقد أن هذا الكرش لا يحمل مثل هذا الرأي الميت » ،

« كنتَ عودتني منه غير ذلك » :

« نقعد هنا ونناطح القوم » ،

« فمن أراد أن يناطحنا ، فليسُنّ قرونه » .

فضحك الشخ الحبسي ، وقال :

« (النقمة الحبسية)(١) غير غال ، فيك سدس تلك الحلبة التي أوتيت لأمك مِنَ **الواصل** » .

وزاره الشيخ(٢) في مرة من المرات في « الفتح » . وصل بعد المغرب ، وقال : لا تشتغلوا بعشاء ؛ فإن الوقت لا يسع

---

(١) الحبوس مشهورون بالأقوال المضحكة .

(٢) يقصد الشيخ صالح .

لذلك . فقام الشيخ الحبسي ، وأمر بالذباح ، وصُنع العشاء ، وأتى به عند منتصف الليل . فعاتبه الشيخ على هذا التكلف .

فقال : تريد أن يشتكى علينا حصى « الفتح[1] » ومثل هذا الأكل غير غريب : يصنع لأقل الناس . فكيف لمثلك الذي يستحق لو أمكن : أن يذبح له ولد من الأولاد ؟

وفي مرة : كانوا متحلقين على الأكل ، أقام الشيخ « صالحا » من مكانه .

فقال له : اقعد في هذا المكان .

قال : ولم ؟ .

قال : إن النساء يحبْبن أن ينظرن إليك ، وهنا أنت مقابل لهن .

وكان لا يخلو من جهل في بعض الأحيان في مزاحه ؛ إذ قام يوما من المجلس ، وفيه الشيخ صالح ، فقعد يبول غير بعيد عنهم ، فصاح به الشيخ ماهذا ؟

قال : لئلا أخفي عليك شيئا[2] .

● ● ●

وكان الشيخ الحبسي : يدخن «الغليون» ، وعرف منه

---

(١) معناه : أنا سنؤذيه إذ ندق عليه جوالا .

(٢) معناه : أني أخلصت لك النصح ، وما أخفيت عليك شيئا في نفسي . فأردتُ أنْ أكمل .

الشيخ ذلك ، فاستحيا أن يقابله بالنصح ، قبل أن يرى ذلك عيانا ، فانتظر الفرصة لذلك ، حتى كانا في مجلس ذات يوم فقال الشيخ **الحبسي** للشيخ **صالح** : « وقد نظر إلى لحيته » .

أراك شِبْت ، **فهنا وجد الفرصة .**

فقال : « ومسح على لحيته » . ولكنها لم يمر عليها الدخان .

فيقال : إن الشيخ **الحبسي** بكى في الحين ، ولم يمس الدخان بعدها فكانت موعظة له ، **وهو دليلك على عقله .**

● ● ●

وحضر ذات يوم عنده في « بلدة سناو » ر « أهل وهيبة » : وكانوا قدر مائتي رجل . و بعدما قعدوا ، قال الشيخ : ومن أين جاءكم **القنوبي ؟**

فقالوا بلغتهم المعتادة : « راعي فرحه » : مافينا قنوبي .

قال : فيكم : هو هذا .

فقالوا : هذا **وهيبي** ، وليس **بقنوبي .**

قال الشيخ : بل هو قنوبي .

ثم تدخل المشار إليه فقال :

لا تجادلوا الشيخ : إنما أمي **قنوبية .**

وجاء مرة : ابن حميدان الحجري من **الظاهرة : فمر** على الشيخ ، وعند : **بن حميدان** رجل غريب .

فقال له الشيخ : من صاحبك ؟

قال : **عبري .**

● ● ●

و بعد قليل سأله مرة أخرى : من صاحبك ؟

قال : يقرب من العبريين .

وسأله بعد قليل مرة ثالثة : من صاحبك يا ابن حميدان ؟

قال : بلوشي .

قال : الآن جئت بالحق . لم لم تقل من أول مرة ؟

وهذا من قوة ممارسته للقبائل ، ومعرفته بأحوال كل قبيلة .

ومثل ذلك ما يحكى عن الوالد سليمان بن حميد الحارثي :

يقال : إنه كان في زنجبار ، وقد فارق عمان مايقرب من عشرين سنة ، فجاءه ولد لم يخط شاربه ؛ ليسلم عليه ، و بعدما قعد قال له :

أنت ولد فلانة بنت فلان ؟

قال : نعم .

فقيل له : بم عرفته ، وأنت لم تر فلانة منذ عشرات السنين ! وهذا الولد : ولد بعدك ؟

قال : شبهته عليها .

● ● ●

وذكرني بقصة التدخين السابقة : ما حكى عن الشيخ : حمد بن عبيد السليمي : أنه كان مسافرا إلى الحج في الباخرة ، فالتقى فيها بعالم باكستاني له لحية بيضاء ، لايفتأ من قراءة القرآن يحفظه عن ظهر غيب ، و يذاكر الشيخ حمدا في المسائل الفقهية ، وكان مع هذه الصفات الحميدة ،

لا يفتأ أيضا من شرب الدخان ، فتضايق الشيخ حمد منه ، وأراد أن ينصحه ، لكن بطريقة لا تؤثر عليه . وكان في كل صباح يأتي إلى مجلس الشيخ .

فذات يوم أحضر بخورا ، ومصحفا . فلما جلس عنده الشيخ الباكستاني ، أخذ «المجمر» في يده والمصحف وقال للباكستاني : أعطني من هذا السجريت :

فقال : ماتصنع به ؟ أنت لا تدخن

قال : أريد أن أبخر هذا المصحف تكريما له .

فاستغرب الرجل ، وقال : لا تفعل ، إنما هو إهانة ، وليس بتكريم .

قال : كيف والشيخ كل حين يكرمه في صدره بأن يجمع بينهما ، فنحن نقتدي بما يفعل .

فاعتبر ، واتعظ ، وبكى ، وقال :

عليّ لك أن لا أعود إلى الدخان مرة أخرى .

والموعظة إن خرجت من القلب صادفت القلب .

• • •

نرجع إلى أخبار الشيخ ذي الرئاستين ..

كان ـ رحمه الله ـ لا يَكلّ ، ولا يمَلّ ، ولا يعرف الخمول فيه موضعا ، خصوصا بعدما مات زملاؤه . ومع ذلك كله ، فالشيخ : نور الدين ، لا يسكت عنه ، ولم يزل يخاطبه كالمعاتب له على عدم القيام . فمن جملة عتابه له . قوله من قصيدة طويلة يقول فيها :

مقام في القصور على قصور
مقام مثل ربات الخدور

فنصبح مثلها ونروح أيضا   على فرح بأنواع السرور
أصالح لو تسترنا بعذر   فعند الله تكشيف الستور

ومضى يقول فيها : أصالح .. أصالح ، وهو كالسيل يلقى انحدارا .

● ● ●

وقبل أن يقتل بأيام رأى في نومه رفيقيه : الشيخ الخليلي(١) والإمام عزان في مكان مرتفع . ورأى كأن بينه وبينهما خليجا ، **وهو يناديهما** : من أين الحَقُ بكما ؟

فقالا له : من طريق « **اللجيلة** »(٢) **وانتبه** ، فبقى يفكر في هذا الجواب ، مع انه مُتَيَقّن باللحوق بهما . و بعد مدة غير طويلة ، صار قيامه على « **بني جابر** » في : **اللجيلة** ، كما حكى القصة شيخنا «**نور الدين**» في «**تحفة الأعيان**» . **فقتل الشيخ فيها ، ولحق بصاحبيه .**

وكان عند عزمه على السفر ، قد أحس أنه لا يرجع ، فقام يوصي وكيله في **القابل** وصايا تخُص حوائجه المالية ، يوصيه لمدة طويلة .

فقال الوكيل : سبحان الله : أنت لا تمكث هذه المدة كلها .

قال : لن تراني بعد اليوم .

● ● ●

---

(١) هذا يؤكد أن شيخه الوارد ، هو الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي .

(٢) قوله : اللجيلة : هي بلد من أعمال ولاية سمائل . يسكنها بنو جابر ، وهم الذين عناهم الشيخ أبو مسلم في قوله :

إذا تدخت بني ذبيانَ إخوتنا   أظهرت شما لها في العين برهان

أخبرني أبي ، قال : لما أصيب ، دعا بابنه الشيخ : عيسى . وقال له « لاتخبروا عن مقتلي أحدا . خوف أن يقع الفشل في الجيش » . « وأوصيك أن لا تقبل أن تكون شيخا على الحرث فإني ذقت منهم الأمرين » .

ولكن الشيخ نور الدين : لم يثبت هذه الوصية ، فحكم على الشيخ عيسى بقبول المشيخة على الحرث فلم يجد بدا منها .

ولكن الأيام سالمته ، ولم تخاصمه كما خاصمت أباه .

وإنْ قلنا : أنه مهّدها له ، فذلك غير بعيد . وسيأتي الخبر عن الشيخ عيسى وسيرته الغراء .

وكان علي بن سعيد الصقري ، وهو : صهر الشيخ صالح ، خال الشيخ عيسى كان يقول : أبغض الناس إلي في الأرض صالح .

وبالفعل فقد عاش معاديا له حتى مات . وبعد موته بمدة حجّ علي بن سعيد هذا ، فكان تلك الليلة وهو نائم في جمع ليلة النحر ، رأى في نومه الشيخ صالحا ، وعليه ثياب بيض أحسن ماتكون ، وأطيب ماتكون ، على هيئة عَجَزَ عن وصفها ، وذلك بعدما مات ــ أظنه قال بثلاث سنوات ــ .

قال : فقلت : صالح ؟

قال : نعم : صالح .

قلت : بِمَ نلْتَ هذه الدرجة ؟

قال : والله مانلتها بصلاة ولا بصيام ، ولكنْ بطلب ثأر

الشهيدَيْن : عزان بن قيس وسعيد بن خلفان .

قال : فانتبهت ، وقد تبدل ذلك البغض حبا .

● ● ●

قلتُ : ولعل هذا من حسن خاتمته ؛ لئلا يموتَ وهو يبغض وليا من أولياء الله .

● ● ●

وبمناسبة ذكر الرؤيا الطيبة للمؤمنين : تكون بشرى لهم .

كما قال الله عز وجل : « لهم ٱلبشرىٰ في الحيوٰة ٱلدنيا » [سورة يونس ٦٤] .

وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لم يبق بعدي من النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها العبد الصالح ، أو تُرىٰ له » .

وبهذه المناسبة : ماوقع للشيخ : عيسى بن صالح :

إذ رأى في منامه كأنه في مجلس فيه النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر بن الخطاب ، كل منهم قعد عن يمين الآخر .

قال : رأيت في يد النبي رقعة ناولها لأبي بكر فقرأها ، ثم ناولها لعمر فقرأها ، ثم ناولني إياها فقرأتها ، فإذا فيها :

« وقالوا ٱلحمدُ للهِ ٱلذى أذهب عنا ٱلحزَنَ إن ربنا لغفورٌ شكورٌ. ٱلذى أحلنا دار ٱلمقامةِ مِن فَضلِهِ لايَمَسُّنا فيهَا نَصَبٌ ولا يمسنا فيها لغوبٌ » . [سورة فاطر ٣٤ ، ٣٥] .

قال : فانتبهتُ والورقة في يدي .

وقص الرؤيا فرحاً بها على الآباء ، وكنت حاضرا أسمعه . وهو يؤولها بموته قريبا . ولكنه ما مات إلا بعد سنوات .

● ● ●

ومثل هذه البشرى : ماوقع للشيخ : جمعة بن سعيد المغيري : كان نائما بعد المغرب ، في بيته ، في بلدة الظاهر(١) فاستبطأه الجماعة في المسجد عن صلاة العشاء ، وكان إمام المسجد ، فأرسلوا مَنْ يدعوه ، وكان أعزب ، فوجده الرسول نائما ، فأيقظه ، فغضب عليه وقال : أفسدتَ عليّ ماكنت فيه ، هذه حورية تعطيني فاكهة من الجنة ، وهذه الرائحة في يدي » .

قال الراوي : فشممت الرائحة في يده .

ثم قام فتوضأ ، وأمّ الناس ، فلما كان في سجوده في الركعة الثانية ، قُبِضت روحه .

فما كانَ بين الرؤيا وتحقيقها إلا قدر نصف ساعة رحمه الله ورضي عنه . ولهذا الشيخ أخبار نذكرها إن شاء الله في محلها .

نعود إلى إتمام أخبار الشيخ صالح :

توفي ولده : عبد الله في سابع ذي الحجة ، فحزن عليه حزنا شديدا ، كاد أن يورثه الذهول حتى أنه خرج يوم العيد للصلاة ، دون أن يغير ملابسه . فلما كان في طريقه إلى المصلىً ، لاحظ ذلك من نفسه ، فرجع إلى بيته وهو يعاتب نفسه يقول : إذا سألك ربك لم خرجت لصلاة العيد دون زينة ؟ أتقول له : لأنك قتلت ولدي ؟

فاستغفر من ذلك ، وغير ملابسه ، وعاد للمصلى .

وكان الشيخ كثير الحلم : أظهر عليه مرة جماعته الغيوث العناد بسبب تضييع سالفة بين الحرث والمساكرة ؛ فسار إليهم في قريتهم : المعترض : من سفالة إبرا . فلم يجد منهم وجها ، بل تفرقوا عنه ، وتركوه وحده ، فتبعهم ، ودخلوا

بيوتهم ، وأخيرا قالوا له : الرأي مع فلانة : أمة من إمائهم ؛ استهزاء به .

فأيس منهم ، وخرج يفكر في حربهم . ووقف حائرا تحت ظل سمرة بين المعترض والسباخ ومن شدة مايجد من الحرج في نفسه في تعطيل الحق : دعا الله عليهم فما غربت الشمس إلا وقد مات من الغيوث سبعون شخصا ، نزل عليهم الطاعون ، فلما رأوا ذلك هرعوا إليه تائبين مذعنين للشرع ، فارتفع عنهم .

سمعت هذه القصة من والدي رحمه الله .

● ● ●

كما سمعته يقول : وكان خادم يقال له : العبندو : يسكن القابل يبغض الشيخ ، فإذا رآه في طريق فر عنه الى طريق آخر ، يقول : إنه لا يحب أن يلقاه فيضطر بالتسليم عليه . وفي ذات يوم لقيه فجاءة في طريق ضيق لا يجد ملجأ فيتوارى عنه ، فانكب بوجهه على الجدار حتى يمر الشيخ ، فقبضه من عنقه ، وقال له : من سيطالبني فيك إذا خلطت وجهك بالجدار . لكن « لله در التقوى لم تدع لذي غيظ شفاء » . وتركه وذهب عنه .

لكن واحدا من بني عم الشيخ لم يمتدح التقوى حين لاقته خادمة تخصه فبصقت ، وكان من عادة الإفريقيين إذا رأوا من يكرهون بصقوا ، ـ فلما لاقته و بصقت ـ وكان في يده غلق حديد ، ضربها به على أنفها فصرعها ، ولها خوار في دمها .

● ● ●

وأم الشيخ صالح : من أولاد الحضري . فخذٌ من

فخوذ الحرث . وسبب تزوج أبيه بها : أنه أغار هو وأبوها : علي بن سعيد :على بلدة اليحمدي ، في جملة الحروب الدائرة بين : الحرث والمساكرة التي ابتلى بها أهل عمان .

وكانا على حصانين عاهِرَيْن من أقوى مايكون من الخيل .

فلما قربا من البلاد ، قال علي بن ناصر ، لعلي بن سعيد :

أتقبض الخيل أو تغير ؟

قال : وكانت عندى الإغارة أهون من قبض الخيل .

فأجابه : ما تحبه فعلته .

قال : اقبض الخيل ، فقبضهما .

فذهب علي بن ناصر ، ودخل البلد ، فقتل رجلا ، فانقضت البلاد صياحا ونقعا .

فما أن سمع الحصانان ذلك : إلا وكادا يطيران في الهواء : فصارا يتهارشان : كل واحد منهما واقف على رجليه ، و يداهما على رأس قابضهما ، وقد قبض كل واحد بيد .

قال علي بن ناصر : فلم أشك في أنهما سيغلبان عليه ؛ لما أعرف من حالهما ، فنروح ضحية . لكن من شهامته وقوته بدل أن يسحبانه عن البلاد ، سحبهما إلى البلاد ، وقربهما مني ، فركب كل منا حصانه ، وذهبنا ، والصائح خلْفنا .

قال : فأضمرت في نفسي : إن كان له بنت تزوجتها ، فلاشك أن ولدها سيكون نجيباً . و بالفعل ، فقد خطب إليه ، وزوجه ابنته : فأنجبت هذا العبقري القوي

الذي ينبغي أن يقال في حقه : « عجزت النساء أن تلد مثله » .

واعتنت أمه بتربيته اعتناء شديدا ، لم تعتن بأخيه بعده ، والذي كان أبوه غير أبي الشيخ فقيل لها في ذلك : فقالت : « إن هذا ستكون عليه مسؤولية لا تكون على أخيه » . حتى أن من حرصها عليه ، دعت « بزطية »(١) فأرضعته : تعتقد في ذلك ، أن الله تعالى وهب الزط ألسُنا لم يهبها لغيرهم .

وقالت : إن هذا الولد سيُخاصِم و يُخاصَم ، فإن كان لا يعرف أن يتكلم ، فكيف يَبزُّ خَصْمه ؟

وما أخطأت فراستها .

وقد سمعه بعض شانئيه يتحدث في ملأ من الناس ، وصوتُه يُسمع من بعيد ؛ لأنه إذا قال أسمع .

قال : « ما قصرت تلك الجرعة » .

ومات عنه أبوه وهو صغير ، وكذلك جده ، مات بعد موت ولده ، في وقعة « سيوى » في جيش السلطان : سعيد بن سلطان ــ القتال المشهور ــ ولما انحازت الفتنة . ، فقد

---

(١) قوله « بزطية » الزطية : امرأة من الزط ، والزط : جيل معروف ، قيل إن أصله من الهند .

قال في مختار الصحاح : الزط جيل من الناس الواحد زطي .

عيسى بن صالح ابنه ناصر(١) فالتمسه فوجده بين القتلى . فدمعت عينه ، وكان الوحيد عنده ، ولم يكن له ابن غيره ، فلما رآه السلطان قال :

« إن يوما دمعت فيه عين عيسى ليوم عصيب » .

وأظهر للشيخ أكابر جماعته عداوة فائقة ، وكلهم يعتقد أنه رئيس مثله ، ولكنهم يذوبون عند حضوره ، حتى قال بعضهم في مجمع من الصحبة : **إذا وجدتم أفعى وصالحا ، فابدؤا بقتل صالح قبلها**(٢)

وراشد بن عامر الغيثي : كان من ألدّهم وأشدهم . وكان الشيخ يلتمس غرة لتأديبه ولكن تأديبه لا يحصل إلا بفرقة بين الجماعة ، يتحاشاها الشيخ ، حتى إذا وصل الإمام **عزان بن قيس** إلى إبرا ، وجد الشيخ الفرصة لتأديب راشد . **فأغرى الامام عليه ،** فطلبه الإمام . فأراد الامتناع . ولكنه فكر ــ وكان رجلا عاقلا ــ أن لا قِبَل له على مخالفة الإمام ، فعزم على تلبية الدعوة ، ومقابلة الإمام .

---

(١) الشيخ عيسى بن صالح بن علي بن ناصر بن عيسى بن صالح بن عيسى بن صالح ، فعيسى بن صالح الأول هو العلامة المترجم له فيما بعد وعيسى بن صالح الوسط هو الذي ترجمنا له أيضا في الرسالة ، وعيسى بن صالح الأخير : هو أبو العائلة كنها من أولاد صالح وأولاد حميد ، فأولاد صالح أبوهم صالح بن عيسى ، وأولاد حميد الذين منهم مؤلف هذه الرسالة أبوهم محمد بن عيسى .

ولد الشيخ صالح بن علي : شيخ الشيخ السالمي في سنة خمسين ومائتين وألف . ومات في سنة أربعة عشر وثلاثمائة وألف هجرية . وولد الشيخ عيسى بن صالح : تلميذ الشيخ السالمي في سنة تسعين ومائتين وألف ، ومات في سنة خمسة وستين وثلاثمائة وألف هجرية .

(٢) هكذا العظماء يكثر عليهم الحساد والمبغضون .

لكن نفسه الأمارة بالسوء ، سولت له ، إذا أمر الإمام بقيده : يهجم على الإمام فيقتله ، وأخبر بذلك أصحابه المنضمين إليه : وكانوا قليلا من جماعته ، وعبيد عنده ، أما أكثر جماعته فلا يقولون بقوله .

فقال لمن حضره : إني ذاهب إلى الموت ، ولا يدري أحد عنكم ، فمن كان في قلبه وهن . فليتأخر عني ، وأنا أعذره . فتأخر البعض وصحبه آخرون . فلما كان بمرأى من القوم التفت إلى مَن عنده ، وقال لهم بذلك القول السابق ، فتأخر بعضهم ، وذهب بمن بقي عنده . وقد بدا على وجهه البأس .

وكان الإمام هَمّ أن يأمر له بسجن : ولكن من رأفة الشيخ صالح ، وطلبه جمع الشمل ، سارّ الإمام وكان قاعدا بجنبه أن لا يفعل براشد شيئا ، وسننظر له فرصة أخرى .

فوصل راشد ، وسلم على الإمام فقط ، وجلس قبالة وجهه ، كأنه على الرضف ، وأظهر للإمام الطاعة .

و بعد جلسة خفيفة قال للإمام :

أستأذن ، وغداؤكم هذا اليوم من عندي .

فسارّ الشيخُ الإمامَ أن يوافقه على ذلك ، فوافقه . وأحضر لهم من الكرم مايليق بمثله .

وراشد هذا : ذو نجابة منذ صغره .. فيحكى عنه : لما وقعت الفتنة بين الغيوث وأهل سناو: وكلهم : حرث : يسكنون سفالة إبرا . وقعت الفتنة بينهم في السوق ، وخرج بقية الحرث من السوق ، وأغلقوا عليهم الأبواب ، فتقاتلوا حتى كادوا أن يفنوا .

وكان « رشيد » أهل سناو قاعدا في جانب من السوق . فضربه «غيثي» بسيف في وسطه قطعه نصفين ! ولقوة مضاء السيف ، لم يتغير عن حاله ، بل بقي النصف الأعلى فوق النصف الأسفل على هيئته ، ولم يعرف جماعته أنه مقتول . فجاء واحد ، فحمل لوح ملح فرماه به فسقط . وهنا تشبع الفريقان ، فوقفا عن بعضهما البعض ، وانحاز كل إلى مكانه .

فجاء عيسى بن صالح ـ جد الشيخ ـ ، ليصلح بينهما . فلما كانوا مجتمعين ، وراشد بن عامر المذكور ، كان إذ ذاك في سن الثامنة عشر ، أو التاسعة عشر ، وكان حاضرا عند جماعته . ولما أجرى الشيخ الصلح على أن يهدم كل شيء مضى وتحسن السيرة في المستقبل .

تحرك راشد بعض الشيء .. قال راشد بن سعيد ، وهو زعيم الغيوث يومئذ ، لراشد بن عامر : ماعندك ؟ أنا عفوت عن دم أبيك ، وكان أبوه قد قتل في المعركة .

فقال الصبي : لا يهمنك أيها الوالد ، فامض إلى ماشئت ، ودم أبي أنا لم أتركه لك ولا لغيرك ، بل أخذت بثأره مضاعفا في المعركة بهذه الحدباء . وأشار إلى «كتارة» في يده .

يقال : إنه على أثر هذا الكلام صارت سكتة كادت أن تنفجر الحرب بسببها . ولكن الله ألهمهم التمسك بالصلح ، فما جرى بعدها شيء يذكر ، إلا : المهارشات والمخاصمات الخفيفة التي لا تستحق الذكر .

ومن الشانئين للشيخ « صالح » : سعيد بن علي

البرواني .. ولكنه أخف من صاحبه ، وكان الشيخ كثيرا ما يتألفه :

كان إذا صار اجتماع لبعض القبائل في منازعات : يَعِدهم الشيخ عند سعيد بن علي ؛ ليُظْهِر له أن له مكانة عنده وتقديرا ، حتى أنه أراد سعيد السفر إلى زنجبار فجاء بعض السطحاء إلى الشيخ فقال له : أبشرك أن سعيد بن علي سيسافر .

فغضب عليه ، وقال :

تبشرني بسفر سعيد ؟ ألم تعلم أن سفر مثله نقص علينا ؟ لا تهمنا عداوة سعيد ، فإنها عداوة عاقل بل يهمنا غيره ، من يحضر و يضمر السوء . (ا هـ) .

●●●

أما غير سعيد من أكابر الحرث : فكان يفرض عليهم الواقع فرضا ولا يستطيعون خلافه .

كما وقع لراشد بن عامر وجماعته في بلدة مضيرب .

حين جاؤا مناصرين للدغشة وكانوا حلفاءهم .

وذلك أن قضية للدغشة ، وقعت : وجاء الغيوث مناصرين لهم على خصومهم ، وصادفت قضية أخرى : هي أن خادما لحمد بن سعيّد الغيثي هرب ، فصادفه رجل من المحارمة ، وهم : حرث كذلك ، فعرفه ، فأراد أن يقبض عليه ، ولكن الخادم كان مستميتا فنقع في المحرمي فقتله . فوقعت الفتنة بين الغيوث والمحارمة فجاء راشد بن عامر من إبرا لإشعالها .

فركب : الوالد سليمان بن حميد إلى الشيخ : يطلب منه أن يحضر لكف الفتنة .

فقال الشيخ : أنتم هناك ، وأنا لا أتدخل في أمور «المضيرب» مادمتم أنتم موجودين .

قال الوالد : لكنا ندخلك في المسائل الكبيرة كهذه .

قال : أنت تريد أن يهزأ بي راشد بن عامر .

قال : لا يضرك .

فلم يجد الشيخ بدا ، فدخلا على القوم في مجلسهم ، فكانا كلما وقفا على رأس رجل قام ، ومد لهما يده ، وقعد . كل ذلك استخفاف .

ولكن الشيخ لم يثنه ذلك : ولم يراع تكبُّرهم ، بل صاح فيهم :

ان هذه قضية يكفيكم غيركم القيام بها ، وأنتم مرفوق عليكم البقاء في هذا البلد ، فارجعوا .

و بالرغم من تزمتهم وتعنتهم ، لم يُمْس على أحد منهم المساء إلا وقد ارتحل .

ومثل هذه القضايا كثيرة ، وقد قدمنا بعضا منها .

●●●

ومن الحرث مَن تغلب عليه المروءة .. فيعترف بالفضل لأهله .. كما يحكى عن : ماجد بن سعيد المعمري الحارثي .

كان يسكن الباطنة .. وله بيت وأولاد في .. إبرا .. فجاء مرة ليزورهم ، فوجد عيسى بن صالح ، وقد ح في بعض

منـاوشـاتـه ، وخيّم في شريعة الزويد . فلما وجده ما رَضِيَ أن يـدخـل بيـته على طول المدة التي غاب فيها ، بل لازم عيسى في مخيّمه . وقـال : لا تـسـمـح لي نـفسي أن أترك عيسى جريحا في مخيمه ، وأنا أدخل بيتي كالمستبد عليه ، وصار يُؤتَى بالأكل كل يـوم مـن بيته إلى مخيم عيسى ، حتى برىء ، وراح ، فدخل بعده بيته .

ويحكى عن ماجد هذا أنه كان في زنجبار ،

وكان النصارى ممنوعين عن المبيت في أرض زنجبار ، فإذا أدرك الـنـصـراني الليل ، بات في البحر . وذات ليلة وجد ماجد نصرانيا بعد المغرب .

فسأله : لم أنت هنا ؟

قال : سُمِحَ لنا بالمبيت في البلد .

قـال : « سـقـطـت زنجبار ، وليس لنا فيها قرار » .

فباع أمواله وخرج إلى عُمان .

● ● ●

ومنهم حمود بن سالم البرواني

وقصته مع آل وهيبة .

كان حمود بن سالم هذا قرنا من قرون الحرث ، وكهفا لمـن زاره .. فـكـان ذات يـوم في مجلسه ، فرأى ركبا قادما إليه . فقال لخدامه : هؤلاء ضيوف ، فلا تحوجوني إلى أمر بشيء ،

بـعـدمـا يَصِلُون : بـعـضـكـم يتكفل بطعام الرّكّاب ، والـبـعـض يتكفل بالجداد لها ، و بعضكم يتكفل بإحضار القهوة على كـل عشر دقـائـق ، و بـعـضـكـم يـتـكـفـل بالذباح ، وتهيئة الأكل .

حتى إذا حضر تدعونهم إليه من غير أن تسألوني عن شيء أو تستشيروني في شيء .

فإذا الركب القادم آل وهيبة ، فاستقبلهم ، وأنزلهم ، وقعد معهم منذ وصولهم إلى أن دُعوا للغداء . وقام الخدم بكل واجب ، فاستغرب الضيوف من هذا الشخص الذي لم يفارقهم ، ولم يأمر بشيء في قِبَلهم . ومع هذا فكل شيء متوفر لهم ، ولركابهم !.

وكان أهل وهيبة دهاة .. بعد الفراغ من الأكل أخذوه في نجوى .

وقالوا : نحن نريد أن نكلم جماعتك أن تكون شيخا عليهم ، ونسعى نحن في ذلك ، حتى يتم لك الأمر .

وكان المشايخ صالح وأخوه يومئذ صغارا ..

والحرث لم يقدموا شيخا بعد وفاة والدهما .. لكن **حمودا** لم يستفزوه بهذا الكلام .

أجابهم : إن الحرث يعرفون الشيوخ عليهم فإن كان اليوم شيوخهم صغارا ، فسيعودون كبارا ، وما يحق لأحد من **فخائذ الحرث** أن يأخذ عليهم حقهم فيها .

أما أنا .. فعندي هذه : الصينية : متى أردتموها ، والتمسوا غيري تضحكون عليه .

وحمود هذا : كان ذا ثروة . يسكن **النطالة** بسفالة إبرا فجاء الوادي ذات مرة ، فأخذ شيئا من جدارها ، فغره زهوه ، **فصاح على الوادي** : أن ائت من (وريد فمادونه) وأنا ألاقيك هنا بقوتي من : **الكونجو فما دونها** . وقام على الجدار فاجتهد في ترصينه . وكان ذات يوم واقفا على الجدار والوادي سد الآفاق

.. فمرت عليه عجوز حملها الوادي ، فصاحت به :

في جوارك ياراعي النجم ــ وكان لقبه ــ فناداها : في أمان الله أيتها العجوز ، لا نتعرض للمسافرين .

فمرت العجوز : ولكن العمر حصن حصين : حملها الوادي إلى أن كانت في الرميلة مكان حدرى إبرا ، فخضع الوادي هنالك .

ومن الصدف : لما خضع الوادي : كانت هي على سمت شجرة ، وقفتْ فوقها حتى جاءها الصريخ بعد انقطاع الوادي ، فوجدوها حية فوق الشجرة ، ومن الغريب أن في يدها إبريقا جاءت به لتأخذ ماء من الوادي فحملها والإبريق في يدها ، فما انفك عنها طول هذه المحنة ، حتى رجعت به إلى بيتها .

● ● ●

ومن المؤسف له سوء خاتمة هذا الرجل ــ والعياذ بالله ــ :

أصابه مرض ، وصف له أن يشرب **الحرمل** ، فكان الخادم يأتيه به كل يوم . وفي يوم من الأيام أتاه **بحبن** .. فقال له هذا حبن ، وأنت تدري أنه سم ، لكن ليقال إني أخاف الموت ، فيتحدث عني بذلك ، اسقني إياه ، فشربه فمات .

وترك ابنا من بعده : ورث الأموال الجزيلة ، فأسرف بها في لهوه ولعبه ومن شدة لعبه ، أنه باع كل شيء يملكه ، فباع كل جزء بقرش .. ماتحمله اليد بقرش ، والبيت بقرش ، والنخلة بقرش ، فخرج من تلك الأموال الكثيرة بقروش يسيرة ثم سافر إلى زنجبار . فعاش بها حقيرا ذليلا .

يقال : إنه عاش يبيع القهوة في سوق زنجبار و ينام في الطريق ، وصدق المثل عليه :

إذا أطلع الدهر حرا نجيبا فكن في ابنه سيء الاعتقاد
فلستَ ترى من نجيب نجيبا وما تتركُ النارُ غير الرماد

• • •

وليس هذا بمطرد . فالله حكيم يخرج الحي من الميت ، كما يخرج الميت من الحي . ولكنها إرادة الله يفعل في خلقه مايشاء ، وهذا شيء مألوف ، والتوفيق بيد الله .

خبر الشيخ عيسى بن صالح الوسط

هو جد الشيخ صالح الرابع ..

ومناسبة ذكره : لما ذكرنا احتجاج الشيخ **صالح** على **آل وهيبة** واستعمار **الجنبة** لهم ، وما أنجاهم من هذا الاستعمار إلا **عيسى** هذا ، **سنذكر طرفا من أخباره .**

كان قويا ضخم البنية ، شجاعا ، لا يبيت ليلة إلا ضاربا أو مضروبا .

وأشد الناس عداوة له : « الجنبة الغربيون » .

حتى أنه قال : « أسأل الله إذا مت قتيلا ، أن لا يكون قاتلي إلا « الجنبة الغربيون » . فإنهم أكفاء لي » .

وقد حلف أنه لا يرى جنيبيا إلا قتله ، أو يُقتَلُ دونه .

●●●

وكان ذات يوم مريضا : فسمع تغريد **الجنبة** ، فركب بمرضه حتى لحق بصاحب الصوت وقاتله حتى قتله .

وَالْتقى ذات يوم برجل من شجعانهم المشهورين يسمى : **ولد مريّم .**

فتجالدا من الصباح إلى المساء ، ثم أثخن عيسى صاحبه بالجراح . وكان **ولد مريّم** هذا من المشاهير الذين لا يخط غبارهم . فلما حُمِلَ إلى أمه جريحا .

قالت : لا يدخل البيت ، اتركوه خارجا حتى أعرف صاحبه ؛ لأني أعتقد أنه لم يلد أحد مثلي ، وما كان ولدي ليهزمه رجل مثله . لكن يُترك هكذا بجراحه حتى أسافر ، فأنظر هذا الرجل الذي تفوّق عليه ، فإن رأيته أهلا لذلك : عذرْتُ

ولدي ، ورجعتُ إليه فداو يته . وإن يكن غير ذلك ، تركته حتى يموت .

وبالفعل سافرتْ إلى **القابل** ، بلد **عيسى** ، وأخذت معها هدية ، فلما وصلت سألت عنه ، فدلت علي بيته . فلما جاء هو إلى البيت ، وكانت قد مرتْ عليه فوق جدار يَبْني ، فلما جاء إلى البيت عرفْته ، فقالت : أنت عيسى ؟

قال : نعم

قالت : « بالحل » :

أنا جئت زائرة لك ، أنا **مريّم** ، ولي حاجة فيك ، (أريد منك حطة)(١) فلم يجبها **عيسى** ؛ بأن هذا حرام . بل أجابها بقوله :

تريدين أن أغني **الجنبة** ، أما يكفي ذلك الشعلة الذي ولدتيه من قبل ، وأعطاها عوض هديتها ، ورجعت إلى ولدها راضية عليه ، إذ كان ذلك الرجل قرْنُه ، وداوته حتى برىء .

وعاود النزال مع **عيسى** .

وذات مرة : كان يُطعِم ناقته ، فصاح الصائح ، فركبها من غير مهاد على رِجْل واحدة ، ركّز إصبعه الإبهام تحته ، ولما رجع من الصائح ، وجد إصبعه غائصة في ظهر الناقة ، وقد أخذت مقعدته جلد الناقة الذي تحتها . والله أعلم .

وجاءه العيد ذات مرة ، وزوجتهٔ ناشز عليه في بيت

---

(١) معناها : أنها تريد منه أن يسافحها ، حتى تحمل منه ،

أهلها ، وهي بدوية ، **مغيرته**(٢) تسكن البادية ، فنوى أن يذهب إليها ليرضيها . فرآه ابن أخيه يتأهب وكأن عنده رحلة ، لكنه لا يجسُر أن يسأله ، فكمن له من بعيد ، وركب خلفه حتى رآه وصل بيت أصهاره ، فأرضى المرأة بعد جدال طويل :

اشترطت عليه أن تركب هي ، و يقود الناقة هو إلى القابل فرضخ للشرط ، وفعلا قاد بها حتى أوصلها بيته قبيل الفجر .

فياعجباً للأسد تقنصها الظِّبى

وكم ظبية صيدت ونيل مرامها

وما أشبه قصتهما بما يروى عن **الحجاج وهند** ، **ولكن الحجاج** مرغم على ذلك من قِبل الخليفة ، وهذا مرغم من قبل الحب .

●●●

وجاء مرة إلى برزة السلطان سعيد بن سلطان ، فدخل عليه ، وكان عند قدومه هو وأصحابه لهم زجل ، فسأل السلطان عن القادمين ، فقيل له : إنه عيسى .

قال : لا يقدر عليها غيره .

فرحب به ، وسأله عن حاله ، فقال : مارأيت الخير إذ أرى هذا الوجه بجانبك : يعنى الشيخ محمد بن ناصر الجبري ، وكان حاضرا في المجلس .

فاستغل الفرصة ناصر بن علي الغفيلي ، **فأخذ الشيخ الجبري نجيا ، فقال له :**

---

(٢) قبيلة في البدو تخص الحرث .

إني سمعت عيسى يحلف أنه يذبحك ولو في برزة السلطان ، فتول في الحال عن الشر ، وأنا لك ناصح .

فخرج الجبري من مسقط .

فقال ناصر : الآن استرحت .. سيقال لما وصل عيسى هرب الجبري ، وماذاك إلا لأن عيسى هناوي ، والجبري غافري فقط .

والشيخ الجبري هذا .. حكى لي عنه الشيخ سالم بن حمود السيابي ــ أبقاه الله ــ قال : محمد بن ناصر الجبري : طاغوتا من طواغيت عمان ، وهو الذي جلب الشر إلى عمان . والسبب في ذلك :

أنه كان في يده حصن بدبد ، وحصن سمائل . وهو يخدم بكل إخلاص السلطان : سعيد بن سلطان ، وأخاه سالم بن سلطان ، وكان خالهما ، وفي أوامرهما ، فساء تصرفهما فيه .

وذلك أنهما أرادا نزع الحصنين المذكورين من يده فاستعملا زهو الملك ، فأرسلا إليه يطلبانه .

فقال له بعض نصحائه : إنهما يريدان بك سوءاً فلا تذهب .

فقال : ما كانا ليفعلا ، وليس هنالك داع إلى السوء ، ولكن سوء التصرف وحب الملك .

فلما دخل من الباب قهره الرجال ، وكبلوه بالحديد ، وحملوه على حمار حتى وصلوا إلى قنْجا . فطلبوا منه أن يكتب لمن في حصن بدبد أن يسلموا الحصن لأصحاب السلطان . فكتب .

ثم لما وصلوا سرورا ، طلبوا منه أن يكتب لمن في حصن سمائل أن يسلموه لأصحابهم ، فكتب .

ولما ظنوا أنهم تمت لهم الأمور ، أرسلوا إليه أنك ممنوع من سكنى سمائل : فاختر إما مسكدا أو الحفري .. فقال : أختار الحفري . ولكني أطلب منكم عشرة أيام اتخلص من التبعات . فأعطوه وراحوا عنه .

يقول الشيخ سالم .. وهذا إخلال بالحزم .. تحرشوا بالثعبان واستهانوا به . وفي المثل يقول الشاعر العربي :

لا تقطعن ذنب الأفعى وترسلها
فإن فعلت فأتبع رأسها الذنبا

لما خرجوا عنه ..

توجه إلى الطاغية الثاني ، حميد بن ناصر العطابي فشكا إليه معاملة أولاد سلطان بن أحمد . فأعطاه حصن إزكي : فجهزه بما يحتاج إليه ، وارتحل إلى نجد يتمثل بالمثل العماني : اكفُر ولا تُغلب فاستعان بأهل نجد فأمدوه بالرجال وكانوا يتمنون لو يجدون سبيلا إلى ذلك فوجدوه . فعاث أهل نجد الفساد ، وصاروا نقمة على أهل عمان .

وستأتي أخبار هذا النجدي ، وما جره من الوبال في عمان ، وما صار من الحروب الطاحنة فيها ، وابتُلي بهم أهل عمان بلاء شديدا لا سيما حكام مسقط .

وذلك ثمرة سوء التصرف . والأمر لله .

وأخبرني الشيخ الرقيشي ــ رحمه الله ــ قال :

لما تمكن الجبري من حصن إزكي ودان له ذلك القطر ، تجبر على الناس تجبرا شديدا ، واتخذ عباد الله خولا ،

له أحاديث كثيرة في تسلطه على الناس . فمن جملتها على سبيل المثال :

احتاج إلى جذوع لحصن إزكي ، فأمر العوامر أن يأتوا له بها من القلعة على رءوسهم ، ولا يسمح لهم أن يأتوا بها على الحمير ، ولا يجدون بدا من الامتثال ، فكان واحد منهم أحس من نفسه قوة ، وقال : أحمل جذعين ، ليفرغ ما على من القسط . فلما رآه جاء بالجذعين معا . قال له : من أمرك بهذا ؟

قال : أردت أن أسارع بتنفيذ أوامرك .

قال له : رد أحد الجذعين ، وأت به في الغد .

فرده المسكين ، ولم ينفعه اجتهاده ، ومثل هذا التعسف كثير (اهـ) .

● ● ●

رجع إلى خبر عيسى بن صالح ..

ومرض ذات مرة .. فعاده ابن عمه عبدالله بن سليمان من المضيرب بعد المغرب ، فسأله عن حاله ، وماذا يشتهي ؟

قال : لا أشتهي شيئا من الأكل إلا أن يكون سفرجلا وأنى لي به !؟

فقال عبد الله في نفسه : أظن أن في أرض ابن عمنا عمرو بن عامر ، في سفالة إبرا يوجد السفرجل ، فأنا أذهب فآتيه منه .

وكان عمرو بن عامر هذا ، عنده شيء من علم الحرف وقد حمى بستانه بثعبان خيالي يخاف من دخله من ذلك الثعبان .

ولكن عبدالله يعرف أن ذلك الثعبان لا يؤثر عليه ، لذا دخل فأخذ السفرجل ، ورجع إلى القابل ، فوجد الناس الذين كانوا عند عيسى خرجوا يصلون العشاء ، فناوله السفرجل .

فقال : ذهبت إلى إبرا وأنت على رجليك ، ورجعت في هذا الوقت ؟

قال : لو ركبتُ لما رجعتُ إليك في هذا الوقت .

فقال : اذهب لئلا يراك أحد ، فتصيبك العين .

● ● ●

وكان له خادم .. فطلب عليه قميصا للعيد .

قال : لا أجده ، لكنك إذا أردتَ فاذهب إلى «الواصل» وأت بطاقة الأمريكان التي نصبت هنالك لمن يقحمها ، فذهب الخادم ، فوجد الطاقة نصبت كمَعْجَزة ، من اقتحمها على طولها ، وهي أربعون ذراعا ، طواها وحملها .

و بالفعل فقد تجاوز الخادم هذه المُعْجَزَة ، وطوى الطاقة ، وذهب بها إلى سيده ، ولم يكلم الحاضرين .

وعبد الله بن سليمان الذي ذكرناه ، كان من القوة بمكان ، وهو صاحب الفرظ .

وسببه : أنه كان يطارد عدوا فالتجأ عنه إلى نخلة فرظ فضرب به عليها فقطعهما جميعا من ضربة واحدة .

وسبب انتقاله إلى بني عمه : أنه احتاج ، فرهن السيف على فلج القابل . بواسطة وكيله ، فعجز عن فك الرهن ، فبقى مدة حتى احتاج الفلج إلى دراهم . فالتمس الشيخ

صالح بن علي هذه الدراهم ففك رهن السيف ، وصار بيده ، فنسب إليه(١) .

وكان عبدالله هذا يتسوق من سوق مطرح ولا يركب ، بل يمشي طول عمره ، ولم يعهد عنه أنه ركب ، وعنده حمار يحمل عليه متاعه ، و يسوقه أمامه ، وهكذا شأنه .

وشعره الذي على بطنه وصدره وكتفيه استغنى به عن القميص .

وفي مرة من المرات وهو خارج من مطرح ، قطع له في الطريق بعض اللصوص ، فأردوا أن يسلبوه ، وكانوا جملة ، فقعد لهم على أصل شجرة وشهر سيفه ، وقال : من أراد أن تثكله أمه فليقرب ، فحاولوا مدة طو يلة أن ينالوه ، ولكنهم فشلوا وراحوا عنه .

فلما أخبروا بذلك علموا أنه عبد الله بن سليمان ، فجاؤا معتذرين ، فأنكر هو أن أحدا اعترض له .

• • •

وكان رجل سابقي يهبط سوق «المضيرب» على جمل كبير . وكان إذا وضع حمولته في السوق وخرج ، وتوسط بين النساء ، يقفز على جمله من الأ رض ، وكان هذا شأنه .

فأخبر عبد الله بن سليمان عنه ، فكمن له قرب

(١) يعني السيف الذي هو في يد المشايخ أولاد صالح يتوارثونه ، و ينسبُون إليه ، فيقال للواحد منهم « راعي الفرظ » .

المكان ، وقبض في يده قطعة جاعد(١) . فلما قفز السابقي على الجمل ، قفز هو بين كتفيه ، واضعا الجاعد تحته ، فصاح السابقي :

قال له : لتعرف أنه يوجد من هو أقوى منك ،

أنت تظهر شطارتك للنساء . فحلف أنه لا يعود مرة أخرى ، ولا يركب إلا من خارج البلد .

● ● ●

وكان مشهورا بشرب «السمن» . وكان يشرب المن المسكدي ــ عبارة عن أربعة كيلوات ــ يشربه دفعة واحدة . وربما استغنى به عن الأكل .

● ● ●

والتقى مرة بقيس بن أحمد في مطرح . فقال له : تعال نأكل حلوى فجاءا إلى بائعها ، فأكل كل واحد منهما منًّا مسكديا :

فقال قيس : زدنا كل واحد نصف مَنٍّ .

فقال عبدالله : لكني لا أستطيع .

فبَزّه في أكل الحلوى . كما بز عبد الله قيسا في شرب السمن .

« يزيد في الخلق ما يشاء » .

(١) وهو جلد كبش يستعمله العمانيون فراشا على الراحلة إذا ركبوها .

أخبار الشيخ عيسى بن صالح الأول

كان الشيخ عيسى من أهل الورع ، والتحرّي للحق ، ولاتباع السنة ، كما وصفه الامام محمد بن عبدالله الخليلي بقوله :

«كان الشيخ عيسى أشدنا حرصا على اتباع السنة» أوقال : « أحرصنا على اتباع السنة » .

وهذا القول سمعته بأذني منه ــ رضي الله عنه ــ .. وكان الامام يعلم المتعلمين الصلاة ، ويقول لهم : هكذا كان يصلي الشيخ عيسى .

ولا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أهل الفضل .

وسمعته أيضا ، وكنت في مجلسه يسأل الشيخ صالح بن عيسى بعد موت أبيه : هل يُرى على قبر الشيخ نور ؟

فقال صالح : يُذكرُ ذلك ، ولكني لم أره .

قال الإمام : إن أهل عمان يقولون : إن النور على القبور كرامة .

وأنا أقول : إن الموت على الاستقامة هو الكرامة ، والشيخ ممّن مات على الاستقامة ، فليس معناه إذا لم ير على قبره نور ، يكون ذلك نقصا في كرامته .

ومن جملة ماسمعت من الإمام يحكى عن الشيخ نورالدين يقول :

يُؤتى للشيخ «بالنصلة» لينظر جودتها ، فيرفعها إلى

أنفه ، يظن من يراه أنه يشمها ، وليس كذلك . إنما كان عند الشيخ بقية بصر لكنه ضعيف ، ولذلك يقرب الشبح من عينه لينظره لا ليشمه .

وسمعته وقد سأله بعض تلاميذه عن الجمع بين الأختين المملوكتين ، فقال :

اختلف فيها ابن عباس وجابر بن زيد ، فواحد منهما أجازه اعتمادا على قوله تعالى : « أوما ملكت أيمانكم » ، ومنعه الآخر اعتمادا على قوله تعالى : « وأن تجمعوا بين الأختين » .

قال سائله : فما ترجح أنت ؟

قال : أقول لك .. اختلف فيها ابن عباس وجابر بن زيد ، فما عسى أن يكون قول محمد مع هذين الحَبرين . ولم يجبه بغير هذا (اهـ) .

ويخبر الشيخ عيسى عن نفسه تحدثا بالنعمة ، يقول : ماعصيت الله بكبيرة تعمدتها من صغري .

وفي ليلة وأنا في شرخ الشباب ، جاءني بعض الخدم ، فأغراني على معصية ـ استفزني بها ـ فخرجت عنده ، فلما كنت خارج البيت لدغتني عقرب . قلت : هذا إنذار من الله فرجعت عنه تائبا إلى الله وانتهرت ذلك الخادم .

وكان ـ رحمه الله ـ لا يأخذ إلا بأحزم الأقوال في الأثر ، ولا يترخص إلا مضطرا .

حكى لي والدي أن أباه لما جاء من زنجبار ، كان عنده دراهم لبناء مسجد من بعض المحسنين . وكان

مسجد العريق مبنيا بالطين ، فاستفتى الشيخ عيسى في أن يهدمه و يبنيه بالجص ، فما أباح له ذلك .

قال له : لكن أباك أباح لي هدم مسجد دبيك ، وبنيانه بالجص ، أيختلف هذا عن ذاك ؟

قال : إن كان عندك فتوى من الوالد ، فاستغن بها واتركني .

وكان إذا سئل عن شيء يطلب منه الترخيص فيه قال : اذهبوا إلى الإمام فهو الذي يرخص لكم ، وزكّى بُسْرَه في سنة واحدة مرتين ، وذلك أنه لما حصده أخرج العشر منه ، وانتظر به السعر ، حتى حال عليه الحول ، فكاله مرة أخرى ، وأخرج منه العشر؛ أخذا بالحزم .

ومن ورعه في الأحكام .. أنه حكم بين اثنين في بدية ، ولما رجع الى القابل طالع المسألة ، فوجد الحكم فيها كما حكم ، فرجع إلى بدية مرة أخرى ، وطلب اللذين حكم بينهما ، فقال : جئت لأحكم بينكما بدلا من الحكم الأول .

قالا : نحن راضيان بحكمك .

قال : لكني لا أرضى . فحكم بينهما بنفس الحكم .

فقيل له في ذلك فقال : حكمت في الأول بظن ، وأنا أحكم الآن بيقين .

وحكى لي والدي قال : خرجنا معه من إبرا ، وكنا جملة . فلما كنا في الطريق ، طلب مني أن أصحبه ؛ ليبيت في

العريق ودبيك محلتان في بلدة مضيرب بشرقيه عمان .

الغلاجي ، و يصبح في غد مع أصحابه في المضيرب ، فكرهتُ ذلك ؛ لأن الغلاجي ذلك الوقت يهرب أهلها منها لشدة البرد ، ولقلة الأبنية التي تقي عن البرد ، لكن ماوسعني خلافه ، فانفردنا عن أصحابنا ، ولما وصلنا الغلاجي قال : اتركني في المسجد ، واذهب أنت حيث شئت ، لا أراك إلا لصلاة الصبح .

وكانت الليلة شديدة البرد ، ولا يكاد يوجد في البلد سوانا . وعرفت أنه أراد أن يستغل هذه الخلوة ؛ ليبيت في مناجاة ربه . فذهبت أنا عنه حسب أمره ، ولا يكاد أني وجدت مكانا أستكن فيه عن البرد .

وقبيل الفجر جئت بسراج «بوسحه»(١) ؛ لنصلي على ضوئه الضعيف الصبح . فلما دخلت عليه ، وجدته قائما على المحراب ولحيته تقطر من الدموع والمخاط ، وهذا ماكان يتمناه . لكنه عتب عليّ حين دخلت عليه ، واطلعت على سره ، ماكان يود ذلك ، ولكني تحدثت بهذا بعده تأسيا به .

● ● ●

وكثير من أمثال هذا الصنيع ما يحكى عنه ملازموه في الاعتكاف ، إذ هو لم يترك الاعتكاف حتى في حال مرضه الخفيف .

وماتت له زوجة في سنة من السنين ، وهو معتكف ، فخرج لتجهيزها والصلاة عليها ، ولكنه لم يذهب الى المقبرة .

● ● ●

وحسبما قدمنا أن أباه لما أصيب أوصى عليه أن لا يقبل مشيخة الحرث . ولكن الشيخ نور الدين حكم عليه شرعا أن يقبل ، وأبطل الوصية فكان فيه الخير .

ولما تولى المشيخة أرسل حالا بكتاب إلى السلطان فيصل بن تركي يقول فيه :

« إنا لم نزل مرتبطين معكم بالذمة التي ارتبط بها الوالد » .

وارسل بالكتاب رجلا مالكيا من مشاهير الرجال ، فلما وصل مسقط وجدها ممتلئة من القبائل ، وأكثرهم الغافرية فسأل : لم هذا الاجتماع ؟

قيل له : إن السلطان بلغه موت الشيخ صالح ، فأراد أن يدخل عمان من طريق وادي بني رواحة ، فعرف الرسول ماهنالك ، وسلم الخطاب الذي جاء به الى السلطان ، فأعطاه الجواب في الحال .

فرجع إلى الشيخ فوجد الخبر وصل قبله ، والشيخ مستعد لصد السلطان عن دخول عمان ، وقد جمع الأقوام . فجاء الرسول وكانوا ينتظرونه ليعرفوا الرد .

فلما فتح الشيخ الكتاب ، وجد ورقة بيضاء ليس فيها رد . فتوجس السوء . ولكن الرسول كان مهذبا لما سأله عن الخبر في الحضرة .

قال : ليس هناك خبر ، وليس عند السلطان أحد يُذكر ، أو يستحق الاهتمام به . فأخذه الشيخ نجيا ، فسأله عن الحقيقة .

فقال : إن مسقط ومطرح ممتلئة بقبائل الغافرية من الظاهرة إلى جعلان ، بما فيهم آل وهيبة .

قال : لِمَ لمْ تخبرنا في الحضْرة ؟

قال : خشيت بث الرعب في قلوب الضعاف .

قال : لله درك ، ولذلك اخترتك رسولا .

فانتقل الشيخ بمن معه، وكانوا قلة لا تتجاوز الثلا ثمائة . مع أن جنود السلطان ألفان وأربعمائة مسلحين بالصمع . وكانت قليلة في ذلك الوقت ، ولم يكن عند صحب الشيخ شيء منها . وقد حكى ذلك شيخنا نور الدين في تحفة الأعيان . ولكني أذكر هنا مالم يذكره . و بلغني خبره .

يقول الوالد حمدون بن حميد : كان بين سفرنا عند الشيخ صالح لما قتل في اللجيلة ، وسفرنا عند عيسى شهر واحد فقط . في السفر الأول مررنا «العق» ، فأخذنا لركابنا طعاما من أرض على الطريق ، وفي السفر الثاني ، وجدناه واجبا فأخذناه . ووصلنا «سمائل» ، وطلبنا من أهلها المساعدة ، والقيام معنا ، لكنهم مارضوا أن يخرجوا من بلادهم ؛ يعتلّون أن السلطان لعله بقصد سمائل ، وورّى بغيرها

وبعد الإياس منهم خرجنا بمن معنا من الشرقية ، فقبضنا في مقابض وبال مدخل الوادي . وهنالك الطريق ضيق جدا ، لا يستطيع أحد أن يمر به ، وفي المقابض أحد يصده . فبات السلطان بمن معه من الجنود في سيجاء ، وفي الصباح أمرهم بالقدوم على الوادي ، وكانوا بمرأى منا : فضربناهم فماجوا وتلكأوا عن القدوم والرصاص ينتابهم ، والسلطان على فرس أبيض يحرضهم و يصيح فيهم ، لكنه بغير جدوى حتى ضربت الجحلة(١) من فمه وهو يشرب فصاح عليهم :-

هيا أولاد الغافرية .. هيا أولاد الهناوية .. هيا أولاد الظروط .

(الجحلة) وعاء من خزف يبرد فيه الماء .

ولا فائدة من وراء ذلك وما شعر إلا والجيش منهزم فرجع ، ولم يتم له قصده ، وكان أول نصر لعيسى في أول مشيخته . ولعل السلطان توهم أن صالحا لم يترك أحدا يقوم مقامه ، فأراد أن يكشف المقام ، فكشفه (ا هـ) .

• • •

أخبرني والدي أن مما زاد الفشل في جيش السلطان في هذه القضية هو الحقد الذي حمله سلطان بن صقر النعيمي على السلطان .

والسبب في ذلك أن السلطان طلب أناسًا ليعاقبهم ، نقربهم له سلطان بن صقر ، على أن يعفو عنهم ، ولكن السلطان أخلف وعده فسجنهم ، فغضب سلطان . وكان هذا في وجه الثورة ، وهو من جملة الجيش .

فقال لأصحابه : لابد لي من أن أنتقم من فيصل .. وهو أنه إذا صار الهجوم ، وأمر السلطان بالقدوم على المعترضين سأمزق أنا أكمامي ، وأركض شاهرا سيفي .

فيقول فيصل : ما باله ؟

فقولوا : إنه طبع فيه عند ملاقاة الخصوم ، لا يبالي بالهجوم .

فيقول لكم : اقبضوه . فإذا قبضتموني كأنكم تردونني إلى الجيش ، فردوني إلى خارج الجيش ونرجع منهزمين .

فإذا رأى الناس : ظنوها هزيمة ، فانهزموا . وهذه عادة في الجيوش ،

فتم له ذلك على حسب ماخطط وتواطأ مع أصحابه ، فانهزم بثلث الجيش قبل الهزيمة . ولكل شيء سبب .

●●●

ولما هم(١) بالصلح بين الإمام والسلطان في دولة الإمام سالم ، وناظر الشيخ نور الدين وافقه على ذلك . ولكن الإمام سالما لم يوافق ، فتأخر حتى صارت دولة الإمام الخليلي فوافقه على الصلح ، وكانوا في سمائل ، فرأى الشيخ عيسى رؤيا كأنه يسوق جبلا أمامه بعصاه ، وذلك الجبل ينساق له . وانتبه ، فقص الرؤيا على الإمام .

فقال له الإمام : أنا لا أحسن تعبير الرؤيا ، ولكن منصور بن عبيد السليمي مشهور بالتعبير ، وله يدٌ فيه ، وأنتم الآن ذاهبون عندهم : والشيخ عيسى بن صالح الطيواني ، فقص الرؤيا عليه واعتمد على مايقول . فسبق الشيخ عيسى الحارثي رجل إلى منصور أخبره بالرؤيا ، ونسبها إلى نفسه .

لكن منصورا قال للرجل : أنت لا تقدر أن ترى مثل هذه الرؤيا ، فقل لي من رآها ؟

قال : أنا .

قال : لا ، أنت لست من أهلها ، فأنا لا أعبرها لك حتى تخبرني بالحقيقة .

قال : رآها الشيخ عيسى بن صالح الحارثي .

قال : الآن وقعت في محلها .

---

(١) الشيخ عيسى بن صالح .

فلما جاء الشيخ عيسى وقص عليه الرؤيا ، قال : إنك تحاول أمرا عظيما سيتعبك ، ولكنه في النهاية سيتم لك .

فكان تمام الصلح تصديقا للتعبير . والصلح مشهور في التاريخ العماني .

• • •

وذكرتني قصة الرؤيا برؤيا زبيدة حين ترسل امتها إلى ابن سيرين فيقول لها : لست أهلا للرؤيا . (أ هـ) .

وأخبرني عمي عبد الله بن سليمان قال :

لما اجتمع الشيخ عيسى بالسلطان تيمور بن فيصل في حال عقد الصلح . قال الشيخ :

وكان عندي الشيخ حمدان بن زايد الياسي .

فقال السلطان : إن أخل أهل عمان بالشروط . أين يكون الشيخ عيسى ؟

قال : فما أدركت أن أجيبه حتى سبقني الشيخ حمدان الى الجواب فقال :

يكون الشيخ عيسى عند الحق .

قال الشيخ : فكان الجواب بردا على قلبي لمطابقته ما في نفسي .

قال : وسألت القنصل البريطاني في تلك الأيام ، وكان حاضرا معنا ، ماهذه المنافسة منكم على عمان وهي بلد فقير قاحلة لا مطمع لأحد فيها ؟

قال : إن عشت فسترى عمان يباع فيها مربض الشاة بعشرة دنانير .

كل هذه الأخبار رويتها عن أبي وعمي اللذين عاشا مع خالهما الشيخ عيسى وروى لهما أخبار من تقدموه ــ رضى الله عنهم أجمعين ــ .

كما روى لي عمي عن أبيه :

أنه كان في زنجبار ، فتوفيت زوجه ، فسمع المقيم البريطاني عن وفاتها ، فأرسل إليه تعزية يقول فيها :

« بلغني وفاة زوجك ، فالحمد لله الذي أكرمها بوقوفك على قبرها ، ولم يُهنْها بوقوفها على قبرك » .

كما روى أيضا أن المساكرة أغاروا على مضيرب في ليلة من الليالي ، وكانوا قد حلفوا أنهم لا يرجعون ، حتى يقتلوا منها واحدا من أعيانها . فجاؤا إلى دروازة كشام فدقوا الباب ، وحمد بن عيد السعودي الحارثي نائم كحارس ، فأخرج رأسه من النافذة ، ليعرف الطارق ، ولم يأخذ الحذر ، فأطلقوا عليه الرصاص فمات من حينه .

يقول الوالد سليمان .. فسمعت الضربة . فقلت : قتل ولد عيد . فخرجت ، وكان في تلك الليلة مبتنيا على زوجة جديدة .

قال : وأرسلت خادما ليلحقني الحصان من عند الوالد ، وكانت ليلة سبعة عشر من رمضان ، فنويت الفطر ؛ لأني لا أعرف أين ينتهي بنا اللحوق .

يقول الخادم المرسل الى الحصان : وجدت إخوة سليمان يتنازعون الحصان . كل يريد أن يمتطيه . ولكن أباهم لما وصلت أنا أحكم بالحصان لسليمان ، وقال لأولاده الآخرين : تصرفوا أنتم لأنفسكم .

يقول الوالد سليمان .. فخرج ذلك اليوم الحرث كلهم ، والمساكرة كلهم ، واجتمعوا في سيح الشخابيط شرقي إبرا . أما الغائرون المقاتلون فهم خمسة : كمنوا في جبل مقدّم قريبا من المضيرب واجتلد الفريقان من الصبح إلى العصر ، فتعبوا تعبا شديدا ، ولم يكونوا حسبوا للصوم حسابا ، فلذلك تعبوا من شدة العطش ، وحر القتال ، وكان والدي وهو شيخ كبير ومعه الشيخ صالح بن علي : بقيا يتحسسان الأخبار غربي مضيرب . وكان والدي يضع خده على الأرض يسمع الضرب . وكان يقول :

هذا ضرب الحرث ، هذا ضرب المساكرة . يفرق بينهما لقوة حذقه وتجربته ، والمسافة بين مكان الضرب ، والمكان الذي هو فيه قدر أحد عشر كيلومترا أو أكثر .

فبدأت الفلول ترجع ، وكلما مر عليهما أحد يقول : انهزم المساكرة .

فكانا يقولان : المساكرة لا ينهزمون ، ولا نصدق أحدا غير سليمان .

فلما رجعت آخر الناس وجدتهما ينتظران بفارغ الصبر .

قلت لهما : ما انهزم المساكرة ، ولا انهزم الحرث . إنما القوم ملّوا ، وأتعبهم الصيام ، وانصرف كلّ إلى جهة في لحظة واحدة .

وكان رجل مغربي حاضرا عند الواقعة ، وهو يحدث عن الوالد سليمان يقول :

كان سليمان ينأي بحصانه جانبا عن ساحة القتال ،

ثم يُكر على الخصم فيضرب فيهم ماشاء الله ، ثم يتبطن حصانه من جانب قومه ، حتى يخرج عنهم ، فيكر ثانية ، وهكذا كان عمله : ياصالح إذبح الحرث وأطعمهم سليمان(١) . (اهـ) .

ثم ضُرب حصانه عند العصر .. وهذا الحصان يسمى ربدان ، وهو لأبيه ، وله عنده شأن عظيم ، كان يحبه كأحد أولاده ، بل أكثر ، ولا يرضى أن يتولى إطعامه غيره .

وكان في بعض الأيام مريضا ، فقال لولده عبدالله : اذهب فأطعم الحصان . وكان من عادة الحصان يمازح من يقربه ، فيهوى إليه فيعضه عضا خفيفا ، ففعل كعادته ، ولم يكن عبدالله يعرف منه ذلك من قبل ، فرجع وأخذ العصا من تحت رأس أبيه ، فضرب بها الحصان حتى تأثرت ثم ردها مكانها ، فلما رآها أبوه بعد ذلك غضب غضبا شديدا وقال له :

من مرة واحدة طلبتك فيها أن تكفيني ، ففعلت فعلتك الشديدة . تعال انظر ، فكشف له عن عضده ، فإذا كله قروح من أثر العضاض .

يقول : إذا لم نحتمل هذا الحصان الكريم ، ونغتفر ذنبه لا خير فينا ، وفي المثل : أقيلوا عثرات الكرام .

فما اكتفى بعدها بأحد يطعمه ، فكان يتجلد حتى في مرضه ، فيذهب بنفسه لإطعامه وسقيه

ومن حكايات هذا الحصان .. أنه ذهبت إليه ذات يوم

أنفق جُلّ أمواله في حياته وأوصى بعد مماته بكثير منها ينفق ضمانا عنه فيما لعله أصاب من دم حرام .

أمة لتناوله العلف ، وهي كاعب قد بدا ثدياها ، فمازحها الحصان حتى قطف بضرسيه أحد حلمتيها . (ا هـ) .

ترك الشيخ الحصان بعد ضربه في سفالة إبرا يعالج فيه تلك الضربة ، وبعد مدة كاد أن يبرأ . فمرت عليه أمة حائض مشهورة بآفتها على الذي تمر عليه في حال حيضها . فكانت تفسد الطعام إذا مرت عليه في النار ، وتفسد الزرع ، وتنكىء الجروح . فمرت على هذا الحصان ، ولعلها استؤجرت لذلك ، فبمجرد مامرت عليه انفقأ ذلك الجرح ، وخرج الدم يثعب بقوة ، فما انقطع حتى برد الحصان . وإنا لله وإنا إليه راجعون .

وهذه من آفات دعوة التقسيم إلى غافرية وهناوية(١) .

ولقد ذهبت بذهابها العزة والنخوة العمانية العربية ، ولم يكد يسلم منها أحد ، فمن لم يُقتل أو يَقتل ، فإنه يحارب بقلبه ولا يسلم .

هذا الشيخ جمعة بن سعيد المغيري .. كان من علماء وأفاضل أهل عصره . وكان الشيخ صالح يُجله ، وإذا حضر في مجلس لا يستبد برأي دونه ؛ لما عرف من فضله .

ومع هذا كله كان يقول :

ما علمت أني عصيت الله متعمدا منذ صغري فيسألني الله عن هذه المعصية ، اللهم إلا أن يكون الله يسألني عن ميلي إلى المساكرة .. إذا أصابهم مكروه حزنت ، وإذا أصاب الحرث فرحت ، مع أني لا أتبعه بالحقد ، ولا بالرضى عن المعصية والبغي .

وكان مشهورا عنه .. لا يقر جماعته على البغي ، ولا

(١) لا أحيا الله لها ذكرا .

يساكنهم عليه ، ودائما ينتقل من بلاده ضجرا منهم ، وهرو با من الدخول فيما لا يرضي الله .

سكن جعلان وأجرى فيها فلجا ، وسكن وادي سمائل وأجرى فيه فلجا ، وسكن الظاهر من بدية وشارك في فلجها ، وعاش بها حتى مات وصارت له تلك الكرامة في الرؤيا التي سبق أن ذكرناها ـ رحمة الله عليه ـ .

ومن أفذاذ الرجال المشهورين : الشيخ سالم بن عمير بن حنظل المعمري الحارثي : ابتُلي في الخوض في دعوى الباطل : غافري ، وهناوي : فقتل رجلا هاشميا من أهل الكامل ، و بعد ذلك أظهر التوبة ، وأراد الخلاص من الضمان ، فركب إلى أولاد المقتول ، وحمل ألف قرش . وقال لهم :

أنا قتلت أباكم ، لكم أن تقتلوني فأنا حاضر أمد رقبتي لسيوفكم ولكم أن تأخذوا الدية مني ، وهي حاضرة ، ولكم أن تعفوا عني ، والنظر إليكم في الثلاث ، وأنا بين أيديكم تتشاورون .

واستحيوا منه أن يقتلوه ، واكتفوا منه بالدية ، وأبرأوه ، فلما خرج عنهم تلاوموا ، فلحقوه ، وقالوا : نحن عزمنا على قتلك ، لا نريد الدية .

قال : ليس لكم ذلك الآن ، فقد أخذتم حقكم ، فإن حاولتم قتلي دافعتكم ، وستكونون باغين عليّ ، إما لكم أو عليكم .

●●●

فلما سمعوا منه ذلك رجعوا عنه .

وهمّ أهل سفالة إبرا أن يحدثوا سوقا جديدة ، في وسط حارة المنزفة غير الأول الموجود في البلد ، وذلك مراغمة للشيخ صالح بن علي ، وكان سالم بن عمير هذا ممن سعى في ذلك ، فبلغ الشيخ صالحا أمرهم .

فقال للوالد سليمان بن حميد :

إذا أتى سالم إلى مضيرب فأخبره أنه خلع الطاعة ، وفرق الجماعة ، فلا نقبل له شهادة .

وكان لسالم بيت في إبرا ، وبيت في مضيرب . فجاء إلى مضيرب بعد العشاء الآخرة ، فلقيه الوالد سليمان ، وأخبره مقالة الشيخ صالح .

قال : فوالله ما أنزل عن فرسِهِ سرجها ، بل كر راجعا إلى إبرا .

وفي الطريق فكر في الحيلة التي يرجع قومه بها عن قصدهم . فصلى الصبح معهم ، فاستغربوا لما رأوه ، فسألوه عن رجوعه .

فقال : فكرت في أمرمهم ، فرجعت بسببه ، وهو هذا السوق الذي ليس لكم فلاح في وجوده بين بيوتكم ؛ لأنه كما تعلمون أنه سيكون بمنزلة السجن لكم ولنسائكم . وتعلمون أن البيوت كلها منافذ ، فالسفهاء ممن يردُون السوق ، ستكون عيونهم شاخصة إلى البيوت ، والسفيهات من ذوات البيوت سيتطلعن الى السوق من المنافذ ، وهذه كارثة لم نتدبر فيها ، ذكرتها وأنا في الطريق فرجعت اليكم قبل أن تحدثوا أي شيء .

وتركهم ملتبسا عليهم أمرهم ، وقد سوغوا رأيه ، وعرفوا ذلك أنه صواب ، فاستطاع الشيخ العبقري أن ينفذ رغبة الشيخ صالح ، وأن لا يكون ساقط المنزلة عنده ، وأن يسلم مع جماعته ومن عداوتهم إذا عرفوا أن هذه رغبة الشيخ صالح ، لأن ضالتهم المنشودة نكاية الشيخ .

وقد ذكر بعضا من دهاء الشيخ سالم : شيخنا نور الدين في تحفة الأعيان ، حين ذكر أنه أخرج بني رواحة من حصن الرستاق بدهائه وحيلته .

والمنزفة .. حارة من حارات سفالة إبرا ، وكان أهلها أغنياء ، كل بيوتهم بالجص والحصا ، من طابقين وثلاثة . وكان أكابر أهل الحارة كلهم على أربعة بيوت ، كل يوم يطعم الحارة وضيوفها بيت من هذه الأربعة ، ولا يسمح لأحد أن يطبخ في بيته . وقد اتفقوا على ذلك ، وسارت بهم السمعة ، فبطروا بالغنى ، وجاهروا الله بالمعاصي .

أخبرني والدي أن الشيخ صالح بن علي : هجم عليهم ذات ليلة ، وهم في سبلتهم مجتمعون ، فدخل عليهم على غرة منهم ، فلما رأوه استحيوا ، وخرجوا من السبلة . فقام الشيخ يتدبر فيما تركوه ، وكانوا قد أحضروه للهوهم . فوجد شيئا يحار منه العقل ، من آلات الخمر والدخان ، وأنواع الملاهي المرصعة بالذهب ؛ تباهيا بالغنى ، وبطرا بالنعمة .

قال : فلما رأى الشيخ ذلك بكى ، وقال لمن حضره من أصحابه :

لئن عشتم سترون هذه الحارة خرابا ، و بيوتها متهدمة يسكنها الغرباء الذين ليس لهم مأوى . وخرج وهو في حزن عظيم .

قلت : ولقد رأينا ذلك في هذه الحارة ، ولا تزال البيوت الكبيرة خربة ، حتى كتابة هذا التاريخ .

والمؤمن يرى بنور الله ، و يستضيء بدلائل القرآن من سنة الله في مثل هؤلاء .(اهـ) .

●●●

ونعود إلى ذكر الشيخ سالم بن عمير .. كان من جملة المهاجين للسلطان فيصل في بيت العَلَم ، فظفر به السلطان ، فضربه وكسر رجله ، لكنه عفا عنه فعاش أعرجا . ودخل عليه بعد مدة ، ولما كان جالسا عنده : أمر السلطان ولده تيمور فجاء ليخرج ، فناداه وقال له :

اخرج من باب أبيك سالم بن عمير الذي هجم علينا منه ، و يقول :

اضربوا الكلب ، فهو كما يقول العمانيون : مزاح وضرب رماح .

فاستحيا الشيخ سالم ، ثم قال له السلطان : لا عليك ، لكن أخبرني ما الذي استفدته في تلك المرة ؟

فأشار إلى رجله ، وقال : هذا العرج ، وهو من عضة الأسد . وكان الملوك الأوائل يخالطون الرعية ، ويمازحونهم ، و يدخلون عليهم في مجالسهم ، بل وحتى في السجن إذا سجنوا أحدا .

كما يحكى عن السلطان تركي بن سعيد : لما قبض على كثير من أكابر أهل عمان وسجنهم ، سار إليهم ليضحك عليهم .

فقال واحد منهم وهو ولد مدهدم الحسني : ياتركي ياقليل المروءة ، بعد أن ساعدناك على أخيك ، تجازينا بمثل هذا !

قال : خوف أن تلعبوا بنا مرة أخرى ، وضحك ، وخرج عنهم .

وكانوا كثيري العفو عن أهل الجنايات : كما يحكى عن السلطان فيصل بن تركي ، أنه لما وقع عليه الهجوم في بيته ، هجم عليه رجل شبلي أو دو يكي يسمى سديك ، وهو من بدو الحرث . وهناك مرآة كبيرة في الجدار ، بدت فيها صورة السلطان ، وكان خلف سديك ، فهجم سديك على المرآة وضرب صورة السطان بخنجر ، فقبض عليه السلطان من ورائه أسيرا . ثم قال له :

خذ هذه الذخيرة ، وارجع إلى قومك ، فقاتل معهم .

وما أكرم العفو وألذه في قلوب الأحرار ، ولأنه لو قتله لكان ليس بغريب ، ولم يذكره أحد ، ولكن الغريب العفو عن مثله ، وزينة التاريخ به .

وما أشبهها بقضية إبراهيم بن المهدي مع المأمون حين قال له :

« يوجد مثلك قتل مثلي ، لكنه لا يوجد مثلك عفا عن مثلي » .

فصارت غرة في جبين التاريخ .

والمأمون يقول : « لو علم الناس ما حبب إلينا من العفو ، لتقربوا إلينا بالجنايات » . (اهـ) .

وهاجم سديك بعد ذلك مرة أخرى بيت السلطان ، فوقع في كمين فيه بنو بوعلي فأسروه ، وأرسلوه إلى السلطان ، وقالوا له :

هذا سديك عاد مرة أخرى. ، فاقتله ، فلا يفلت من يدك .

فلما وصل إلى السلطان ضحك وقال : لو أرادوا له قتلا لقتلوه بأنفسهم ، لا أكون ألأمهم ، بل أكون خيرا منهم ، خذ ذخيرة وارجع إلى أصحابك .

ولما زار شيخنا نور الدين السالمي السلطان فيصل : أكرمه واحترمه وكان الشيخ قاصدا للحج فزوّده . يقال : بأربعمائة قرش ، فيقال إن الشيخ اشترى بها كلها كتبا من مكة .

وعاتبه قائلا : بلغني أنك تريد أن تنصب إماما .

قال : نعم ، إن كنت لها فمد يدك .

فسكت .

وجاء السيد تيمور يقوده : فهوى الشيخ على أذنه ليفركها كما هي عادته في الأولاد ، يتفرسّ فيهم من آذانهم ، فقفز تيمور عنه وقال :

بلغني أنك تعرف الرجال من آذانهم ، فأنا لا أحب أن تعرفني .

ولما جاء الإمام سالم بن راشد وأخوه ناصر ؛ ليدرسا عنده ــ وكانا لم يبلغا الحلُم ــ أقعد واحدا عن يمينه ، والآخر عن شماله ، وفرك أذنيهما ، ثم قال : سيكون لأحدهما شأن ، والآخر سيكون عالما .

فالعالم هو ناصر ، والذي كان له الشأن هو سالم ، إذ صار إماما بعد ذلك وعالما .

و يقال .. والله أعلم بحقيقة هذه القصة :

أن السلطان فيصل ، ذهب ليودع الشيخ نور الدين عند سفره إلى الحج إلى الباخرة ، وصعد عنده حتى أوصله ظهر الباخرة ورجع عنه .

فيقال : إنه قد تواطأ مع أصحابه أنه إذا كان في درَج المركب ، يقود الشيخ بنفسه ، فيجعله في جانب البحر ، ثم يدُعّه دعّة قوية ، فيسقط في البحر ، فيكون قد شفى غيظه منه . ، ولما لم يفعل سأله أصحابه لم لم تفعل ؟

قال : رأيت أنه لا يصل إلى البحر قبلي ، فخشيت على نفسي .

ومما يلتحق لما ذكرناه سابقا عن الشيخ نور الدين من روايات الشيخ الرقيشي قال :

لما كان الشيخ نور الدين في سمائل والإمام حاضر ، وذلك عند فتحهم لها ، جاء رجل فجلس أمام الشيخ وقال :

لى عليّ فلان حق مارضى أن يعطينّي إياه .

فلم يجبه الشيخ .. فسلم وقام .

وجاء في اليوم الثاني ، ففعل مثل ذلك ، وجاء في اليوم الثالث وقال قوله ذلك .

فقيل للشيخ : هذا الرجل له ثلاثة أيام يجلس أمامك ، فيشتكي ، فلا ترد عليه .

قال : ما اشتكى ، وإنما أخبرنا أن له حقا فإن كان مشتكيا فليعدل شكواه . والحاكم لا يفتح لخصم .

وقال سمعت الامام الخليلي يقول :

لما كنت أتعلم بالقابل نويت يوما صياما واعتكافا في المسجد ، وفي الضحى دخل علي شيخي نور الدين فتذاكرت معه مليا ، ولما قام أخذ بضَبُعي ، وقال :

هلم أبا عبد الله إلى البيت ؛ ولحبي مذاكرته ، وأنسي بقربه ، تناسيت الاعتكاف ، وخرجت معه إلى البيت ، وأمر بإحضار قهوة وقال لزوجته :

عندنا أبو عبد الله ، فاصنعوا سيويا .

قال : ولما حضرتْ أكلتُ منها نزولا على رغبته ، ونويت أني أبدل ذلك الاعتكاف والصيام .

فتحينت فرصة ، فنويت البدل ، وقعدت في المسجد ، والقصد من ذلك أن أتفرغ للقراءة . فإذا به يأتيني ، مثل المرة الأولى ، وقعد عندي يعلمني مليا ، حتى إذا هم بالقيام أخذ بضَبُعي كذلك . فلما كنت عند الباب أخبرته أني معتكف ، فأطلقني وسارعني .

وكان من عادة الشيخ نور الدين أن يفسر القرآن مابين العصر إلى المغرب في حلقة يحضرها تلاميذه .

يقول الشيخ الرقيشي عن الأمام الخليلي :

فكان ذات يوم يفسر قوله تعالى :

« قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا » .

سورة الكهف الآية ١٠٩

ففسر « كلمات » « بمعلومات » ربي ، وكان في الحلقة الشيخ : **عيسى بن صالح** .

فقال أيها الشيخ : هذا التفسير عمن ؟

فغضب الشيخ ، وكان له عصا سوداء ، إذا غضب ضرب بها الأرض .

قال : إن لم يكن عن أحد ، أليس مقبولا عنى ؟

فلم يراجعه أحد لهيبة مقامه .

ومثلها : وقد عرض عليه حكم من بلدة **سناو** يقال فيه : أن رجلا يريد أن يبني مخاضة على ساقية الفلج ، فعارضهُ أهل الفلج ، فما رأيكم في ذلك ؟

فقال الشيخ لتلميذه : **أبي الوليد** ، اكتب الجواب : وكان الشيخ **عيسى** حاضرا ، فقال : **« لله العجب ، حكم في سناو ، يحكم به في القابل وهو نظري »** .

فقال الشيخ **لأبي الوليد** : أمسك ، وفكر قليلا .

ثم قال : صحيح ما قال **عيسى** ، **لاينبغى أن نتكلم في مثلها إذ هي مسألة نظرية .**

وأخبرني الشيخ الشامسي ، قال : كان الشيخ السالمي

جالسا بجنب الامام : **سالم** : ذات مرة ، فجاء رجل وقف عليهما :

فقال أيها الامام : فصفعه الشيخ **السالمي** صفعة دار منها رأسه ، فخرج بائسا .

فسأل الشيخ : لم فعلت ذلك ؟ والرجل لم يفعل ما يستحق تلك الصفعة منك ؟

قال الشيخ : تلك الصفعة رحمة له ، وإلا سيجلده الإمام ثمانين جلدة . فأيهما أخف ؟

معناه : أن الرجل جاء ليقذف رجلا بالزني .

فسأل الرجل بعد ذلك عن غرضه من الامام .

قال : أردت أن أخبره عن فلان أنه زان .

فسبحان الله : من أين عرف الشيخ ذلك ؟

وأختصم إليه اثنان في بعير لأحدهما ، هجم على ناقة للآخر فكسرها فحكم بينهما ، فلما خرجا قال لأصحابه : « هذان جنيان » . فخرج أصحابه في أثرهما ، فلم يروهما .

فكان والدي يتحدث بهذا الحديث قرب سعيد بن الشيخ ، وقد صرع ، فقال الجنى الذي صرعه : أنا واحد من الا ثنين اللذين اختصما على الشيخ ، **جئنا من جبل قاف**» . أ . هـ .

وكان رجل حجري يسمى حموده . أرسل إلى الشيخ **نور الدين** أربعمائة قرش .

وقال : هذه هدية .

وكان هذا الرجل مشهوراً بالبخل ، وبمعاملته في الربا .

ففهم الشيخ أنه يقصد من هذه الهدية شيئا .

فقال لابنه الشيخ **أبي بشير** : احفظ هذه الدراهم حتى أطلبها منك .

فجاء بعد مدة **حمودة** هذا ، ومعه غريم يختصمان عند الشيخ في قضية .

فقال للشيخ : أنا **حمودة** ياشيخ .

قال : أنت **حمودة** ؟

قال : نعم .

فصاح الشيخ بولده : **ياشبية** : ــ وكان يلقبه بذلك ــ أحضر الكراع بدراهمه ، فأحضره .

فقال **لحمودة** : اقبض هديتك قبل كل شيء .

قال : ما هذا يا شيخ ؟ لا تفضحني . أنا ما أعطيتك إياها لأجل شيء .

قال : لكني أعرف طويتك ، فاقبض عني هديتك ، واذهبا إلى غيري ليحكم بينكما .

وحمودة هذا : جاء مرة إلى : **حمد بن علي الصائغ** في بلدة **مضيرب**

فقال له **حمد** : أود أن تقرضني مائتي قرش ، أردها اليك عند اليسر .

قال : أقرضك على شرط : إذا جئت سوق **مضيرب** : آخذ من السوق حوائج قليلة من قيمة الخمسة قروش فنازل ، تدفعها أنت في مقابل القرض إلى أن تردها كاملة برأسها ، والبطء والإسراع منك في الأداء .

قال : نعم .

فصار هذا شأنه لمدة طويلة ، وحمد يكتب مايدفعه . حتى إذا أكمل رأس المال امتنع عن الدفع .

وقال : هذا حسابك ، وقد أخذت حقك .

فاضطرب حمودة متمسكا بالشرط ، وهم بأن يشتكي منه ، وصدفة زار المشايخ : نور الدين وعيسى : الصايغ : في منزله وكان دائما يغشاه أهل الفضل ، وحموده كان حاضرا .

فقام الصايغ فجلس أمام الشيخين .

وقال : أنا تائب الى الله على أيديكما ، فاشهدا من المعاملة التي عاملتها حمودة الحجري : وقص عليهما القصة .

فقال الشيخ السالمي : أنا أعرف حمودة : أنه يأتي بهذه الترهات ، وأنه لايبالي بمكسبه من أين اكتسبه ، فيستحق الأدب .

وحمودة يسمع الكلام ، فتضاءل من مكانه ، وخرج ، وخشي أن يقدم دعوى على الصائغ .

وكان من عادة الشيخ نور الدين إذا أصبح أن يسأل تلاميذه : من منكم رأى رؤيا ؟

وكان من عادته أيضا إذا قعدوا لقراءة القرآن ، قال لأصحابه : ليفكر كل واحد منكم أثناء القراءة في آية من الذي قرأناه ؛ وليبحث عنها بعد القراءة ، حتى تكون سببا للتعليم وحصول الفائدة .

وكان من عادته أنه لايقنع بالشيء إلا بصحة لايحوم حولها الشك :

ومن ذلك : أنه انتقد على : **الوالد عبدالله بن حميد الحارثي : تصديه للطب .**

وقال : من أين لك هذا العلم ؟ لعلك تتعرض لإساءة الناس : **حتى ابتلاه الله بقروح في رأسه ، آذته ، وبقيت فيه مدة طويلة .**

فقال : ربما نجرب طب **عبدالله بن حميد .**

فسأله عن ذلك : **فوصف له طلاء من مركبات سبع ، كلها حارة الطبع كالقرنفل والقرفا والزنجبيل .. إلا السابعة فهي باردة : وهو الشعير .**

يمزج الكل ، فتطلى به القروح . فما احتاج إلى أكثر من ثلاث مرات ، حتى رأى الصحة دبت فيه ، وكانت سببا لشفائه .

فسأله : لم اخترت هذه المركبات ، وكلها حارة إلا واحدة باردة ؟ .

قال : الدواء في المركبات الحارة ، أما السابع فليس فيه دواء ، إلا أنا وضعناه لتبريد حرارة تلك المركبات ؛ لأنك لا تطيقها لو لم نبردها . فاقتنع الشيخ ، ورضي عن طبه واعترف له .

وكتب اليه ابن عمه الشيخ محمد بن شيخان السالمي : أني امتدحت السلطان فيصلا بقصيدة أعطاني عنها أربعة آلاف قرش ، أو أربعمائة قرش(١) .

فرد عليه الشيخ **نور الدين** : علمت ذلك من كتابك ،

---

(١) الشك مني .

واعلم أنه لو أعطاك بكل بيت ألفا . لكنت أنت المغبون .

فانتهز الشيخ الشاعر الفرصة فذهب إلى السلطان وأراه الكتاب .

وقال له : هذا مايقوله **أخونا السالمي** ، وكأنه يعرض بطلب زيادة .

فقال له السلطان : أنت تدري مايعنيه أخوكم السالمي : **معناه : أنت المغبون في دينك لا في دنياك ، لأنه لايجيز مدحنا .**

لكن : ما الذي قلته أنت فينا ، بعد الذي قلته في **صالح بن علي الحارثي :**

ففي تاجه العليا وفي وجهه التقي
وفي كفه النعمى وفي سيفه النقم

فالقصيدة التي يشير إليها أنه امتدح بها السلطان هي الهائية التي مطلعها :

شمس من الأنس صار الحسن هيكلها
اهدت اليه النهي طوعا معولها

ومطلع القصيدة التي امتدح بها الشيخ **صالح بن علي** ، هو قوله :

تبلج صبح الحق من مطلع الهمم
فسبحان من أفنى به حلة الظلم

ذكر شيء من أخبار الشيخ الطبيب عبد الله بن حميد بن عبد الله الحارثي :

كان هذا الرجل بارعا في كل شيء ، لايخط له غبار ، موهبة من الله له ، ما عرضت عليه شكية إلا وصف لها علاجا ، وأكثر علاجه بالعقاقير ، فانتفع به خلق كثير في زمانه .

وكان يعرف العلة في الإنسان بالحدس حين يراه من قبل أن يشتكي له ، يعرف علته وسببها .

فيصف له علاجها . وما خرج من عنده أحد إلا وقد أنتفع ، وله قضايا كثيرة من هذا النوع . وأعطاه الله علما امتاز به عن سائر الناس ، **وهو : معرفة الإنسان بعلامات يستدل بها أنه يموت في خلال أيام . وإن كان في ظاهر الأمر صحيحا قويا .**

فمن ذلك : لما عزم الشيخ **نور الدين** السفر إلى **الحمراء** قاصدا الشيخ **ماجد بن خميس العبري** ، ليحل الخلافات الواقعة بينهما في شأن وقف القبور ، **لأن من رأي الشيخ نور الدين : أنه لا يصح الوقف للقبور. وأن الدولة أولى به ، وأمر بأن يباع وينفق في عز الدولة .**

فاعترض الشيخ **ماجد** قائلا : إن هذا تبديل للوقف ، ولا يصح ذلك وصارت بينهما مراسلات كثيرة .

وأخيرا أظهر الشيخ ماجد أنه ساخط على الشيخ **نور الدين** ، وربما سخطه يفضي إلى فرقة .

ولجلالة قدره عند المسلمين : رأى الشيخ **نور الدين** أن يسعى إليه فيقنعه بالأدلة التي عنده تطييبا لنفسه .

ولما كان في بلدة قرب : تنوف ، اعترضته ركنة أمبا ، فسدعته من فوق ناقته ، فانكسرت رقبته ، وكانت سببا لموته — رضي الله عنه — .

والغرض من هذا الاستطراد : أن نذكر ما قاله الوالد عبدالله بن حميد فيه قبل موته :

كما حدثني والدي : قال : سمعنا أن الشيخ السالمي في القابل في طريقه إلى الحمراء خارجا من الظاهر ، فذهب الآباء ليسلموا عليه ، وكنت معهم ، وأنا يومئذ في سن السادسة عشرة فدخلنا على الشيخ وجلسنا عنده ، وبعد أن سلمنا عليه استأذناه ؛ لنسلم على الشيخ عيسى .

فلما خرجنا من الباب وجدنا الشيخ عيسى قادما إليه .

فقال له الآباء : نحن قاصدون التسليم عليك .

قال : وأنا سمعت عنكم فقصدتكم . انتظروني أسلم على الشيخ ونذهب سويا .

وكان عنده الشيخ : سليمان بن سنان العلوي ، فتأخر عن الدخول ، فقال له الوالد عبدالله : ادخل تمتع من رؤية الشيخ ، وكلنا ينبغي أن نتمتع برؤيته ؛ لأننا سوف لن نره بعد هذه المرة .

وهذا آخر لقاء به ، وكان الشيخ يتمتع بصحة جيدة .

فوقع ما وقع على الشيخ .

ومثلها وقد مر الشيخ : احمد بن سليم العريمي في المضيرب ، في طريقه إلى صور وطنه .

وكان والياً للإمام سالم بن راشد على بلدة سمد الشأن وما حولها .

و بعد ما خرج من عندهم . قال الوالد عبدالله : هذا الرجل لايعود من صور .

وهذه آخر أيامه .

وفي تلك الليلة التي بيت فيها في بيته في صور : دس عليه والى السلطان من قتله ــ رحمه الله ــ وكان هذا العريمي سيف دولة ، لدولة الإمام سالم .

وكان صلبا في الحق ، لا تأخذه في الله لومة لائم .

وعانده في ولايته الشيخ : سعود بن علي الحبسي : وكان مستولا في جماعته ، متكبرا باغيا ، فطلبه الوالى فما رضي أن يلبي ، واحتقره وقال : من هذا الوالى الذي أتنازل أنا إليه ؟

قال راوي القضية : فقال الوالي لمن حضر : إذا رأيتموه مارا في الطريق فأخبروني .

وكان عند سعود ناقة فارهة إذا ركبها لم ير أحد مثله .

وكان ذات يوم خارجا من الفتح الى الروضة ، أو بالعكس .

وكانت طريقه تحت بيت الوالى . فأخبر عنه ، فنزل ووقف على الطريق .

فلما حاذاه سعود صرخ عليه أن انزل عن الناقة ، فنزل .

فقال : الشرع يأمر بسجنك ، فامتثل ، ودخل السجن دون إبداء أي معارضة ، ولا كلمة .

فسئل بعد ذلك فقال : رأيت الموت في وجهه ، فما قدرت أن أبدى شيئا (١).

وما حكى عن الوالد عبدالله بن حميد ، وقد جاء الوالي : **سليمان بن سويلم** : خادم السلطان إلى **الشرقية** ، فنزل ضيفا على الشيخ : **عيسى بن صالح الحارثي** ، ولما أراد الرحيل صحبه جملة من الأعيان ، منهم الامام : **محمد بن عبدالله الخليلي** :

وكان آنذاك يتعلم في **القابل**

وأهدى بعض أعيان الجماعة إلى السلطان **سيفا ، حُلّى غمده بالذهب** ، أرسله إليه مع هذا الوالي .

وفي **حالة توديعهم من القابل** : قال الوالد عبدالله لسعيد بن سليم أحد المرافقين : **« ليكن نظرك على هذا السيف : أظن أن سليمان بن سويلم لايصل مسقط ، بل يموت في الطريق . فإذا مات فاحفظ السيف حتى ترده لصاحبه » . فلما كان الركب بوادي العق أطلق على الوالي رصاصة من فوق الجبل ، فقضى نحبه في حينه .**

ورجم في مكانه ، وما كان هم **سعيد** إلا أخذ السيف . فأخذه ورده إلى صاحبه ، وذكر قصة قتله شيخنا **نور الدين في تحفة الأعيان .**

وهمّ مصاحبوه أن يطالبوا بخفارتهم كعادة القبائل ، فمنعهم الشيخ **السالمي** ، وقال : لاخفارة لكم . فما اكتفوا منه حتى

---

(١) قلت : هو سر الحق ، إذ الباطل لايقوم في وجهه . أ . هـ .

أرسلوا سؤالا إلى قطب الأئمة : **محمد بن يوسف في وادي ميزاب بالجزائر** ، فكان رده موافقا لرد الشيخ **السالمي** . أ . هـ .

وحكى عن الوالد : عبدالله أنه جاء إليه رجل من أهل الجبال بأخيه مريضا مدنفا ، فوصف له دواء عن علته ، وقال للمريض : لا تتكل على أخيك ، احفظ دواءك بنفسك . فلما خرجا من عنده ، قال لأصحابه : هذا المريض سيبرأ . ولكن الصحيح سيموت دون بلده . ولذلك أوصيت المريض أن يحافظ على دوائه بنفسه . أ ز هـ .

وحضر ذات يوم عند جماعة يركبون حميرا ، قاصدين بلدة **لزق** ومن ضمن تلك الحمير حمارة يقبضها لصاحبها اثنان حين يركب .

فقال هو لراكبها : خذ حذرا منها أن تسقط بك .

وقال لأصحابه : هذه الحمارة لا تصل **لزقا** . ستموت دونها .

استغربوا من كلامه ، وكانت أقوى وأنشط تلك الحمير .

فلما كانت على مشارف البلد ، خرّت صريعة ، وماتت في الحال ، وأردف صاحبها أصحابه .أ . هـ .

وأصابته قرحة في ركبته ، ولم يداوها ، فقيل له في ذلك .

فقال : إن هذه القرحة أرسلت لتقتلني ، وما كنت قاتلا لقاتلي ، فكان الأمر كما قال ، فما برىء منها حتى مات .

وله في الطب غرائب وعجائب ، لانحصر كل ما سمعناه عنه ، وقد امتاز بقوة الشم الخارق .

يحكى أن امرأة لها بنت سداسية ، ابتليت ببخر الفم ، حتى أنها تؤذى جلسائها ، فجاءت بها إليه ، فلما كانت عند الباب الخارجي شم تلك الرائحة ، فصاح عليها : أن قفى مكانك وقولي بما عندك . وكان يتحاشي الرائحة الكريهة .

فوقفت المرأة بعيدا عنه ، وأخبرته ببلاء بنتها .

فقال : أمضغيها السعتر مدة أيام ، سيذهب عنها البخر إن شاء الله .

وعنده أمة تطبخ له أكلا ، وذات يوم أقبلت الأمة حاملة الأكل . فلما كانت عند الباب الخارجي ، صاح عليها : قفي مكانك : ما عندك من الأكل ؟

قالت : أدام (مرق ولحم) .

فقال : أهرقيها ، ولا تقربيها مني ، فاستغربت الأمة ، وكانت المرق في غاية من الأناقة ، ورائحة الكوامخ بحيث إذا رآها الواحد يتشهاها من رائحتها ، فتركتها ورجعت إليه ، فسألته عن ذلك ، فقال : إن بالمرق رائحة خبث .

ثم أرسل إلى القصاب الذي يرسل له اللحم ، وسأله عن هذا اللحم .

فقال : هذه الشاة ذبحناها اليوم في السوق .

قال : هذه الشاة جلالة ، معروفة وراء هذه البيوت بذلك ، فلم ترسل لى منها لحما ؟

قال القصاب : لا علم لي بذلك ، ولم يبد على اللحم شيء ، لا في النظر ولا في الشم .

قـــال : لكنه بدا لي في الشم .

وكـان يـقـول : يـؤذيـنـي الجن فكثيرا مايوقظوني من نومي ، فـأخـرج فـلا أجد أحـدا . ولـكـنـهم نفعوني في مرة من المرات ، كـنـت نائما فصاحوا علي : أدرك حصانك فإنه سيموت ، فجئت إلى الحـصان فوجدته قلبَ على نفسه الر باط ، وكان سلسلة قو ية ولايـقـدر أن يـتحرك ، و يلهث لهث الموت ، فأردت أن أفكه فما استـطـعـت لـقـوة الضغط ، ثم جئت إلى الخنجر فحززت الأخّية حـتـى قطعتها ، فضر بت السلسلة في الجانب الثاني حتى غرزت في الأ رض ، وتمـدد الحصان ، وتنفس الصعداء ، لكنه ما قدر أن يتحرك حتى الصباح .

ومـثـل هـذا الإلهام الـذي ذكـرنـاه : يـوجد في ناصر بن علي بن مـطـر الـغفيلي ، حكى عنه أنه ذهب لزيارة : **زايد بن خلـيفة اليأسي في البريمي** ، وكان قاعدا عنده ، فدارت القهوة الأ ولى والـثـانية والثالثة ، ولم يأخذ **ناصر** منها شيئا ، وفي الرابعة أخـذ . فـسـألـه **زايـد** عـن ذلـك ، فـقال : **إن القهوة في المرات الـثـلاث كـانـت بـهـا رائـحـة كريهة ، أشمها حين تصب ،** فـأرسـل **زايـد** إلى الـذي يخـدم الـقـهـوة فـسـأله عنها . فقال : **في المرات الـثـلاث صـنـعـت الـقهوة بخمرة ، وفي المرة الرابعة كملت فصنعتها بماء صاف .**

فـقـال نـاصر : فـتـشـو الخمرة ، ففتشوها فوجدوا فيها جعلا ميتا .

وكان ناصر وزايد يتحاوران فيقول زايد : «السـمـت» يعنى الأدب من النجود مغر با .

وناصر يقول : السمت من النجود مشرقا .

ولعلهما يعنيان بالنجود التي غربي جبل الكور ، فبينما هما في الحوار ، إذ أقبل **بن بلشة** رجل **منصوري** من مقاديم رجال **زايد** المعدودين .

فلما دخل من الباب وجد الحلوى فقعد يأكل قبل أن يسلم على الحاضرين ، فأومأ **ناصر** إلى **زايد** أن انظر للسمت .

ولما فرغ **المنصوري** مشن السمن في قائم سيفه وسلم .

فقال له **زايد** : أسمعت ما قاله **ناصر** ، وحكى له الحوار وقال : أنت بفعلك هذا أيدته علينا .

قال **المنصوري** : **يا زايد** أنا لا أعرف هذا ، أعرف أني عند الطعام طعّام وعند الطعان طعان ، وأنت تشهد **يا زايد** .

فقال **زايد** : منتصرا به ، أنا شاهد أنا شاهد .

وكان لناصر بن علي هذا غرائب في التنبؤ : منها أنه كان في ذات يوم جالسا على تل في المنترب من بدية ، فنعس وخفق خفقة قال بعدها لمن حضره : **أين سلطان بن عبيد الحجري ؟**

قيل له : في افريقيا .

قال : **مات سلطان ، وأنا قريبا أموت ، وهذا التل سيجرفه الوادي بعد أيام قليلة ، فما مضت أيام حتى جاء الخبر عن موت سلطان ، ثم جاء الخبر عن موته هو . وجحف السيل ذلك التل كما قال .**

فلما احتضر قال : لاتخرج روحي إلا و بناتي كلهن موجودات عند رأسي ، إلا من خانتنى أمها فيها ، وكان عنده عدة بنات ، تزوجن في أماكن شتى ، ولم يكن عندهن خبر بمرض أبيهن . فاضطربت الأم وقالت : إن هذه سبة ، يبقى

أثرها إلى آخر الدهر ، وهذا بشر : قد يتحقق مايقول ، أولا يتحقق .

قال : هو ما أقول لكم .

فما سمعوا إلا ضرب آباط الابل من بناته ، كل واحدة تهوى من مكانها كأنها مرسلة حثثية . وكان آخرهن وصولا من تدخل من الباب وتخرج روحه .

نرجع إلى الوالد عبدالله بن حميد .. وامتاز أيضا الوالد عبدالله ، بصلابة الموقف ، والجد في الأمور ، وكان أولاد حميد هم المسؤولين في المضيرب عن إصلاحها وإصلاح أهلها ، ودفع المفاسد عنهم .

فمن حزم الوالد عبدالله وسعيه في الإصلاح : لما وصل الإمام سالم بن راشد ــ رحمه الله ــ إلى الشرقية ، وأراده الآباء أولاد حميد أن يزورهم : جمع أهل المضيرب ، وقال : إن هذا الإمام قادم لزيارتكم ، ولانحب إيذاءه بالشكاوي ، فمن كان له مظلمة على أحد فليخبرنا نأخذها له ، فإن لم ننصف المظلوم منكم ، فالإمام مرجع للجميع ، خوله الله قطع الرقاب فضلا عن رد المظالم .

ونحن نكفيه هذه الأشياء الخفيفة . وإن كان أحد منكم يقول : أنا لم نأخذ له حقه وقد أبلغنا من قبل فلكم حق أن تبلغوا الإمام .

قال الكل : لا .

قال : إذن مَنْ كتم اليوم علينا دعوى ، وأبلغها في غد الإمام فإني أعاقبه .

فبقى الإمام في مضيرب ثلاثة أيام لم يجلس بين يديه متخاصمان . فاستغرب الإمام لذلك ، اذ لم يحدث في بلد نزلها مثل هذا(١) .

ومن الرجال المشهورين بالشجاعة : **حمود بن سعيد الجحافي** . وكان ذات مرة في صحبة الشيخ **صالح** وقد هجموا على أحد المعاقل ، وكانوا يرتبون الهجوم ، فقال هو : أنا أنام الآن ، فإذا فرغتم فأيقظوني ، فنام وليس في نفسه شيء من القلق ولا التفكير .

وسجنه السلطان ذات مرة ، فاجتهد الشيخ **صالح بن علي** في أخراجه من السجن حتى خرج ، ولما خرج لم يذهب إلى بيته ، بل ذهب إلى **القابل** ، فأقام مهرجانا كبيرا تكريما للشيخ **صالح** ، وشكره على جهوده ، فقال الشيخ : **صالح** : وكان معجبا به قولته المشهورة : **« الشمس ما تغطىً بكف »**

وكان الشيخ صالح يذكر في بعض غزواته يقول : لما هجمنا على العدو كان بجنبي رجل يلبس تلاحيق ، وكنا منعنا أن يتقدم أحد على أحد إلا بعد الإشارة ، فكان هذا الرجل لايملك نفسه ، لانرى إلا ظل التلاحيق على ضوء القمر ، فيذكر المنع ، فيرجع الى الصف . وقد سئل كيف تفعلون إذا رأيتم الخصم ؟

قال : **« مثل الهيامي ترى الشرْيعة »** . يعنيّ الماء . فكان

---

(١) وهذا ما يشير إليه سعيد بن محمد ف كلام يتعلق به بعد هذا .

أول قتيل ، وكان بجنبي الثاني رجل أسمع وجيب قلبه من شدة الخوف .

وكان من الرجال المشهورين بالقوة من المعاصرين

صالح بن حمود السناوي الحارثي .

هذا الرجل كان مولعا بالصيد ، و يضرب الأسود من غابات : الورونديي بافريقية .

فحدث ذات يوم ، أن ضرب أسدا برصاصة جرحته ولم يقتله ، فغاب عنه في تلك الغابات التي غمرتها الأشجار ، والكلأ فيها يواري الإنسان فساريتبعه ، فبينما هويفتش عنه ، ما شعر إلا والأسد يقفزعليه رافعا يديه على كتفي **صالح** ، قابضا بمخالبه على وجهه ، فقام **صالح** يعالج التخلص منه ، وقد أثبت مخالبه في وجنتيه ، مسلطا عليه تلك القوة والبخر (والأسد موصوف بالبخر) كاد أن يهلك .

ولما كان أجله طويلا : استطاع بما بقى عنده من القوة ، أن يدخل يديه في فم الأسد و يقبض على فكيه مزحـزحا لهما و بكل قوة عنده دعّه الى خلفه دعة قوية ساعد الحظ فيها أن كان خلف الأسد حفرة بسقط فيها ، فأتبعه رصاصة في رأسه . فمات وسقط **صالح** بجنبه مغشيا عليه ، وكان عند **صالح** أصحاب فروا عنه لما رأوا المعركة قامت . وكذلك كان عند الأسد شبلان ، فراعنه أيضا . وجاء أصحاب **صالح** بعد فترة يتحسسون خبره على خوف ، فوجدوه وقرنه صريعين . جملوهما إلى البلد . فبقى **صالح** أشهرا في المستشفى حتى عافاه الله ، وعاد لمحاربة الأسود مرات عديدة ، ولايزال حيا يرزق حتى كتابة هذه الأسطر .

ومن الرجال المشهورين : سعيد .بن محمد المحرمي الحارثي وكان الإمام الخليلي معجبا به يروى عنه كثيرا ، فمن جملة رواياته : ما أخبرني عنه الشيخ الرقيشي قال : زار الشيخ سعيد بن محمد الحارثي الشيخ محمد بن سيف السعدي في سمائل وكانوا يمتطون الخيل . فمن مبالغته وإكرامه أن منع محمد بن سيف نساء الحارة أن يأخذن من حليب البقر شيئا ، بل يجمع و يسقى خيل سعيد بن محمد .

وكان المسجد تحت البيت ، فحضرت الصلاة الأولى ولم يذهب محمد للصلاة . والصلاة الثانية ولم يذهب .

فقال سعيد لمحمد : أيها الشيخ : تحضر الصلاة و يؤذن المؤذن تحت بيتك وأنت لا تهتم بها ، إن كان هذا لأجلنا فنحن راحلون لانكون سببا لضياع دينك .

يقول الإمام : فما فاتت محمدا بعد ذلك صلاة ، والدعوة إلى الله حتى من غير أهلها يكون لها وقع في النفوس .

وروي أيضا : قال : صحبت الإمام سالما إلى بلدة المضيرب : في دعوة من المشايخ أولاد حميد . فلما جلسنا جاء سعيد بن علي الدغيشي يشتكي من سعيد بن محمد هذا ، فبينما هم في الحديث ، والإمام يهم أن يرسل إلى سعيد للحضور ، جاء سعيد وحده من غير دعوة فعرضت عليه شكوى سعيد بن علي .

فقال مخاطبا لغريمه : هذا الإمام جاء زائرا ، ونود له كل راحة ، ونحن عندنا شيوخ لم يتركوا لأحد مظلمة على أحد ، و بهم كفاية عن أذى الإمام فاستحيا سعيد بن علي وسحب دعواه .

قلت : وهذا في غير المرة التي أشرنا إليها في اجتماع الوالد : عبدالله بن حميد في أهل المضيرب . أ . هـ .

وروى الإمام أيضا ، قال : كان سعيد بن محمد خارجا من بلاده ذات يوم فوجد ضيوفا قادمين ، فعرض عليهم النزول ، فقالوا : نحن قاصدون الشيخ عيسى . فصحبهم حتى أنزلهم عند الشيخ ، وقال : ما رضيت أن أصد ضيوفا قاصدين لك ، رأيت ذلك ليس من الأدب ، ولكن إذا فرغوا من حاجاتهم فأرجوهم .

قال : وإذا جاء ضيوف كبار ، وأضافهم وجهاء المنطقة لم يتركوا سعيدا يتقدم في الضيافة لإسرافه ، وإحراج من يأتي بعده .

وقد أنفق أمواله كلها في الكرم ، بل في السرف ، وأموال أزواجه حتى عاش فقيرا ، حتى أنه من كثرة ماشاع له من الصيت رأته بدوية يؤذن في المسجد ، فاستغربت أن مثل سعيد بن محمد يؤذن ، فقالت : « آزاك الدهر مؤذن يا سعيد » لأن في عرف العامة أنه لايؤذن إلا ضعفاء الناس ، وأظن أن له أصلا من الأثر .

واشتكى منه مرة محسن بن عامر : أحد أعيان الجماعة ، عند الشيخ السالمي ، يدعي عليه بحق ، فادعى : محسن على سعيد ، في محضر الحكم أنه له ثمن حصان وثمن فرس ، ولم يعطه ذلك .

فاعترف سعيد بذلك الحق ، إلا أنه طلب مهلة في الوفاء . فقال محسن : لا أمهلك ، ولو حتى تقوم من مجلسك . فطلب منه المشايخ الحاضرون أن يمهله . فلم يقبل .

و بعد الطلب الشديد ، وإباء **محسن** من ذلك .

قـال **سعـيد** : اتركوه الآن ، إن شاء الله أعطيه حقه قبل أن أقوم من مجلسى .

فليحاسبني على أيديكم .

قـال : محـسن : أحاسبك ، أنت تفضل عليّ بهذا الوجه الأسود « وكان سعيدٌ أسود ، لأن أمه جارية سوداء » .

قـال سعـيـد : بكـل هدوء . ان كنت تخضع للحساب فعندك صريمة فضة بكذا وكذا .. وعندك كذا .. وكذا .. حتى عد عليه أضعاف ماله .

هل وصل إليك هذا ؟

قـال « وقد انكسرت حدته ». هذا من غير الحق الذي عليك

قـال الـشيـخ الـسالمي : « وجبـت » يـا سعـيد عليك البنية .. وإلايحلف لك محسن .

قال **سعيد** : ليس عندي بينة ، فليحلف . **فنكل محسن** عن اليمين ، واعترف بذلك ، و بقيت عليه بقية ، **استمهل : سعيدا** فيها .

قـال **سعـيد** : بل أعفوك منها : **« ليفضل الوجه الأسود على الـوجـه الأ بيض »** . ومع ذلك فلم يبد منه غضب ولا أى كدر ..

روى لي هذه القصة عمى عبدالله بن سليمان ..

كمـا روى لي أيضـا : أنه اشتكى هو عند الشيخ السالمي أيضـا : بعلي بن حمود (وكان علي بن حمود خنجريا ، وسعيد محـرميا فخذين في الحرث يسكنان مضيرب) وكان بين هذين الفخذين خصومة مستمرة ، تفضى الى الفتن والقتل ، فجدد عليٌ سبلتهـم (مجلسـهم) بجنب السوق ، وخرق لها نوافذ عليه ، فأنكرها سعيد وقال : هذه تضرنا .

فاشتكى سعيد عند الوالد عبدالله بن حميد .

فردهما الى الشيخ عيسى .

فردهما الى الشيخ السالمي .

فـادعى سعيـد أن هذه المرامي تؤثر علينا إذا صارت بيننا و بين الخناجرة فتنة : ستكون رصدا لهم

فقال علي : يا سعيد إذا صارت الفتنة ــ ونعوذ بالله منها ــ لا أجلس لك على مرمى ، بل أبرز في الساحة ليأخذ كل نصيبه .

فقال الشيخ السالمي : « أف له : يصلح للملك ».

ولم يثبت لسعيد شيء في دعواه .

روى لي هـذا محـمد بن سعيـد بن جميع وكان ثبتا في الرواية . وزاد : « ولم يقل الشيخ : « يصلح للإمامة » .

وكـان سعيد بن محمد موفقا في بعض الأحيان لفعل الخير . كما روى لي عمى عنه . قال : اختصم محسن بن عامر و بعض الـدغـشة ــ فخذ من الحرث ــ يسكنون مضيرب ، اختصموا في الـفـلـج : كـل مـنهم يقول : إن الفلج طلوع شمس غد له .. فما قدر على صلحهم .

فتنادوا بالعصبية : أنهم يلتقون على الفلج في ذلك الوقت ، فمن غلب سلب : فتحاشد الدغشة بسلاحهم ، وجاء محسن وعنده عبيد أفريقيون بأسلحتهم ، وكان بيت سعيد بن محمد مشرفا على موقع الفتنة ، وعنده مال يسد له الفلج قبل كل أحد وعند طلوع الشمس ، وقد قعد الشيطان في وجه كل واحد يزين لهم الفتنة ، و يغريهم عليها ، ولم يبق بينهم إلا القتال .

نزل سعيد من بيته فسد الفلج لما له عن الكل وقال : بينكم الشرع الشريف : فمن صح له هذا الماء دفعت إليه ثمنه . فكف بذلك الفتنة ، وحقن الدماء . وهذه من جملة محاسنه

وكل إنسان له محاسن ومساوىء ــ حاشا صاحب الرسالة صلوات الله وسلامه عليه .

فمن مساوىء سعيد بن محمد هذا : إيقاده للفتنة بين جماعته والخناجرة من دون أن يحس بذلك غيره ، و يُظهر من الإصلاح خلاف ما يكتم ، لكنه لابد للمستور أن يظهر .

ومهما تكن عند امرىء من خليقة
وإن خالها تخفي على الناس تعلم

فلا تكاد تمر يوم على سوق مضيرب إلا وفيه فتنة بين هذين الفخذين وربما اشترك غيرهما معهما ، وأكثر ما تكون بالعصى ، وربما أفضت إلى الحديد .

وقد سبق أن قلت : إن أولاد حميد هم المسئولون عن مضيرب وصلاحها ، ورد الناس بعضهم عن بعض . ولا ترفع الأمرة إلى المشايخ أولاد صالح إلا إذا ردوها عليهم ، أو احتاجت الى أحكام شرعية .

فصار أولاد **حميد** كل يوم يسددون و يطفئون الفتن ، فكانت شغلهم الشاغل : يهجمون على الحوانيت في السوق : يخرجون العصى المهيأة للفتنة فيحرقونها أمام الناس .

ولما طال ذلك ، ولم يعرفوا السبب المثير لهذه الفتن : **اكتشف الوالد عبدالله بن حميد بما رزقه الله من ألمعية المثير الخفي : ... فذهب غداة يوم إلى سعيد بن محمد في بيته مفاجأة .**

فقام سعيد مكرما له .

قال : نحن ما جئناك لتطعمنا ، جئنا نعطيك انذارا أنه إذا وقعت فتنة بعد اليوم في البلد ، لانعرف مسئولا غيرك عنها ، فاستعد للمسألة ، فجاء ليعتذر ، فنهض عنه ولم يسمع قوله .

وقال له : هذا الجواب الأخير : والسلام عليك .

قال : فما وقعت فتنة بعد ذلك ، واستراح الناس ، وصاروا في دعة وحسن جوار .

وسار سعيد ذات يوم يسلم على شيخنا **نور الدين** في بلدة **الظاهر** وجاءه في وقت متأخر لم يتمكن الشيخ من تكريمه كما ينبغي له .

يقول الشيخ : هذا سعيد بن محمد ، ماذا نقرب له للغداء وهو المسرف إذا أكرم .

يقول الشيخ : فقد مناله الحاضر من الأكل ، وأنا هربت عنه من الحياء ، لكنه مما يدل على كرمه وسمو نفسه ، لما اعتذرت له حلف يمينا بالله أنه لم يأكل أحلى وألذ من هذا الغداء ، والدليل على قولي أني أكلت غالب الطعام ولم أترك إلا القليل .

يقول الشيخ : وكان في تلك الأ يام ورد للبيع **كتاب النيل** عن الإمام القطب ، و يريد الشيخ أن يأخذ للطلبة نسخة منه ، ولكنه لايملك المبلغ ، فعرض ذلك على **سعيد** ، وعرض له إن كان يود أن يتصدق على المتعلمين بنسخة .

فقال : خذ أيها الشيخ أربع نسخ لهم أوخمسا .

«الشك مني : هل روى لى الوالد ـ رحمه الله ـ الأ ربع أو الخمس » .

وتسمو نفس **سعيد** في بعض الأحيان فتنازعه على أن يكون مبرزا في البلد .

كما ذكر عنه أنه جاء الى الوالد **عبدالله بن حميد** في يوم من الأ يام .

وقال : أريد أن أصلح بينك و بين الشيخ **عيسى** . بلغني أن بينكما بعض التنافر .

فقال له : **عبدالله** . « تأدب » لست هناك . فلئن اختصمنا **أنا وعيسى** ، سوف نصطلح بلا واسطة من أحد . فرجع منكسر النفس .

وسبب هذا التنافر بين الشيخين ، الذي أراد سعيد أن يتوسط فيه :

هو : أن ابن خال **لعبدالله** عد عليه أشياء ، فأمر له الشيخ **عيسى** بحبس باتفاق مع الوالد **سليمان بن حميد** ، فغضب **عبدالله** لذلك ، حيث أنه لم يناظر في القضية . وهو ابن خاله ، فأطلقه من الحبس ، فصار بينهما هذا التنافر بسبب هذه القضية . ولم يلبث أن زالت بحسن الأخوة ، وصلاح الطوية .

ولسعيد بن محمد حكايات في تحمل الغيظ ، فمنها : أنه كان ذات يوم في ماله ، فمر في الطريق بعض الجماعة الحجريين ، فتشاوروا أين ينزلون ، وهو يسمعهم ، ولا يرونه .

فقال واحد منهم : (سحة السميري مربوطة) معناه أن سبلة أولاد حميد مفتوحة .

وقال الآخر منهم : (عليكم بها الحميّر الأسود) يعنون سعيدا . فاتفقوا على ذلك ، فتقدمهم هو وثبا إلى منزله ، وأمر لهم بالذبائح ، وعمل لهم أكلا كثيرا ، وتلقاهم بالبشاشة والإكرام ، ولكنه أساء في آخر الأمر ، ولم يكمل كتمه لغيظه ، فلما حضر الأكل وأحس أنهم يأكلون معجبين بهذا الكرم الفياض دخل عليهم وقال : كلوا وسامحوا الحميّر الأسود عن التقصير ، فاستحيوا وتنغص عليهم الأكل ، لكنهم لم يردوا عليه بشيء .

ولقيته امرأة ذات يوم ولم تعرفه ، فظنته عبدا من العبيد الافريقين ، فحملته بعض الأشياء على ظهره ، حملها ولم يستنكف .

وكان ذات يوم يغتسل في الفلج ، فمر واحد فشم رائحة إبطيه ، فسبّه وتأفف منه وهو يسمع ، و بقى ينتظر خروجه حتى يدخل هو الآخر ، ولما خرج فعرف أنه سعيد بن محمد ، استحيا منه . فبش سعيد في وجهه ، وطيبَ خاطره .

وكان هذا شأنه في الاحتمال وهي خصلة فذة فيمن يوفق إليها ..

ذكر نبذة من أخبار الإمام الخليلي

هو الإمام **محمد بن عبدالله الخليلي :** أشهر من نار على علم وقد تكفل غيرنا بذكر نسبه وتاريخه .

ولكنا نذكر عنه ماسمعناه ولم نجده مأثورا .

كان هذا الإمام لايرى منزلة لأحد فوق منزلة المتعلمين : كان يجلهم و يرعاهم ، و يفتح لهم المجلس ، و يقدمهم في الصلاة و يتعهدهم بنفسه ، و يداوي مرضاهم إلى آخر مايحتاجون إليه من عوز ، و يرسلون بعضهم إذا احتاجوا لشيء إلى بيته حتى وقت الراحة .

وكان لايستنكف من أى طلب يقدمونه ولو صغر ، لكن بشرط أن يكون رسول المتعلمين إليه في بيته ممن لم يبلغ الحلم منهم ، فإذا بلغ لم يُدخله ، بل يأتي غيره .

ومن رعايته لهم أخبرني بعضهم قال : لما كنا في نزوى نتعلم ، وكنا في ضنك من العيش ، **سمعنا عن الإمام ذات يوم أنه سيخرج إلى سعال ،** لدعوة له دعاه فيها بعض المشايخ ، فأحببنا أن نذهب معه لننعم ببعض ما يقدم إليه من الأكل ، ولما خرج وجدنا واقفين على الباب .

قال : ما عندكم ؟ فأخبروه .

قال : ارجعوا إلى المسجد تعلموا ، فذلك أنفع لكم من متابعتنا ، فرجعنا منكسري الخاطر ، **فرأى الكراهة في وجوهنا .** ولما رجع قبيل الظهر ، دخل علينا في الغرفة التي نأوى فيها ، وقعد معنا .

وقال : أنا رددتكم في الصباح والقصد مصلحتكم ، وقد

أكلنا : **حلوى ، ودنجو ، وتمر خلاص** ، وهذه ثلاثة قروش يذهب واحد منكم يشتري الحلوى والدنجو وواحد يذهب إلى البيت ، وهناك خرس فيه تمر خلاص ، فليأت بشيء منه .

قال : ففرحنا وأحضرنا الأنواع الثلاثة ، واجتمعنا لأكلها ، وهو : كأنه يأكل معنا ، لكنه يأخذ اللقمة و يقبضها في يده ، ثم يردها ، وهكذا فعل ، حتى أتينا نحن على الجميع ، فذهب عنا ــ جزاه الله خيرا ــ وعلى هذه القصة فقس هذه الرعاية وكرم الأخلاق .

وقد حضرت في مجلسه يوما و بجنبه أحد العلماء وهو يتحدث في أمور فجاء أحد شيوخ القبائل ، فجلس بينهما ، فقطع الامام حديثه . وقبل أن يسأل هذا الشيخ عن حاله قال : **كان الوالد سعيد بن خلفان يتقدم على الإمام عزان في المجلس و يقول :** «أريكم فضل العلم ، أريكم فضل العلم» .

ثم رجع إلى حديثه الأول . فلا أدرى هل فهم ذلك المضروب بهذا الكلام : فأصر ، أو لم يفهم ؟

قلت : وسمعت الشيخ الرقيشي يقول : عاتب الامام **سالم بن راشد** الشيخ : **نور الدين** ، حيث لم يتقدمه كما يفعل الشيخ **سعيد بن خلفان .**

قال : إذا بلغت منزلة **الخليلي** تقدمتك .

وفي أيام الغلاء في عمان صار الأرز مفقودا ، والناس أكثر ما يأكلون التمر والسمك أو اللحم ، وذلك أيام الحرب العالمية الثانية . والإمام ــ رحمه الله ــ يأكل مثل ما يأكل العسكر

والضيوف ، لايزيد عليهم بشيء ، ولو خلا في بيته .

وكانت زوجته ابنة عمه ثرية ، فاشترت من مالها جونية أرز ، أخفتها عن الأنظار ، وطبخت له ذات يوم منها ، فقربته إليه .

قال : من أين لكم هذا ؟

قالت : اشتريته من مالي شفقة عليك ، لأني أخشى عليك من هذا الأكل الذي تأكله مع سائر الناس ، فأحببت أن أزيدك .

قال : كلا : لا أزداد عليهم بشيء ، لا آكل إلا ما يأكله العامة ، لاحاجة لي به ، احمليه ، أو أطعمي الجميع

قالت : فردني إلى أن أتابعه ، فآكل ما يأكله ، فما دخل بطوننا شيء غير الموجود للعامة ، حتى فرج الله ، وارتفع الغلاء ، وعاد الناس إلى ما كانوا عليه .

واشتهى يوما بعض الأكل في بيته ، فلما حضر عف عنه وقال : لا أحب أن أعطي نفسي ما تشتهي .

جوع الخليفة والدنيا بقبضته

في الزهد منزلةٌ سبحان موليها

وما أشبهها بقصة عمر بن عبدالعزيز حين اشتهى العسل فقربت له زوجه بنت عمه ما اشتهى . فلما حضر عف عنه وقال : لا أعطي نفسي مناها

وحضرت يوما في مجلسه أيضا : وقد جيء بكيس قروش من الرستاق ، فترك الكيس تحت ركبته ، فقام بعض الحاضرين وقال :

أيها الإمام : أنا لى على الدولة كذا وكذا ، فأعطاه من الكيس ما قال ، ثم قام الثاني فأعطاه ، والثالث والرابع ، حتى نفد الكيس ، ولم يبق إلا ثلاثة قروش ، كأني أراها الآن تلمع في يده ، قبض عليها ، وأبقى الكيس فارغا ، وقام ليدخل الحصن ، فتبعه بعض الشيوخ ، فقبض على يده قبل أن يدخل من الباب ، وابتز منه الثلاثة قروش بالقوة .

والامام يقول : هذه اهلنا محتاجون إليها لبيتنا .

وذلك الشيخ يقول : أنا محتاج إليها أيضا . واضطر الامام للاتكاء على الجدار ، مستعينا به عن السقوط على الأرض ، فأخرجها من يده ، والإمام يبتسم ، ودخل الامام بيته ، وفي يده (الحلى) فقط .

فتذكرت النبي صلى الله عليه وسلم ، والأعرابي يلزه إلى السمرة حتى قبضت رداءه يطالبه بالعطا .

فما ظنك بحاكم غير الخليلي ، ومن على شاكلته يتجرأ عليه أحد ، فيعامله مثل هذه المعاملة .

و بات ذات ليلة في حصن بهلا . وفي آخر الليل قام وخرج لقضاء الحاجة ، وتوضأ ، وقام يصلى ، وأصحابه لم يشعروا بخروجه ، فتلاوموا في الصباح : كيف لم يحرسوه حتى خرج وحده وهذه مسئوليتهم ؟

وفي الليلة الثانية شعروا به لما خرج ، فحرسوه ، ورآهم يحرسونه وهو يصلى ، وترقبوه في الليلة الثالثة ليقوم فلم يقم ، ورأوه يتقلب في فراشه من دون أن يفعل مثل ما فعل في الليلتين الأولين رأفة بهم .

قلت : وما أشبهها بامتناع النبي صلى الله عليه وسلم عن الخروج لأصحابه لصلاة الليل مخافة أن يفرض عليهم ـ رأفة أيضا بهم ـ وهكذا كان الامام الخليلي يقتفي تلك السيرة المطهرة .

وسمعت عمي يقول : ركبنا ذات يوم مع الإمام من بلدة **سناو** قاصدين **نزوى** . وكان في الرفقة مائة راكب . فلما كنا في **الدوح** وكان بعد المغرب .

قال سعيد بن راشد الجحافي للإمام : أين المبيت ؟

قال : « قدام » فأخذ خطام ناقة الإمام وجرى به ، والإمام **لايقول شيئا ، لا : إذا ساروا بقوة ، ولا إذا أبطأوا ، فما وقف سعيد** بالإمام إلا في بلدة **فرق** في الثلث الأخير من الليل .

يقول عمي : فما وصلنا عند الإمام إلا خمسة من المائة ، الجلْدُ مِنّا مَنْ يحطُّ الرحل عن ناقته ، وإلا فيسقط تحتها من قوة التعب .

أما الإمام : فإنه نزل عن ناقته ، وتوجه إلى الماء فتوضأ ، واستقبل القبلة يصلي ، حتى أذن لصلاة الصبح .

وارتحلنا بعد الصلاة إلى **نزوى** .

قال : وأخبرت عن ذلك **خالي** : **يعني الشيخ عيسى** . لما رجعت .

فقال : هكذا تفعل رجال الآخرة ، وما برح يكررها عدة أيام ، معترفا له بالفضل ، كما اعترف له أيضا ، ودائما يعترفان لبعضهما البعض ، **فلا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أهل الفضل** .

وكانا ذات ليلة من رمضان ، سارا من القابل قاصدين سمائل ، فبات الإمام في : روضة الحبوس . وبات الشيخ في : العلو. فصلى الإمام تلك الليلة التراويح ، ولم يصل الشيخ ، لأنهما نويا الإفطار في اليوم الثاني . ولما أخبر الشيخ أن الإمام صلى التراويح . قال : هكذا تفعل الرجال ، أما أنا فقد استحوذ عليّ العجز ، فمتى أبلغ تلك المنزلة ، ألى آخر مابقي يعاتب نفسه ، ويحقرها ، بقي يقول ذلك أياما .

وحضرت يوما في مجلسه في صحبة والدي : والوالد : صالح بن أحمد الحارثي فأمر بإحضار عنب ، فقال : كلوا ، فهذا أهدى إلينا . فقال الوالد (معلقا على ذلك) : حضرت عند الإمام سالم بن راشد وأنا يومئذ صغير ، في صحبة أخي محمد ، فأمر الإمام بإحضار عنب كهذا ، وقال : كلوا فإنه ليس من بيت المال ، إنما أعطانا بعض الإخوان دراهم ، فاشترينا لكم بها هذا العنب . فقال الإمام الخليلي : « رحم الله الإمام سالما ، لوتمعن لعرف أن كل ما بيده لبيت المال : أهدى إليه لمّا كان في هذا المنصب » .

وحضرت يوما في مجلسه ، وسمعته يقول لما عوتب على كثرة الإنفاق من بيت مال المسلمين : « ما أنفقناه في هوى ، وإنما أنفقناه في مصالح المسلمين » فإن مت عطشانا فلا نزل القطر ، وكأنني وقد أتى من بعدنا مَن يأكله خضما وقضما .

وسمعته أيضا يقول : كأني بالفتن على أفواه السكك ، نسأل الله السلامة وكنت أيضا حاضرا في مجلسه . فجاء

الشيخ **سعيد بن راشد الحجافي** ، وهو أعمى لايرى حتى الشمس ، وقد بقى للإمام من النظر ما يهتدي به لحاجته الضرورية . فلما مد يده ، ومد **سعيد** يده ليحاوله ، تخالفت اليدان .

فقال الإمام : أنا لا أقابل ، وأنت لا تقابل .

قال **سعيد** : بل أنا أقابل .

قال الإمام : إذن أنا لا أقابل ، تواضعا منه ورضى بقضاء الله .

وحضر ذات يوم ليصلي المغرب في غرفة الصلاة ، فلما أمر بالإقامة شم في أثنائها رائحة دخان .

فقال للمقيم : أسكت . من أين هذا الدخان ؟

فقيل له : هذا الضيف الغريب هو الذي يدخن .

قال : أحضروه ، قال : إن المسلمين أكرموك : فأنزلوك في مَعْقلهم ، وأنت لم تحترمهم ولم تحترم نفسك ، أتعصى الله وأنت مسرور ؟ أخرج من الحصن ، فلا نبيح لك البقاء فيه : **وفي الصباح تهيأ للرحيل من البلد** : وأرسل معه مَن أخرجه خارج الحصن . **ثم أمر بالإقامة وقام للصلاة ، بعد أن غير المنكر ولم يصبر عليه ولا هذه اللحظات الوجيزة ، جزاه الله خيراً** ، وأحسب أن من أخبرني قال : إن الضيف فلسطيني الجنسية .

ولما آذته عيناه ، خاف زوال بصرها : طلّب الدكتور الأمريكاني من **مطرح** ، ليعالجه فجاء مع امرأته ، وقد ألبسها الثياب العمانية ، فعالج الإمام ، فحصل على شفاء ، و بقى

أياما في نزوى . وفي أثناء قيامه طلب من الإمام أن يأخذ منه صورة تذكارية .

فقال الإمام : هذا لايجوز عندنا .

فقال الطبيب : أنا أتحمل المسئولية إن كان لايجوز ، فأنا الذي أفعل غير الجائز ، لا أنت .

قال الامام : لكننا لانعينك على المعصية .

فتربص الطبيب له في مكان مشرف على باب الجامع ، إذا خرج الإمام من الجامع ، أخذ عليه الصورة بلاعلم منه .

فهيأ الآلة ، وقعد عليها وقتا طويلا ، ينتظر خروج الإمام من الجامع ، فلما حان خروجه ، إذا برجل مريض كله قروح نائم في ذلك المكان الذي فيه الطبيب ، فقفز هذا المريض بكل جهده وقوته . فقبض على رقبة الطبيب ، وألقاه مستلقيا على قفاه فتصارعا ، والطبيب مندهش من هذا الأمر ، فلما قام المريض عنه ، إذا بالفرصة فاتت عليه ، فقد خرج الإمام من الجامع ، فرجع الطبيب فارغ الحقيبة من أمله .

قلت : لعل ذلك كرامة للإمام ــ رحمة الله عليه ــ .

وسمعت والدي يقول : أخبره الشيخ **زاهر بن غصن الهنائي ، قال : أمر لي الإمام بسجن ، فسجنت في القلعة ،** ولكنه سجنٌ باحترام ، وكان سلاحي عندى لم ينزع عنى ، وكان الإمام إذا دخل الحصن ، أوخرج منه ربّما يقف على الباب من خارج ، يكلمه بعض المراجعين . فعند وقوفه

ذلك : سولت لى نفسي أن أفتك فيه وأقبض القلعة ، والسفالة تتبع القلعة : تدين لمن قبضها أيا كان ، لاسيما وأن جدي **هلال بن زاهر** كان هو الحاكم على القلعة مدة طويلة ، فمما سولته لى نفسي : أنه لاشك أنها ستدين لى إن قتلت الإمام .

فصوبت البندقية إليه ، بحيث إن أطلقتها لم تخطىء رأسه ، فغلبني الحظ بأن تراجعت عن ذلك ، وقلت : يا زاهر: أتهدم موردا للمسلمين ، فماذا عسى أن تنال ؟ ولعلك لاتهنأ بعيش بعدها ، فتكون ممن خسر الدنيا والآخرة .

وفي اليوم الثاني نازعتني نفسي الأمارة بالسوء كذلك ، فمددت البندقية إليه ، ثم تراجعت أيضا ، فعلت ذلك ثلاث مرات . فكان من سعادتي أن فضلت بقاءه على هوى نفسى ، والحمد لله حمدا كثيرا .

سمعت الشيخ الرقيشي يقول : إنه اختصم المشايخ : **زاهر بن غصن ، وعمه خالد بن هلال** ، حتى قام بينهما حرب ، قسما جماعتهما شطرين : شطر عند **خالد** ، وشطر عند **زاهر** ، وبعد ما اصطلحا في **الظاهر** ، بقيا يبغيان الغوائل لبعضهما البعض ، وفي ذات يوم توجه الشيخ **خالد الى الامام ، واصطحب** عنده الشيخ **أبا زيد ، فانتهز زاهر** الفرصة ، وقال لواحد من جماعته : الحق **خالدا ، فإذا وجدته مع الامام ، فاشتكي منه أنه ربطك ، وضربك ، ففعل الرجل** ذلك ، **وفي الحال أمر الإمام لخالد بالسجن** .

فقال الشيخ **أبوزيد :** (ربيعى) أيها الإمام .

قـــــال : ربيعك عن الإمام ، وأنت الآخر: من أذن

لك بالوصول إلى هنا ، ارجع إلى عملك .

فتم غرض زاهر في خالد .

وسمعت الشيخ سعود بن سليمان الكندي يقول : أمر الإمام باعتقال الشيخ ابراهيم بن سعيد العبري ، فحاول أن يمتنع ، فأجبر وقيد في القلعة . فصار جماعته ، وبنو سيف (السيفيون) يترددون عليه بمآكلهم وفُرُشهم ، وجلبوا إليه كل راحة ، لكن في رجله قيد ، قال الشيخ سعود : فوصاني على الإمام أني معتقل ، فما معنى القيد ؟ أو أنه يطلب إهانتي ؟

قال : فقلت للإمام ذلك .

فقال : لو لم نطلب إهانته ما قيدناه ، وقد أهان نفسه بنفسه

والسبب في اعتقال الشيخ : أن رجلا هطاليا قتل رجلا وهيبيا خارج نزوى ، فطلبه الإمام ، فالتجأ إلى الشيخ ابراهيم ، فمنعه ، وألح الإمام في طلبه ، فتلكأ ، فطلب حضور الشيخ . فجاء ومعه خمسون عبريا مسلحين ، وربما في نفوسهم أمر ، لكن إذا عزم أبو خليل على أمر ، ذاب كل ما حال بينه وعزمه .

فأمر له الإمام بالسجن

ولم يحاول أن يمتنع ، ولا قومه أن يعارضوا . فامتثل وذخل السجن كما وصفنا .

ثم اجتمع أكابر العبريين ، فطلبوا من الإمام الإفراج عنه ، على أن يقربوا الهطالي ، و يعزلوا الشيخ عن الزعامة ، فأطلقه الإمام على هذا الوعد ، لكن مع الأسف أنهم لم

يفوا بما وعدوا ، حتى آل الأمر إلى أن يقوم عليهم الإمام بجيش ، ومن تلك القضية خرج الشيخ **إبراهيم** إلى **مسقط** ، وتولى القضاء عند حكامها .

ولما كان الشيخ **إبراهيم** في السجن ، نظم أبياتا أخبرني عنها الشيخ **سعود** . لكنى لم أحفظ منها سوى هذين البيتين :

ما اجتمع اثنان سوى افترقا
فمتى يا قيد تفارقني
ما بينك قط وبيني من
نسب فعلام تعانقني

قلت : ومن الصدف أن الشيخ **سعودا** يروى لى هذه الرواية ، وأنا وإياه في سجن **سعيد بن تيمور** في **الجلالي** ، والقيود على أرجلنا ، فخمّست هذين البيتين :

فوجئت شعار القهر رقى رجلي فقلت وقد غلقا
والقلب غدا مني قلقا ما اجتمع اثنان سوى افترقا
فمتى يا قيد تفارقني ؟
ظولت على فكنت قمن بالفعل السوء وسوء الظن
فإليك إليك فلست بقن ما بينك قط وبيني من
نسب فعلام تعانقني ؟

كما خمست في السجن أيضا هذين البيتين :

دع المقادير تجري في أعنتها ولا تبيتن إلا خالي البال

ما بين غمضة عين وانتباهتها

يبدل الله من حال إلى حال

فقلت :

مَنْ شاء أن يحتوى العليا برمتها

دنيا وأخرى يفوض عند شدتها

أو كنت باذا النُّهي من أهل

بجدتها

دع المقادير تجرى في أعنتها

ولا تبيتن إلا خالى البال

فإن من لم يفوض مع إصابتها

لم يُغنه ومضت كرها لطيّتها

فاصبر ولا تبتئس تظفر بغايتها

ما بين غمضة عين وانتباهتها

يبدل الله من حال إلى حال

وقد خمست أيضا لما كنت في السجن هذين البيتين :

فلرب نازلة يضيق لها الفتى ذرعا وعند الله منها المخرج

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت أظنها لا تفرج

فقلت :

ما راعني أمر دهاني إذعتنا سلطتُ من جَلَدِي عليه مصلّتا
ورضيت عن سر القضاء بما أتى فلرب نازلة يضيق لها الفتى
ذرعا وعند الله منها المخرج
فعوائد الله الجميلة ذاتها لمّا تَزَلْ تسرى بنا نفحاتها
كم كربة جلت وقل هُداتها ضاقت فلما استحكمت حلقاتها
فرجت وكنت أظنها لا تُفرج

وسمعت الشيخ سالم بن حمود السيابي ، يحكى عن الإمام يقول : كان الإمام ذات يوم جالسا مع أصحابه إذ تقدم أمامه رجل حسن الهيئة كبير الجثة ، فسأله عن الفرق بين الذات والصفات ، فغضب الإمام غضباً شديداً ، ما رأيته غضب مثل ذلك اليوم وقال : تريدني أن أفعل مثل العالم والتيس ، ويكررها ، فهرب ذلك السائل من بين يديه .

ثم قال الإمام : أتدرون ما معنى العالم والتيس ؟

قال جلساؤه : أخبرنا .

قال : كان رجل عالم خاف على علمه الضياع ؛ لأنه لايأتيه أحد يتعلم منه . ومن شدة طلبه للمذاكرة حرصا على بقاء العلم ، اشترى تيسا وعلمّه أنه إذا تكلم يهز التيس رأسه ، فهذا يريد أن أتكلم أنا وهويهز رأسه لايعرف ما أقول ..

وحضرت يوما في مجلس الإمام . وكان الشيخ إبراهيم بن سعيد العبري يكلمه في القيام على عبري ، إثر طرده منها ، إذ كان واليا عليها من قبل الإمام فقام عليه أهل عبري فطردوه . وكان يكلم الإمام في هذا المعنى والإمام لايرد عليه . وبعد ماتكلم طويلا ، قال الإمام : كان رجل له زوجتان : إحداهما شابة ، والأخرى عجوز ، وهو أخط الشعر ، فكان إذا نام مع الشابة أخذت من لحيته الشعر الأبيض ، وإذا نام مع العجوز ، أخذت الشعر الأسود ، حتى صار بلا لحية .

ثم تكلم الشيخ طويلا .

فقال الإمام : كان رجل عنده زولية طويلة وعريضة ، وضع في وسطها حرف ذهب ، وقال لأصحابه : مَنْ أخذ هذا الحرف فهو له على شرط أن لايطأ الزولية ، فتحير أصحابه مع رغبتهم في الحرف ، فقام واحد منهم فطوى الزولية ، حتى وصل إلى الحرف فأخذه ، وكان أحكمهم .

ثم تكلم الشيخ طويلا فقال : مرنا بالقيام عليهم .

فقال الإمام : أمر الشيخ علي بن سعيد الغافري العبريين لما اشتكوا إليه من البلوش أن يضربوهم . فضجر الشيخ إبراهيم وخرج إذ لم يحصل على جواب مفيد .

فقال الإمام : لأي شيء لم يقم عليهم وهو هنالك ؟ أكنت أنا خاذله ؟ كلا : ولكن الغرضّ من هذا الكلام كله : أن أعطنا يا محمد مبلغا من المال نأكله ، وتبقى عبري كما هي .

والسبب في طرد الشيخ إبراهيم من عبري : أنه كان نظره مخالفا لنظر أهلها ، فكان يستمد من الإمام ومن السلطان ومن ابن عطيشان ، وله ثلاثة وجوه مع الثلاثة الحكام . وكان أهل عبري بعضهم ينظر الى الغرب ، و بعضهم ينظر إلى الشرق ، فغاظهم ما يفعله الشيخ ، فتحينوا فرصة خروجه إلى جماعته في بلده العراقي ، فألحقوه رسولا : إنك إذا رجعت إلى عبري فلست في الذمة ، فما رجع إليها بل ذهب إلى بلاده ، قعد بها ما شاء الله ، ثم ذهب إلى الإمام ، وصار بينهما ذلك الحوار .

ولما وصل ابن عطيشان إلى البريمي مفاجئا بطلب من أهلها ، وأهل النفاق من أهل عمان ، وصل واليا من قبل حكام نجد ، وعنده كتب من الأمير بن جلوي إلى كل من : الإمام الخليلي . والسلطان سعيد بن تيمور ، يخبرهم بذلك ، قال الإمام : لابد لنا من مفاهمة مع السلطان ؛ لنصد هذا الدخيل علينا ، وعمان كل لايتجزأ .

شاور صحابه من يرسل لهذا الغرض ؟

فأشاروا عليه بواحد من اثنين : إما الشيخ خالد بن هلال الهنائي أو والدي حمد بن سليمان فأرسل إليهما وقال : من وصل منهما قبلا أرسلناه فوصلا في يوم واحد . لكن وقع الاختيار على والدي .

يقول الوالد : ــ رحمه الله ــ وصلت مع السلطان ، فوجدته متعطشا لمعرفة ما عند الإمام . ففرح بى فرحا كبيرا ، وقال : لابد من التضامن والقيام معا .

قال : وأخبرني عن رؤيا رآها قبل ذلك بأيام .

قال : «رأيت كأنا في مكان ، فانفتح علينا باب من الغرب ، قمت إليه لأسده ، فما استطعت ، وكأن عاصفة تدفعه ، فإذا بالعلامة الخليلي قام يساعدني عليه فسددناه » .

وها قد تحققت الرؤيا .

قال الوالد : فطيبْت نفسه عن الإمام ، ثم تجاسرت عليه فقلت : مايمنعك أن تقول الإمام بدل أن تقول العلامة ، أليس هو بإمام ؟

قال : بلى أنا أقدر ذلك الرجل ، وأنزله منزلة الوالد ، وأعرف له الفضل علينا ، وأنه كفانا بعد له أمورا كثيرة ، لولاه لتكلفنا بها ، وما يمنعني أن أقول الإمام إلا أن اللسان جرى على ذلك ، وسوف أقولها إن شاء الله .

قال الوالد : فزودني ذخيرة كثيرة ، وعيشا ، ودراهم

وقال : هذه للمثار ، فإن لم تحتاجوا اليها فتكون عندك أمانة حتى تردها إلي . فحفظها الوالد في بيت الشيخ زهران بن سليمان العزري في نزوى ، حتى تحقق المثار ، وأخبر الإمام الرضي عن ذلك ، وأيد رأيه .

واتفقا على أن يقوم كل من قِبَلِه ، وأهل عمان بالخيار : فيمن أراد أن يقوم مع الإمام أومع السلطان والملتقى في البريمي .

وبالفعل فقد قاموا ، ولكن الإمام رحمة الله عليه مريض ، لم يستطع القيام بنفسه ، وقد أناب عنه كلا من

الشيخ الحميري ، والوالد : صالح بن أحمد الحارثي كل في قومه . وكنت مع القوم . فلما كنا ببهلا : بيت رسول من السلطان من صحار يقول : إن الدولة البريطانية تكفلت عنا برد خصمنا ، وإنه لاداعي إلى المثار والقتال ، ما حصل الصلح . وكذلك وصل في الوقت رسول من الإمام أيضا يقول : أرى التأخير حتى نتروى من القضية ، ولعل بعض أصحابه شوشوا عليه ، وهو مريض ، فلزم التأخير والرجوع للأمرين كليهما فلما عزموا ، دعوت أنا والدي في نجوى ، فقلت له : إنك ابتليت بهذه الامانة ، وأنت غدا راجع إلى نزوى ، وتعلم أحوال الناس ودسائسهم ، فربما يطلبون من الإمام أن يأخذ منك هذه الذخيرة ، فتبقى محرجا في الأمر ، لا تستطيع رد أمر الإمام ، وسيقال : إنها بيت مال ، والدولة أحق بها ، بينما أنت تحملتها أمانة يلزمك ردها ، وإلا ضاع اعتبارك مع السلطان ، وكلا الحالين صعب عليك .

قال ــ رحمه الله ــ : أحسنت : نبهتني على أمر كنت غافلا عنه ، فما الرأى ؟

قلت : رأيك فوق رأيي ، ونظري يقصر دون نظرك ، فهل ترى أن تُغيِّر طريقها إلى الظاهرة ، ثم إلى الباطنة في طريقها إلى مسقط ، فتكون قد برئت ذمتك من الأمانة ، وبرىء دينك من مخالفة الإمام .

قال : هذا هو الرأى . فلتكن أنت وأخوك سالم ومن تحبان معكما من الأصحاب من يحملها . حتى توصلاها عند الشيخ علي بن سعيد في الدريز . فتم الأمر على ذلك ، ورجع هو في الصباح مع أصحابه إلى نزوى و بقينا نحن في بهلا ، حتى نحُضر

الركاب التي تحمل الأمانة ، و بعنا العيش للنفقة ، وصحبنا الشيخ **خميس بن سعيد الميعلي** كخفير ، وكنا ثلاثة عشر رجلا ، غير أهل القافلة ، حتى وصلنا **الدريز** ، و بعد أيام وصل رسُلٌ من الشيخ **سلطان بن سيف الحوسني** بأمر من السلطان ، بأن نسلم إليهم ما بأيدينا ، فسلمنا ذلك ، وصحبناهم عن طريق **وادي الحواسنة الى الخابورة . ثم ركبنا البحر إلى مسقط** والتقينا بوالدنا هنالك . أ . هـ .

• • •

والذي حفظته من كتب الإمام الخليلي حين عزم القيام على جعلان وإدخال العدل فيها ، بعد ما فسدت بالقتل والنهب وفساد العقائد وإزهاق الأرواح والأموال :

بسم الله الرحمن الرحيم

من إمام المسلمين **محمد بن عبدالله** إلى المشايخ العزاز ، **العلامة : عيسى بن صالح ، والجماعة الحرث ، والمساكرة ، والحجريين :** سلام عليكم ورحمة الله و بعد :

فإني عمدت إليكم الأولاد **منصور بن ناصر** وأصحابه ، وأقول : إن الله قد أوجب الجهاد على المسلمين بالحال والمال و يكفي قوله تعالى : « **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم** » ... **الآية** ، وغيرها من الآيات كثير ، و يلحق بذلك الجهاد بالمقال ، وهو الحض على ذلك ، والدعوة على دين الاسلام ، والاستقامة عليه ، واعلموا أن قول **ابن النظر** : نحن الإباضيون أسد غيطل : ينبغي أن يصدق في مقاله ، ولايكون دعوى فحت ، ومع ذلك فالعدة العظمى هي التقوى ، قال عمر : أعد لأعدائي التقوى ، وصدق عمر : « **إن الله مع الذين**

اتقوا ، والذين هم محسنون » ومن كان عنده الله لايُغلب : « وما النصر إلا من عند الله » « إن ينصركم الله فلا غالب لكم » والعدو لانستحقره من قلة ولانستعظمه ، انما النظر إلى نصرة الدين ، وإغاثة الملهوفين ، وتقويم الحائدين .

والله نسأله العون والتمكين ، وهوحسبنا ونعم الوكيل

خامس جمادي الثاني سنة ١٣٦٣ هـ .

وهذا كتاب منه آخر لبنى بوحسن يقول فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم : من إمام المسلمين **محمد بن عبدالله إلى المشايخ الجماعة بنى بوحسن** ، سلام الله عليكم ورحمة الله و بعد

فإنا نحمد الله على كل حال ، ولقد بلغنى الأمر الكائن معكم ، وأدري أن هذه عاقبة البغي ، ألا وإن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « انصر أخا ك ظالما أو مظلوما » .

يعنى : انصره إن بُغى عليه ، وردَّه عن بغيه إذا بغى ، فذلك نصر له ، ونحن قادمون إليكم على بركات الله إن شاء الله ، والله ينصر الدين . وأرى أن بغيكم قد تناها ، وكل أمر ينتهى يرجع ، ولايهمنا أمر البغاة ، ولانستعظم شأنهم ، فإن على الباغى تدور الدوائر ، هذا ونسأل الله أن نكون ممن ينصره ، والله ناصر من ينصره لامحالة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

خامس جمادي الثاني ١٣٦٣ هـ .

وقد توفي هذا الإمام الكريم في صباح اليوم التاسع والعشرين من شعبان المكرم عام ١٣٧٣ هجرية .

وأخبرني من حضر موته :

قال : اجتمع الناس عند دفن الإمام من نزوى وما حواليها ، فصارت أمة عظيمة ، ولما وضع للغسل في فلج الغنتق ، وكان النهار في شدة من الحر ، تكاد الشمس تذيب الحصى ، والمقبرة بعيدة عن البلد ، فصار الناس كل تفكيرهم في تلك الشمس التي سيقطعونها إلى المقبرة ، في تلك الهاجرة .

قال : فلما خرجت الجنازة إلى الشمس ، أظلت المشيعين غمامة حتى دفنوه ، ودفن بين قبري الإمامين : **ناصر بن مرشد وسيف بن سلطان اليَعْربيَّين** ، فتحدث حافروا القبر أنه كانت تطلع لهم رائحة كرائحة المسك حين الحفر ، وكأن سراجا على رؤوسهم ، وكان الحفر في الليلة التي يموت صبيحتها الإمام .

وسوف لاينكر ذلك إلا من في عينيه عشى .

وأخبرني الشيخ الرقيشي ، قال : أرسل الإمام **سالم بن راشد الشيخ محمد بن عبدالله الخليلي** ، ليتقدم بنصح إلى الشيخ : **محسن بن زهران ألسيابي ، فنصحه قائلا** : « إنك لا تطيق مخالفة الإمام ، وإلا عرضت نفسك وجماعتك للشقاء ، والأفضل أن تصحبني فتعتذر للإمام مما يَعُدُّه عليك » .

قال : إنه يقيدني .

قال : أنا أضمن لك أنه لايقيدك .

فلما وصلا عند الإمام أمر بالشيخ محسن أن يقيد .

فقال له الشيخ الخليلي : أنا أعطيته أمانا .

قال : لا أمان لك دون الإمام .

فغضب الشيخ وخرج ، وأمر بركابه .
فقيل للإمام : إن الشيخ الخليلي زعلان وسيسافر .
قال : لاعليكم منه لا ترضوه ، إنما دينه هو الذي يرضيه .
فخرج إلى قريب من سعال . ثم لام نفسه ورجع يقول : إن هذا الزعل من الشيطان ، يريد أن يفرق بيننا ، والإمام عنده حق ، فما معارضتي أنا للحق إلا إرضاء للشيطان .
فأخبر الإمام برجوعه .
فقال : ألم أقل لكم عنه .

• • •

وأخبرني الشيخ سالم بن حمود السيابي ، قال : عندما قامت إمامة الإمام سالم بن راشد ــ رحمه الله ــ وكانوا يومئذ في نزوى ، غلط الشيخ زاهر بن غصن الهنائي غلطة قذف فيها ، فوجب عليه الحد ، فقال الشيخ السالمي : « إنا لله وإنا إليه راجعون » . هذا اختبار لنا من الله : هل نقيم الحد على أنفسنا وعلى أنصار دولتنا الذين لايُستغنى عن أمثالهم ، أو نضيع حق الله ؟ مداهنة للكبراء ؟ ثم آثرنا ــ رضى الله عنا ــ على رضي أنفسنا .
وأخبرنا الشيخَ أن عليه الحد ، وإن شاء الله لايكون سببا لنفورك ولكن الشيخ زاهرا وهو الرجل الألمعي سيف الدولة الذي يقدر الظروف ، و يعرف المعروف ، والذي قلبه أوسع من الدهناء رضخ لأمر الشرع ، وانقاد طوعا لأن يقام عليه الحد .
فاستعمل المسلمون معه أرخص طريقة : فأتي بعرجون نخل فيه ثمانون شمراخا فضرب به ضربة واحدة .

ومثلها : ما أخبرني عنه الشيخ الرقيشي ، قال : جاء الإمام سالم عند المشايخ أولاد سعد الله النبهاني ، وعندهم خادم كبير السن ، كان لأبيهم ، رباهم فصاروا يجلونه ويحترمونه . ولما جاء الإمام تلقوه عند باب المسجد . وكان هذا الخادم هو الذي غطى على الجميع بترحيبه واستقباله للإمام .

وكان هنالك رجل يستضعفه من يراه ، جاء ليحاول الإمام ، فقال له هذا الخادم : تنفس عن طريق الإمام « ياخنيث » فسمعه الإمام ، فقرر عليه الحد بأن يجلد ثمانين جلدة . وأمر بالعصى لتحضر .

فاضطرب المشايخ أولاد سعد الله ، وقالوا : إنْ جُلد هذا الخادم ثمانين جلدة سوف يموت . فما الرأى ؟ ومَن للإمام أن يرده عن قصده ؟

فكانوا في تلك الحالة إذ جاء الشيخ عامر بن خميس المالكي . وكان الإمام يسمع له ، و يأتمر بأمره لوثوقه فيه . فتلقاه أولاد سعد الله وطلبوا منه بكل جهد أن لا يحد هذا الخادم . فدخل الشيخ عامر على الإمام ، وجيء بالعصي .

فقال الشيخ عامر للإمام : ما عندكم ؟

قال : نريد أن نقيم الحد على هذا القاذف ، لأنه قذف .

قال الشيخ عامر : ما الذى قاله ؟

قال الإمام : تريد أن أقول مثلما قال ؟

قال الشيخ عامر : قال الخادم : ياخنيث ، فما معناه أنه لوطى ، بل معناه : أنه مُتليِّن من قولهم : خنثتُ السقاء ، أى ليّنته ، فعلى هذا لا أرى أنه يستوجب الحد .

قال الإمام : أوترى ذلك ؟

قـــال : نعـم ، فسكـت الإمـام ، وسلـم الخـادم ، واستراحت قلوب أوليائه .

• • •

وممـا يلـتحق بهذا المعنى : ما أخبرني به الشيخ خالد بن مهنا البطاشي .

قـــال : كـان الشيخ **أحمد بن سلطان البطاشي** ، وهو من عسكر الإمامين : **سالم والخليلي** ، وكان ذا بأس ونجدة .

وكـان ذات يـوم في **مطـرح** ، فوجد رجلا يصارع امرأة وهي تستغيث بالمسلمين ، فضربه حتى انجاها منه ، فذهب الرجل المضروب إلى **الرصاصي ـ اسماعيل ـ** وكان واليا على **مطرح** من قبل السلطان **سعيد بن تيمور** ، واشتكى من **أحمد** ، فأرسل **الرصاصي** إليه ، وقال : ما حملك على أن تفعل ما فعلت ؟

قـال : النهي عن المنكر .

قـال : ومن أمرك أن تنهى عن المنكر ؟

قـــال : أمرنـي الله ورسـولـه ، **وهـذه يمينـي بايعت بها الإمـامين : سـالـم بـن راشـد ومحـمـد بـن عـبـدالله على أن لا أخـاف في الله لـومـة لائـم ، ولـو رأيـت المـنكر عندك هنا لغيرته ، ولا أبالي بك .**

قـال الرصاصي : وقد رأى البأس في وجهه : اتركوه . هذا مجنون . « **وما هو إلا أنه لايقوم الباطل في وجه الحق** » .

• • •

ومـن مـرويـات الشـيـخ سـالـم بن حمود ، **قال** : لما تولى **محـمد بن أحمد بن ناصر الغشام الحكم في مسقط وتوابعها** ، في أيـام **السـيد تيمور بن فيصل : تجبّر على الناس ، وأصابهم منه**

ذل شديد : وصار يضر بهم ضرب الحمير ، و يأخذ أموالهم ظلما وعدوانا ، ولا يستطيع تاجر أن يسافر إلا بإذنه ، وإذا أذن له كلفه بشراء أشياء ثمينة ، ولايعطيه قيمتها ، وهكذا كانت معاملته للناس ، وقد وجدوا في تركته بعد مامات : اثنا عشر جونية حطب عود ، ومائة وعشرون مندوسا مملوءة بالأشياء الفاخرة ، وأربعمائة طاقة خضرنج ، وأربعمائة إزار جدد ، من غير الملبوسات ، ونودى على التركة في ضمن أربعة شهور ، كل يوم منها حتى كملت .. وكثيرا ما آذى العمانيين الواردين للميرة من الداخل ، وجعل عليهم الضرائب و يستغل ركابهم قهرا ؛ لتقريب حاجاته ، وألزم كل من بال بعيره ، أو راث : أن يحمل صاحبه البول والروث ولو في ثوبه ، وإلا ضرب وغرم ، وفعل أفاعيل لم يفعلها الجبابرة من قبله ولا في زمانه ، وأوصى في حال موته أن يقرأ على قبره القرآن ، فكلما ذهب القارىء ليقرأ ، خرج له من القبر ثعبان كأنه يريد أن يلتهمه ، فيهرب القارىء . ولم يستطع أحد تنفيذ الوصية . وكان في القبر غور يُرى ذلك الثعبان يدخل ويخرج منه . وتسمع في القبر أصوات منكرة .

●●●

ومن مرويات الشيخ الرقيشي أيضا : يروى من أخبار السلطان سليمان بن سيف النبهاني ، قال : كان في الردة من نزوى : أخوان شريكان فيما يملكان

قال أحدهما للآخر : الدنيا دار حاجة ، ولابد من تمهيد للحياة فيها ، وأحب أن أتخذ يدا عند السلطان : فأقربه للغداء في بيتنا .

فاعترضه أخوه قائلا : لاحاجة لك في ذلك ، والسلطان من لايعرف السلطان ، والأسلم لك أن لا تفعل .

قال : مثلك لايعرف تدبير الحياة ، فدعني وما أريد .

قال : إذا كان لابد لك من ذلك فدعنى أرحل من هنا ، وافعل ما شئت ، لا تقل إنى بخلت عليك بالمال .

فذهب وكلم السلطان ، فأجابه ، ووعده في يوم معلوم للغداء .

فيقال : انه خرج بجيش أوله يدخل الردة ، وآخره يخرج من بيت سليط ، ولما أدخل إحدى رجليه من باب بيت المضيف ، صاح أحد جلاوزته صياح البقر ، فرجع السلطان مسرعا لايلوي على شيء ، والمضيف يركض وراءه ، يناديه : مالك مالك ؟ ما الذي أنكرته ؟ ، وهو لم يكلمه حتى وصل بيت سليط ، وهنا التفت إليه قائلا : تستهين بنا ، وتذبح لنا بقرا للغداء . فأقسم الأيمان المغلظة أنها أغنام ، ولم يخلطها بقر ، وأنت لم ترها حتى تعرف ما هي ؟

فقال : إن كنت صادقا فيما تقول : فأحضر الغداء هنا ، وأحضر ثلاثمائة قرش أيضا بدل مسيرنا ورجوعنا . فلم يسعه إلا أن يقول : أهلا وسهلا ؛ لأنه لو سأل لماذا ؟ لزاد عليه في المبلغ ، وربما يتحصل على سجن .

راح المسكين يستأجر من يحمل « صواني » الأكل إلى بيت سليط وهو أمامهم يحمل الدراهم ، سلّمها له وهو صاغر مع الاعتذار إليه ، ثم حمل مواعينه فارغة وقال : هذا ما توقعه أخى ، وقد كان أبصر منى بالأمور . أ هـ .

قلت : ومثل هذه القصة ما حدثني به بعض الأخوان : أنه كان في **«الجزيرة الخضراء»** رجل عنده أرض واسعة ترك فيها بقرا وأغناما كثيرة ، فجاءه رجل انجليزي من موظفي حكومة زنجبار .

فقال له : إن الدولة تحتاج إلى هذه الارض لحاجتها الضرورية . فكم تريد عنها من القيمة ؟ وكم تريد مهلة للخروج عنها ؟

قال الرجل : أو تذكرني الدولة . لي الشرف العظيم ، أنا أقدم لها هذه الارض هدية بلا مقابل .

فقال له الانجليزي : أترك عنك هذا الكلام ، الدولة لا تعرفك ، ولا تعرف إلا حاجتها ، ولا تقدر لك هديتك ، والأفضل لك أن تأخذ عنها مقابل مال .

قال : أبدا لي الشرف لذلك .

فلما أعياه ، قال له : إذن الدولة محتاجة إلى الأرض ، فأخرج أغنامك وبقرك منها .

قال : إن شاء الله ألتمس أرضا ، وبعد أسبوع أخرج هذه الأغنام ، وأسلم إليكم الأرض .

فمضى الأسبوع ولم يجد المسكين أرضا يستبدل بها عن أرضه ، فجاء عمال الحكومة ، ففتحوا باب الزريبة فتفرقت الأغنام والبقر في البلاد ، وصار يصيح : بقري ، أغنامي بقري ، والناس يضحكون عليه . وهذا ما استفاد الأحمق من الدولة . أ هـ .

نرجع إلى مرويات الشيخ الرقيشي ، قال : إن السلطان : تركي بن سعيد اعتقل كثيرا من أفاضل العمانيين ، قتل بعضا وسجن آخرين ، وذلك بعد قتل الإمام عزان بن قيس ـ رحمه الله ـ وكان من جملة من اعتقل الشيخ الفقيه : حمد بن سليمان اليحمدي ـ رحمه الله ـ قيده في مطرح ، وفرض عليه أن يخز بقيده كل صباح إلى ـ مسقط ـ فيصل مسقط ظهرا ، و يعود إلى مطرح مغربا ، هكذا كل يوم . ولم تكن يومئذ سيارات ، ولم يسمح له أن يركب ، فكاد أن يهلك ، فسعى في خلاصه الشيخ صالح بن علي ، وتآمر مع بعض الناس على تهريبه ، فهرب إلى الشرقية ، وسكن في بدية ، ولم يستقر له قرار في وطنه نخل .

وحدثني الشيخ : ناصربن سليمان اليحمدي ابن ابن هذا الشيخ :

قال : كان الشيخ سالم بن خلفان الحجري ـ وكلا الرجلين صالح ثقة ـ يخدم فلج الراكة من بدية ، وكل يوم وقت الظهر يأتي بمن معه من العمال إلى بلدة شاحك وعنده فيها بيت ، فيأكل هو والعمال التمر والقهوة ، وهكذا دواليك ، وفي ذات يوم وجد الناس يتداولون خبر مقتل الإمام عزان بن قيس وواحد من السفهاء يقول : إن صح هذيه خبر بهر فهمطاوعه من ثمي .

يعني : أنه سيتكلم على المطاوعة الذين يؤيدون الإمام بكلام خبيث كالغائط انتقاما منهم .

يقول الشيخ سالم : وخرجت لصلاة العصر ، فوجدت أصحابه محيطين به ، وقد خرج من فمه « جعس » عظيم

لايستطيع أن يلفظه أويتجرع به .

ولم يلبث أن خرجت روحه معه ، والفأل موكل بالمنطق ، ونعوذ بالله من سوابق الشقاء . أ هـ .

ومن مرو ياته أيضا ، قال : الشيخ الرقيشي في السنة التي حج فيها الشيخ محبوب بن الرحيل العماني ، وهو معدود من التابعين .

في تلك السنة : حج عمروس بن فتح المغربي ، فسمع عمروس أن محبوبا موجود في مكة .

فقال لأصحابه : نذهب إلى هذا العالم العماني ، لنسلم عليه ، ونسأله عن مسائل ، فأنتم احفظوا لى الأسئلة ، وأنا أحفظ لكم إن شاء الله الأجوبة .

ولما التقيا : أقبل عمروس على محبوب يسأله ، و بعد استمرار السؤال ، قال محبوب : « هذه الأسئلة من مكنونات العلم » ولا يسأل عنها كل أحد ، إلا أن يكون عمروس بن فتح ، فلعله أنت ؟ وكان لايعرفه ، إلا أنه يعرف أنه من أهل نحلته .

قال عمروس : نعم أنا ذا . فأقبل كل منهما على الآخر ، عمروس يسأل ، ومحبوب يجيب ، واستغرقا وقتا طو يلا ، ورجع المغاربة إلى منزلهم .

فقال عمروس لأصحابه : هلموا ، فقدموا لى الأسئلة التي سألت عنها ، أجيب عليها بجواب الشيخ لنتدارس ذلك .

فقال أصحابه : لم نحفظ عنكما إلا قولك « احفظوا لي الأسئلة ، أحفظ لكم الأجوبة » ثم لاندري بم تكلمتم ؟ وكان

عمروس هذا واحدا من ثلاثمائة ولدوا في طريق الحج بين المغرب والحجاز .

وسمعت الشيخ حمد بن سليمان الخليلي ، يقول : إن العلم الذي أصابه الولد أحمد هو بركة دعاء الإمام سالم ــ رحمه الله ــ وذلك أن الإمام كان في حصن بهلا ، فأوتي « ببسرة » .

فقال : نادوا لى طفلا أعطه هذه البسرة .

فنادوا طفلا ، فلم يرضَ بالذهاب معهم ، فمر سليمان أبي ، وهو صغير ، فقيل له ؛ يدعوك الإمام ، فذهب إليه ، وسأله الإمام : من أنت ؟

قال : سليمان بن ناصر الخليلي .

قال : أين تذهب ؟

قال : أتعلم .

فناوله البسرة وقال : « بارك الله لكم في العلم » .

قال الشيخ حمد : فتخطتني وأبي الدعوة إلى الولد أحمد فكانت فيها البركة ــ نفعنا الله به .

قال : ابتليت عمان في أول القرن الثالث عشر ، بأهل نجد فكان رجل منهم يغزوها ، يقال له : مُطلّق : وولده : سعد : فيفرض على أهل البلدان الضرائب ، يبدأ بها من الظاهرة ، حتى ينتهي في جعلان . فلا يرفع إليه أحد رأسه إلا الإذعان والانقياد ، ويأخذ منهم ما أراد سنويا ـ فسبحان الله من هذا الذل ، والعياذ بالله منه ـ إلا ما كان من عيسى بن صالح الحارثي ، جد الشيخ عيسى الأخير . ففي مرة من مرات ، مطلق ، وذهابه إلى الشرقية .

قال : أناخ . مطلق . بجنوده في الواصل من بدية فاستأذن عليه عيسى بن صالح ، وكان عيسى رجلا عملاقا ـ سبق أن بينا نبذة من حياته ـ فقال لمطلق : أيها الأمير : أين تريد ؟

قال : أريد جعلان .

قال : وما تطلب من أهالى جعلان .

قال : جزية ، مقدارها ثلا ثمائة قرش .

قال : إن أنا أعطيتك الثلا ثمائة ، هل أنت راجع ؟

قال : نعـــم .

قال : لا تبرح حتى أحضر لك المبلغ ، وأعطاه عهدا على ذلك . فخرج عيسى لاحضار الدراهم ، فلما خرج ، دخل على مطلق زبانيته ، فصدوه عن عهده وقالوا : إن المهم من مسيرك توطيد البلاد . أكثر من الدراهم ، فعزم

على نكث العهد . فسار الرسول إلى عيسى وأخبره . فرجع في الحال ، ودخل على مطلق بدون استئذان ، فوجده أعزل ، فحمل عليه بالسيف وقال : خُنت العهدَ أيها الأمير : رد عليه قائلا ، وقد أحس بالموت : أنت الأمير ياعيسى ، أرجو العفو ، وسأرجع ، وقد تُحذرت من المبلغ المطلوب . فكان ذلك نصرا لأهل الشرقية في تلك السنة .

لكنه رجع في السنة الثانية : متنمرا محاربا ، فقاتله أهل : الواصل قتالا مريرا ، حتى مكنهم الله من قتله فقتلوه .

ويقال : أنه كان يضرب في الرمل ، فيعرف الوقت الذي ينتصر فيه ، فيقدم . أوينهزم فيه فلا يتعرض له .

وكذلك : عند أهل الواصل : كان من يضرب في الرمل فصادف ساعة فيها ريح النصر لهم عليه .

فقال لهم : الآن اهجموا عليه .

ومن الصدف : أنهم لما وصلوا إلى خيمته سمعوه يقول : « ساعتهم العفون » يعني : أن هذه الساعة لهم . كما اتفق الحساب ، والعفون : لفظة شتم من العفونة . فهجموا عليه ، وذبحوه ، وجعلوا له قبرا عند : شكل أولاد عرفه : مَنْ مر عليه يزيده ترابا حتى وقتنا هذا .

قال والدي : وكان الحجريون أهل بساطة . فاتفق أن واحدا منهم التقى في مطرح صدفة بسعد بن مطلق .

فقال له الحجري : متى تزور قبر الشايب ؟

قال سعد : يوم الزينة .

فيقال : إنه في ليلة العيد من السنة الثانية : غزا سعد الواصل راح من : غاف جماح : عند ، جبرين ، وصبّح الواصل طلوع الشمس من الجانب الشرقي ، وكان الحجريون على غرة ، فقاتلوه قتالا شديدا . وكان من خبثه أن اختار هذا اليوم الذي فيه الناس مشغولون بالعيد .

ومن خبثه ومعرفته بالحرب استدبر الشمس عند طلوعها واستقبلها الحجريون . فكانت عونا له عليهم . وبعد قتال مرير انهزم أهل بدية ، فعاث الفساد في البلد ، ولكنه بعد تلك السنة أخزاهم الله ، فلم يعد منهم أحد .

ويحكى أن رجلا مغيريًا ضربه النجدي برمح فغاص في الرمح حتى ضرب قرنه بخنجر فماتا جميعا .

فكان أهل الواصل يكبون له فنجانا تكريما له . وكانت تلك عادة معهم للشجاع إحياء لذكره .

وأخبرني الشيخ علي بن سعيد الغافري في الدريز من الظاهرة قال : يأتي عمال مطلق ، وعمال ولده سعد لجباية زكاة الحبوب . فيقف العامل على ربوة من الأرض ، فينظر في الزرع فيقول : على أهل هذا البلد كذا .. وكذا ، فلا يستطيعون مخالفته ، ويوجه الإنذارات إلى من أحس منه الامتناع . ومن جملة كتبه المنذرة ، كتابه لأهل : عملا وضم من بنى هناءة : « من سعد ، وأنا سعد : إلى أهل/دن وعملا وضم : اجبلوا ، وإلا زدتكم فوج الهم غم » .

وتارة يوجه الغزاة من أهل عمان كما يظهر من كتابه أيضا إلى شيخ بنى عمر ، حسبما روى الشيخ علي بن

سعيد : « من سعد وأنا سعد إلى شهيل بو بطن : شل زادك وزنادك ، والحق سنان بالخصيان وإلا يديك مغلولة عجفا » يعني على قفى . وسنان هذا شيخ بني علي ، وأخبرني عن كتب كثيرة من هذا النوع . آسف على ضياعها من ذاكرتي . أ هـ .

وأخبرني والدي قال : كان السيد فيصل بن حمود بن عزان ــ رحمه الله ــ تزوج امرأة صالحة من الواصل من بدية ، فشاء الله أن تموت في وطنه ، ويموت هو في وطنها ، وفي بعض تردداته ما بين الرستاق والواصل : بات ذات ليلة في الكثيب غربي الخوض ، وكانت ليلة مقمرة ، فسمع في جوف الليل أنينا في مقبرة قديمة كانت هنالك . فقام لينظر صاحب الأنين ، فوجد عقربا عظيمة تلسع جمجمة إنسان بالية فكلما لسعتها أنّت تلك الجمجمة ، وإذا وقف عنها هدأت . وهكذا دواليك ، قال : فشعرت بخوف هزني ، فأمرت أصحابي بالرحيل تلك الساعة .

قلت : هذا مما يؤكد عذاب القبر .

وحدث عنه أيضا قال : وقعت في الشرقية أمطار غزيزة ، مكثت أياما تهدمت منها البيوت ، وأضير الناس منها ضررا كبيرا . فاتفق أن السيد : فيصل بن حمود هذا في القابل ، وكان لاينام طوال الليل ، وكان في يده مسحاة وقفير لايتركهما ، كلما سمع في بيت ضوضاء دخل ليساعدهم على مهمتهم . فكان هذا شأنه .

وحدثني عنه أيضا قال : كنا ذاهبين إلى بدية ، ولما وصلنا الواصل وكان السيد فيصل بها ، صاح الصائح ونحن لم تزل خيولنا في أيدينا ، فركبناها بالحال نؤم مكان الصايح كغيرنا من الناس . وإذا بالسيد فيصل قد رجع من عند الصايح يقول «العوافي» . ليس هناك ما يستدعى الذهاب .

قال : فعجبنا منه كيف تمكن من الذهاب قبلنا ؟ وكان على غير استعداد ، ونحن على استعداد أكثر منه . ولكنها الشهامة والحزم .

ولا أدري : هل الأمطار التي ذكرها الوالد ، وقام فيها السيد فيصل هي التي وقعت في زمن الشيخ صالح التي دامت شهر رجب كله ، فاضطر الناس الى أن يخرجوا من البيوت ، ويسكنون تحت «الدعون» التي قال فيها الشيخ صالح ذات ليلة لابنه عيسى وقد رأى نجما في السماء : يا :أبي ذلك نجم ، قال الشيخ : بشرك الله بالجنة ياعيسى حين بشرتنى برؤية النجم . أم هذه الأمطار غيرها في وقت آخر .

وسمعت والدي يقول : كان أناس مسافرين أناخوا تحت شجرة بجنب مقبرة ، وواحد منهم اسمه سعيد ، كلما ناداه أصحابه ظهرت لهم من تلك المقبرة عقرب ، فإذا سكتوا انجحرت في جحرها ، وصاروا كالمستهزئين بها وبصاحبهم ، فغضب سعيد وقام إليها وقال : تضحك علينا عقرب ؟ وتناول عودا من الأرض ليضربها به . ولسوء

حظه هزأ بها فدغزها بذلك العود ، ولم يضربها ، فإذا بالعود رميم من الداخل ، ويظنه صلبا ، فانكسر ، ووقعت يده على العقرب فمات من حينه .

وتقرب من هذه القصة : ماسمعته يروى أنه : كانت امرأة متطبية تداوى الناس وتوصف بالحسن . فجاء ثلاثة شبان قالوا : كيف لنا أن ننظر إلى هذه المرأة ، فنتمتع بحسنها ، ولايدخل عليها إلا مريض ؟

فقال واحد منهم : أنا أجرح نفسي ، فاحملوني إليها ، فأخذ عودا من الارض وخدش به ساقه ، فأدخلوه عليها يشتكون الجراح .

فقالت : هذا الجراح من عود قاءت فيه أفعى ، وصاحبكم سيموت ولا ينفعه الدواء . وبالفعل فقد مات ، ولم ينتفعوا بما أرادوا . والأمر لله .

وسمعت والدي يقول : رواية عن أحمد بن محمد بن خميس :

ولد الحضري قال : كنا حجاجا ، وذات يوم ونحن في مكة جالسين في زولية ، ونحن خمسة نفر ، فوقف علينا رجل وقال : ياحجاج : احذروا اللصوص ، فإن في هذا البلد لصوصا عباقرة .

قلنا له : مايسرق علينا اللصوص إذا جاء؟

قال : يستطيع أن يسرق هذه الزولية التي تحتكم .

قلنا : إذن موتنا خير من حياتنا إذا سرق زولية من تحتنا ، ونحن قاعدون عليها .

قـــال : هـكـذا سيصنع ، وقـبـض بـيـديـه على طرفي الزولية ، ونفضهم منها وهرب بها .

قـــال : فـنحـن حتـى نـقـوم مـن تلك العاصفة التي عـصفت بنا لم نر الرجل وذهب بالزولية ، وأقبل بعضنا على بعض نتلاوم ، وكان ذلك أيام بالرشيد .

وحـدثـني والدي قال : كان رجل قائما تحت سدرة في شـرجـة الابـراهـيمية في سمائل . فكان كل يوم عند غروب الـشمس يرى جرادة تأتي فتدخل في تلك السدرة ولاتخرج . فـبـقـى أيـامـا كـذلـك والجرادة لا تنقطع . فطلع الرجل إلى الـسـدرة لـيـرى حـالـة ذلـك الجراد الذي يدخل ولايخرج . فـوجـد عـصـفـورا أعـمـى وحـواليه من ريش ذلك الجراد ما يغطيه .

قـال : فـأخـذت ذلـك الـعـصـفـور وذبـحـتـه وأكـلـتـه ، وانـتـظرت تلك الجرادة لتأتي على عادتها فلم تأت ، فعلمت أن الله يسوقها رزقا لذلك العصفور ، وانقطعت بموته .

وحـدثـنـا الـوالـد أيضا عن نفسه حين حج في سنة ست وأربعين ثـلاثـمـائـة وألـف هـجـرية . قال : وكانت وسائل الـنـقـل صعبة جدا وكانت مكة ــ شرفها الله ــ لا تدخلها الـسـيـارة إلا بإذن ، وأهـل الـحـمير والـركـاب يتحكمون على الـحـجـاج ، و يـعـذبونهم . وفي تلك السنة ، وقد احتل الملك عـبـدالعزيز الحجاز ، وجاء إلى مكة وقد بلغنا وصوله ، ذهبنا لنسلم عليه ، فوجدناه قاعدا في مكان مرتفع عن أصحابه ،

وهو يحدثهم ، وصوته يسمع من بعيد .

قال : فسلمت ، فأخذني وأجلسني بجنبه ، وقال : نتم حديثنا مع الجماعة . ثم التفت إلي بعد الفراغ من حديثه ، وقال : أنت عماني ؟

قلت : نعــــم .

قال : كيف حال الإمام الخليلي ، والشيخ عيسى الحارثي ؟

قلت : بخير والحمد لله ، لو عرفا أنى ألقاك لسلما عليك .

قال : أنت فسلم عليهما .

ثم قال : ما حاجتك ؟

قلت : سمعنا عنك ، فجئنا لنسلم عليك ، وليس لنا حاجة ، وشكرناه على رعايته لنا ، واستأذنا بالخروج . فلما كنا خارج الباب استوقفنا رسوله ، وقال : يقول الملك : لعلك استحييت أن تسأل حاجة ؟ و يقول لك : لابد لك من أن تسأل حاجة .

فقلت : كل شيء والحمد لله متوفر معنا ، ولاداعى إلى السؤال . وهو مدخر للحاجة الكبيرة

قال : فما ترك لى بدا ، فقلت : إن الحرم لا تدخله سيارة فنحن حاجتنا الإذن لسيارة تأخذنا ومتاعنا من الحرم إلى مكان القافلة

قال : هل غيرها ؟

قلت : إبلاغ شكرى لجلالة الملك . وبالفعل وصلتنا السيارة ، فتحملنا عليها من رباط العمانيين إلى خارج مكة حيث القوافل . فأخرجنا لسائقها النول لنعطيه .

قال : تريدون قتلى ؟

فما رضى أن يأخذ منا شيئا . وكانت العملة المتداولة يومئذ (جنيهات ذهبية) .

فسافرنا في القافلة إلى جده ، ثم ركبنا البحر إلى عدن . فبقينا في عدن شهرا كاملا لم نجد حاملة تحملنا ، وكنا نريد زنجبار ، والاتصال يومئذ قليل ، حتى قلق علينا أخى عبدالله ، وبعد شهر كامل : جاءنا المبشِّر أن هذا اليوم يصل حاكم زنجبار إلى عدن ، فلعلكم تواجهونه ، فيرتب لكم سفركم .

قال : وإذا بالحاكم الذي يعنونه هو الشيخ : سليمان بن ناصر اللمكي في طريقه الى أوروبا . وكان من الأغنياء المشهورين بالكرم المبرزين ، وله حكاية مع قنصل بريطانيا في زنجبار نذكرها إن شاء الله فيما أقبل .

يقول الوالد ــ رحمه الله ــ فتلقيناه وأخبرناه عن مشكلتنا . فقال : هذه الباخرة ستعود الى زنجبار ، فتعبرون بها إن شاء الله ، واقترضنا منه دراهم ، لأنه فرغ ماعندنا .

قال : وتسلط عليّ رجل في عدن ، يطلب منى أن أصحبه فيطوف بى الآفاق حتى نكتسب أنا وإياه غنى ؛ بحجة أنى أنا من أولاد فاطمة الزهراء ، وأن الشيعة في العالم سيزنونني بالذهب إذا رأوني .

يقول لي : ثم نقتسم أنا وإياك ما نكتسبه ، فنكون أغنياء .

قلت : لكني لست من أولاد فاطمة ! ولايجوز الكذب على الناس والخداع .

قال : لكني متأكد أنك منهم ، لكنك حاسد ، فلما لم أوافقه على الإقرار بأني منهم . قال : لابأس اصحبني والكذب هو يتحمله ، أما أنت فلا تتكلم إن كنت تخاف الكذب ، وأنا أكفيك كل شيء ، حتى أردك حيث تحب ، وهذه فرصة لا تفوت .

قلت : أعوذ بالله من شرك . فآذ انا أذية اضطرنا فيها أن ننتقل من ذلك المكان إلى مكان لايعرفنا .

قال : ولما كنا في الباخرة ، طلع علينا رجل أسود ضخم ، فجلس في فراشنا من غير التفات إلينا وعلّق فوقنا سمكة يقطر دمها فوقنا وفوق فراشنا . ولما كلمناه : هجم علينا ليضربنا ، فخفناه وسكتنا . واستعملنا طريقة الرفق والمعروف معه بدل الشدة والنزاع عملا بقولهم : « مادخل الرفق بشيء إلا زانه ، ولا دخل الخرق بشيء إلا شانه » .

وكنا قد بقي معنا حلوى من مسقط ، فأعطيناه منه . وبعد الجدال الطويل أخذه ، وكان ممتنعا عن أخذ أى شيء منا ، بل وحتى عن كلامنا : متوحش متحفز للبطش بنا إن نحن أكثرنا عليه . فلما لطف الله بنا ، قبل منا تلك الحلوى .

قال : لما أكلها : حلاوة ؟ فبش في وجوهنا : فأول مابرنا به ، قام إلى تلك السمكة فأنزلها ، وأهدانا إياها

للغداء ، وصار يأكل معنا : خادما مطيعا ينافح عنا ويخدمنا . وإذا أراد أحد أن يقترب منا بغير إذن هجم عليه فيهرب . والمهم أنه صار بعد ذلك ــ تسخيرا من الله ــ كالكلب الحارس ، حتى وصلنا زنجبار . فأردت أن أنزله معنا ، فأكرمه ، ولكنه لما رأى هيئة الناس الذين تلقونا اختفى ولم نجد له أثرا . وتلقانا العرب في ميناء زنجبار بهيئة يحسدون عليها .

ولما كنا في مكة ــ شرفها الله ــ وكان صاحبي في الرحلة : مبروك بن سعيد رجل فاضل ، فمللنا اللحم ، وطلبنا سمكا ، فذهب مبروك إلى بائع السمك .

فقال له البائع : اذهب ياعبد ، لست أنت من أكلى السمك عليك باللحم ، فمارضي أن يبايعه ، وذهب مرة ليشترى ماء ، فوجد رجلا يبيع ماء من المستنقعات المتخلفة من الأمطار ، وقيمته ضعف قيمة الماء المصفي من البحر .

قال مبروك لبائع الماء : هذا الماء الذي عندك غير نظيف ، ومع هذا فهو أغلى من ذلك الماء الصافي النظيف . فغضب المكي على مبروك غضبا شديدا ، وقال : تُشبّه مو ية ربك ، بمو ية كافر ! تب يا عبد : وهم به ليضربه ، فهرب مبروك من بين يديه .

وأخبرني الشيخ الحاج عبدالله بن سعيد الوهيبي ، قال : كنت في جدة ، فجئت إلى سوق الخياطين ، فأردت أن يخيطوا لي ثوبا ، فامتنعوا كلهم . فسألت عن السبب ؟ فقال

لي واحد : لأنك عماني ، وهم يخافون العمانيين .

قال : ما السبب ؟

قال : لأنه ثبت في نفوسهم أن العمانيين سحرة ، بسبب قضية وقعت هنا في جدة يتداولون خبرها . فسألته عن القضية ، قال : أترى تلك الأرض الفارغة ؟

قلت : نعـــم ..

قال : في ذات سنة نزل بها عمانيون ، وعلى رأسهم رجل يقال له : جاعد بن خميس ، وكان اللصوص يومئذ يسرقون الكحل من العيون ، لايسلم أحد منهم ، فرأوا هؤلاء الحجاج ، فهموا بهم ، ولكن وجدوا منهم حزما ، ولما أصبح الصباح ، قال جاعد لأصحابه : اربطوا متاعكم واتركوه مكانه ، ونذهب نحن إلى البلد فنستريح في شيء من المساجد ، ونلتمس من يحملنا إلى مكة : وهذه الشمس قوية لانستطيع أن نقعد عليها ، ولانستطيع أن نحمل أسبابنا على ظهورنا .

قال أصحابه : إذن يخلف الله علينا في متاعنا . مانصنع باللصوص ؟

قال : أنا الكفيل على أن لايمسوها . فتركوا متاعهم ، ودخلوا البلد .

وقد هم اللصوص أن يهجموا عليهم ، لكن لما رأوهم تركوا أمتعتهم وذهبوا ، رأوها لقمة سائغة ، وفرصة سانحة . فجاؤا إلى الأمتعة ، وحمل كل واحد منهم حزمة على رأسه : فمن رفع يديه إلى رأسه بالحزمة ، لم يستطع أن ينزلهما ، ولم

يستطع أن يزايل مكانه . فوقفوا هكذا : كأنهم العمد من أول الصباح إلى العصر ، وقد أخذت الشمس منهم مأخذها : يستغيثون فلا يغاثون ، وبعد العصر رجع العمانيون إلى متاعهم ، فرأوهم على تلك الحالة ، وما أن رأوهم مقبلين إلا واستغاثوا بهم تائبين ومستجيرين . فقال الشيخ جاعد ــ رحمه الله ــ : على شرط أن تعطوني موثقا ، وعهدا : أن لا تؤذوا الحجاج : عمانيين أو غيرهم فأعطوه العهد على ذلك .

وهنالك استطاعوا أن ينزلوا الأمتعة من رؤوسهم ويذهبوا بعد ما رأوا الذل والنكال . فأصبحت تلك الأرض ينظر إليها بعين الهيبة ، فلايستطيع أحد أن يدخلها حتى زمان قريب ، وحمى البلاد ابن السعود ، وطهرها من اللصوص ، فأمنت ، وأمن الحجاج ــ جزاه الله خيرا ..

وبمناسبة ذلك ماسمعت عمي يذكره : أنه لما حج . وعزموا الخروج إلى المدينة المنورة بعد الحج ، وكان في القافلة ألف جمل ، اعترضهم اللصوص قرب رابغ ، فطلبوا منهم مبلغا كبيرا ، ليسمحوا لهم بالمرور . أويردوا من حيث أتوا . فلم يكن عندهم المبلغ ، فرجعوا . وهكذا كانت الحالة لايكاد أن يسلم أحد .

ومن النكت : أنه كان في الرحلة الحاج عامر بن حمد الحجري فلما رجعوا إلى مكة ، قال له واحد من أهل مكة : زرتم رابغ ؟ كالمستهزىء به .

فقال : زرنا مدينة الرسول يابغمه (١) . أ هـ .

والشيخ عامر بن حمد هذا : حج مالا يقل عن أربعين حجة ، كما حدثنا عن نفسه ، وهو رضى تقى ، كانت له كرامة عند موته ، وهو أنه سافر إلى زنجبار في السفن الشراعية ، وفي البحر مرض ، وأدركه الموت ، فاختار الله له ما عنده .

فلما مات : غسّله أصحابه ، وكفنوه ، وثقلوه بحديد ، وألقوه في البحر (كما هى العادة) وساروا . وبعد ثمانية أيام من موته وصلوا زنجبار ، فوجدوا الرجل وصل قبلهم : تقاذفته الأمواج وحملته إلى ساحل زنجبار ، وقذفه البحر في مكان يسمى ساعتين ، فعرف . واجتمع أفاضل زنجبار فصلوا عليه ، ودفنوه في مقابر المسلمين ، وحجب الله عنه كل شيء في البحر ، ووصل ولم يتغير منه شيء . كأنما مات تلك الساعة ... ــ رحمه الله وغفر له ــ .

ومثلها ما حكى لي الحاج عبدالله بن سعيد الوهيبي . قال : كانت امرأة عجوز في قريات تمشى على عصى من الهرم ، وكانت لا تدخل بيتا أومكانا إلا وتصلى فيه قبل ركعتين ، ولايفتر لسانها من الذكر ، وكان العامة من الناس يسمونها الساحرة ، ويتحاشون قربها . ففقدت قدر عشرين يوما ، وصاروا يفتشون عنها ، ثم ظفروا بها بعد العشرين بالخور الذي يفيض من البحر ميتة بسبب الغرق فيه .

---

(١) البغمة = الغبى في عرفهم .

فحملت ، ولم يتغير منها شيء ، كأنها ماتت ذلك اليوم ، وليس فيها أي عفونة . « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » .

وحكى لي الشيخ يحيى بن سالم الشامسي : أن قوما حفروا في مكان أظنه قال : في ولاية بدبد ، فوجدوا قبرا فيه امرأة كأنما دفنت أمس ، وما كان هنالك آثار لمقبرة أو شيء يدل عليه .

فردوا عليها التراب ، والتمسوا أحدا من أهل السن فوجدوا رجلا ناف على التسعين فسألوه فقال : حفظت وأنا صغير أن هذه المرأة كان عندها بقرة تقسم سمنها ثلاثة أقسام : قسم تتصدق به ، وقسم لحاجات البقرة ، والثالث تنتفع به .

ولما ماتت : كان في تلك الأيام مخافه ، فدفنت خفية في ذلك المكان .

وعليه : فقد مضى عليها ما لايقل من ثمانين سنة ، وهي لم تتغير. فسبحان الكريم الرحيم لعباده .

قلت : وهذا سر الصدقة .

●●●

وقال عمي : كنا ذهبنا في هذه الرحلة(١) إلى الحج ،على باخرة من باكستان إلى جدة . ولما كنا في عرض البحر : احترقت الباخرة ، وكانت مشحونة ، قطنا فلما علم الناس بالحريق اندهشوا : وتركوا كل شيء ، حتى الأكل خوفا

---

(١) الرحلة التي يشير اليها هي التي سبق ذكرها انهم ردهم اللصوص من رابغ ولم يتمكنوا من وصول المدينة .

على أنفسهم . وكان في صحبتنا أخي ناصر بن سليمان : فقام يطبخ الأكل والناس يبكون .

فقلنا له : لم تطبخ أكلا والناس على هذه الحالة ، وأنت تنفرد بذلك ؟

قال : نحن لاندافع القدر ، ونغبن الموت على أنفسنا ، فاذا جاءنا الموت ونحن على شبع ، خير من أن يأتينا ونحن على جوع . تفويضا منه لأمر الله .

وجاء ليطبخ وقت العشاء مرة أخرى ، فاعترضناه ومنعناه من ذلك ، ولما أصبح الصباح . نرى السفن تلاحقنا من كل جانب .

فقلت : هذه : الواحية : (ما هي بواحية السديرة) معناه : واحية السديرة على الركاب ، وبعد طول وقت أدركتنا واحدة منهن ، لكنها وقفت بعيدا عنا ، لما تخافه من اشتعال النار ، وأرسلت قوارب لتنقلنا إليها ، فأنزلنا ، ووقف لنا العسكر على الباب : ألا يشتغل أحد منا يحمل شيء من الامتعة ، تلافيا لسلامة الأرواح . فنزل ركاب السفينة كلهم ، وما كادوا أن يتكاملوا بالنزول ، حتى صارت تلك السفينة جمرة واحدة ، ثم همدت .

وما كان أخرها إلى هذا الوقت إلا نفوس البشر ـ فسبحان من بيده كل شيء .

قال : وكان في صحبتنا محمد بن سعيد المسروري ربط دراهمه في وسطه ، وقال : أموت وأحيا بها ، لأنها حياتنا .

قال : فنفعتنا تلك الدراهم جميعا ؛ لأنا لم نملك من الدنيا إلا الثياب التي على ظهورنا . أ هـ .

وقد وعدنا أن نذكر الشيخ اللمكي : بدت لهذا الشيخ حاجة في القنصل البريطاني في زنجبار ، فذهب إليه ، فرأى منه سوء رد ، فخرج من عنده وسافر إلى لندن ، وسأل عن أم القنصل ، فدل عليها : ترعى الخنازير في مكان كذا ... فتبعها ، فوجدها في حالة سيئة : عليها ثياب رثة متمزقة ، وهي ناحلة من الجوع والتعب ، فأعطاها جنيهات وقال لها : إن هذه من ولدك ، أرسلها إليك معي . فأعطني وثيقة تشهد لي معه أني سلمتك الرسالة ، فأعطته ورجع الى زنجبار ، وراح إلى القنصل ، فأعطاه كتاب أمه كالمعير له : أنكم في بلادكم ميتون من الجوع وفي المستعمرات تتعاطون الكبرياء . لكنه لم يصرح له بذلك .

فيقال : إن ذلك القنصل لم يبت تلك الليلة في زنجبار ، حياء مما صار . أ هـ .

ومما يناسب الذكر : هو أنه لما احتلت زنجبار من قبل حكام . تنزانيا بمشايعة دول الكفر ، وأصاب أهاليها ما أصابهم من الذل والتشريد والسجن والقتل إلى آخر ما اطلع عليه كل أحد . وكان ذلك في الرابع والعشرين من شعبان عام أربعة وثمانين وثلاثمائة وألف هجرية .

بقيت الاذاعات تهول الوضع إلى أقصى حد : تذكر أشياء تفعل بالعمانيين هنالك . مما تقشعر له الأبدان ، وخفيت الحقيقة . وكان والدي ــ رحمه الله ــ من كثرة مايحب أخاه ، ويشفق عليه : كاد يجن من القلق الذي أصابه ، لأجل الواقع . فكانت رحمتنا له أكثر من رحمتنا للغائب .

وفي ليلة ثلاثة عشر رمضان : رأيت أنا رؤيا : « كان الوالد عبدالله بن سليمان ومعه رجل هندي من أغنياء زنجبار ، وثالث لا أعرفه كأنهم واقفون يتحدثون وعليهم بشوت سود خلعوها .

وقال الوالد عبدالله : هذا اليوم أول يوم نخلع فيه بشوتنا .

وقال بالمثل العماني : لا تأخذ بالغريب تاده ، كل غريب منتهاه بلاده .

وانتبهت : وبعد فراغنا من قراءة القرآن ــ طلوع الشمس ــ تقدمت إلى والدي ، فقلت : بشارة : هذا ما رأيته ، فاطمئن على صحة أخيك ، وأنه سيقدم إلى بلاده . فكانت الرؤيا والحمد لله كفلق الصبح .

وفي سبعة عشر رمضان : وصل كتاب منه يخبر فيه عن الواقع ، وأنهم بخير ، لكنهم ممنوعون عن الخروج من زنجبار . وبعد ذلك بعام واحد : أذن لهم فخرجوا . فوصل إلى عمان . وتم تعبير الرؤيا .

● ● ●

وكان الوالد عبدالله بن سليمان ، قبل وقوع هذا الحادث بثلاثين سنة تقريبا ، نظر في كفه رجل أسود .

قال له : تدل خطوط كفك على أنك تعيش تسعين سنة ، وأنك تلاقي حوادث هائلة ، وأنك تموت في بلادك .

قال : ها أنا ذا أناهز التسعين ، والحوادث لقيتها ، والله أعلم أين أموت . فمات في أبوظبي ـ جزء من عمان ـ وعمره: تسع وثمانون سنة .أ هـ .

وأخبرني والدي قال : أصاب رجلا صرع ، فدُعي له الشيخ : سعيد بن خلفان الخليلي ؛ ليقرأ عليه .

فقال الجنى للشيخ : لا تقرأ .

قال : ولم ؟

قال : لأني لا أتأثر بالقراءة ، فلن أخرج ، فإن قرأت سؤوذيك، ولا أحب أن أؤذي مثلك .

قال الشيخ : هذا دجل منك لا أقبله .

قال الجنى : أريك آية ، فإن كفتك ، وإلا فلا لوم على بعدها إن أصابك منى سوء .

قال : فعطس الشيخ في مجلسه ذلك قدر خمسين عطسة لاينفك بعضها عن بعض أذهبت قواه ، وكادت أن تنفصل يداه من مناكبها .

قال له : هل يكفيك ذلك عن التعرض لى ؟ فخرج الشيخ عنه ، ورأى أنه سيعرض نفسه للخطر.

ومثل هذه القصة ما رواه والدي ، قال : كان رجل يسمى خاتم ، يسكن القابل ، وكان يقرأ على المصروعين ، فيخرج الجنى ، وصارت له شهرة .

فدعى به يوما في بلدة الواصل ؛ ليقرأ على مصروع ، فلما قرب منه ؛ وهم بالقراءة قال الجنى : يا خاتم ، لا تقرأ ، فأنت لست ممن يخرج على يدك أمثالى .

فغضب خاتم ، وقال : لابد من أن تخرج .

قال الجنى للحاضرين : انصحوه وإلا سوف يموت قبل المصروع . فأصر خاتم ، فابتدأ يقرأ ، لكنه ما كاد يقرأ حتى خر ميتا ، ثم رجع إلى صاحبه فقتله ، فأخرج من ذلك البيت جنازتان في آن واحد .

ومثله ما روى : أنه صُرع رجل في مكة المكرمة ، وكان الشيخ قطب الأئمة الجزائري حاضرا .. فوقف على رأس المصروع وقرأ « آلله أذن لكم أم على الله تفترون » .

فصاح الجنى : أخرج . أخرج . فخرج .

فلما ذهب الشيخ القطب عنه ، رجع الجنى إلى صاحبه ، فصرعه مرة أخرى فقال أحد الحاضرين : أنا سمعت الشيخ يقرأ هذه الآية ، فقرأها على امصروع ، فضحك الجنى وقال : نعم . الآية حق ، ولكن قارءها ليس هو الأول ، فما رضى أن يخرج .

وفي السنة التي حج فيها قطب الأئمة ، دخل عليه في مجلسه وهو في المسجد الحرام حميد بن سعيد العيسرى ـ رجل

فاضل من أهل إبرا .

قال : فوجدته قاعدا بين أربعة حوائط من الكتب .

قال : فلما رآني مقبلا ، وكانت علي ثياب رثة ، أومأ إليّ أن قف مكانك ، فوقفت ، ورمى إلى بقارورة حل عود .

وقال تطيب ، ثم أقبلْ .

قال فتطيبت ، وسلمت عليه ، وجلست عنده ، وهو مرة يكتب ومرة يراجع ، وبجنبه مرود ذهب ، ومكحلة فيها أثمد ، وبعد كل نصف ساعة يكتحل من ذلك الأثمد . وكان حميد فيه بعض الإغفال .

فقال للشيخ : متى تقرأ هذه الكتب كلها .

قال : « حين أرقد » .

● ● ●

وكان حميد هذا يسميه شيخنا نور الدين «التاجر الصدوق» وكان رفيقه في سفره إلى الحج في السنة التي حج فيها . ولما كانا بمكة المكرمة ، والشيخ نور الدين يتصل بعلماء الحرم ، ويناظرهم في الأمور الدينية ، يقول لحميد : إذا سمعت الحوار بيننا لا تتدخل في الكلام ، لاينتقدوك .

وكان ذات يوم مع علامة منهم يسمى «الزبير»، تطرق الحديث إلى ذكر المذهب الأباضي ، وأظهر الشيخ السالمي نور المذهب وصحته ، والأصل الذي يعتمّد عليه .

فقال الشيخ الزبير : « عندكم حق »..

قال له الشيخ السالمي : « حاشاك أبا عبدالله تترك الحق» .

فضحك حميد ، فالتفت إليه الزبير قائلا : هنيئا لك الجنة .

ولما خرج الزبير، قال الشيخ لزميله : هل عرفت ما يقصد لك بالدعوة ؟

قال يدعو لي .

قال له : ألم أقل لك لا تتدخل في شيء عنى ، انك « بله » ؛ لأن أكثر اهل الجنة البله .

وفي بعض لقاءاتهما قال الشيخ الزبير للشيخ نور الدين : تفضلوا بالغداء معنا غدا .

قال الشيخ : نعم .

قال الزبير: أنت وقائدك فقط .

ولما قمنا للأكل قال لهما : « كلا ولا تتكلفا » .

وفي جلسة أخرى ، دعا الشيخ نور الدين الشيخ الزبير للغداء وقال له : تفضل أنت وكل من يحضرك . ولما قعدوا للأكل قال الشيخ : « كلوا حتى تتضلعوا » .

• • •

ومن محفوظات أخينا ناصر بن محمد اللمكي قال : إنه حفظ هذا الكتاب من شيخنا نور الدين لهذا الشيخ صديقه الزبير، هذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

لحضرة الشيخ الفاضل الكامل الأريب ، الزبير بن علي الأصفر العظيم ، أبقاه الله راشدا مرشدا هاديا مهديا .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نحن بخير، وفي خير..
صدرت لك هذا الكتاب من الوطن ..
من بلد القابل عمان ..

وأسأل الله أن يصلك وأنت في حال السلامة، ومنذ افترقنا وإياك من مكة المكرمة لم أجد منك كتابا ولازلت أستنشق الأخبار من جهتك، ولم أجد الصحيح من خبرك، وقد خفى على أثرك، وغاب عني خبرك وسالفا وعدتك أن اكتب مقالة أشياخنا في عقيدتهم بنص عبارتهم، فكان اختفاء أثرك، وانقطاع خبرك مانعا لي من كتابته.

ثم إن الله تعالى قد منّ عليّ بكشف ماهم عليه من الحق الصريح في أرجوزة سميتها : كشف الحقيقة لمن جهل الطريقة يعني طريقة الأصحاب ؛ فإن غالب أهل المذاهب قد جهلوا ما نحن عليه

وتشوقت نفسي لاطلاعك عليها، وقد ضممت إليها بعض أبيات من جوهر النظام، وقد وقفت أنت على أولها فتمت بعد ذلك بحمد الله. فأسلكم بالله أن تمعنوا النظر. وتنظروه نظر منصف، وعليكم عهد الله أن تقبلوا إن كان حقا، وتظهروا باطله إن كان باطلا، وهو العهد الذي أخذه الله على أنبيائه ورسله أن تبينوا ولا تكتموا. واذكركم لصل الصحابة وتنبئهم في ذلك لما روى في الخبر عن النبي صلي الله عليه وسلم.[1]. أهـ

(١) مع الاسف يبدوان الكتاب منقطع وكانه غير مستوفي وهذا ما اطلعت عليه.

ومثله : مسعود بن علي الطوقي : وهو أحد تلامذة الشيخ نور الدين وقد أعطي في ذات يوم قرشين ، فقبضهما في يده مدة طويلة لايعرف أين يتركهما . ثم جاء الى شيخه ، فقال له : لم أجد هذين القرشين مكانا أتركهما فيه ، إلى أن أحتاج إليهما .

فتعجب الشيخ منه وقال : إلى هذا الحد يا مسعود ؟

« يسلم عليك هلال بن عامر ، أخفى باخرة بشحنتها، وامتلكها ولم يطلع عليه أحد » .

قلت : وهذا من باب قول [عم]ر بن الخطاب ــ رحمه الله ــ يقال عنه : أنه اذا استضعف رجلا قال : «سبحان من خلقك وخلق عمرا » .

• • •

وهلال بن عامر هذا هو من الجماعة الحرث . كان وزيرا للسلطان حمد بن ثويني . سلطان زنجبار. ولما مرض السلطان صار لايدخل عليه إلا هو ، ورأى أنه مريض ــ مرضا لايسلم منه . فصار يهرب الأشياء الثمينة من القصر حتى شحن باخرة استأجرها ــ أو هي للسلطان أيضا لا أدري ــ فلما اطمأنت نفسه بماأودع فيها من أموال جزيلة أرسلها إلى عمان ، ولم يشعر بذلك أحد أبدا .

ومات السلطان والبيت خال من كل ما يرغب فيه .

وسافر هو إلى عمان ، وتأثل منها أموالا طائلة معتقدا أن ما في يد السلطان بيت مال حلال أخذه . أ هـ .

ومسعود الذي سبق ذكره ــ حسبما ذكرنا ــ أنه رجل صافي القلب فمن جملة ما يحكى عنه أنه اجتمع بالشيخ سليمان بن سنان العلوي في بلدة سرور ، وكان من قبل صديقا له ، فلما وجده بعد مدة طويلة لم يعرفه .

فقال له سليمان : ألا تعرفني ؟

قال : لا أعرفك .

قال : أنا سليمان بن سنان .

قال : أنت سليمان : كيف لا أعرفك وأنت صديقي ؟! أعرف جيدا ، لكن ما كنت أحسب أني ألقاك في هذا البلد . وكان يحفظ القرآن العظيم ، فسأله ذات يوم الشيخ عيسى بن صالح : ألازلت يا مسعود تحفظ القرآن ؟ فغضب . وقال : ما الذي بلغك عني ؟ فلما كان العام الثاني قال للشيخ : أصابتني عقوبة منك ..

قال : كيف ذلك .؟

قال : لما سألتني عام أول عن بقاء حفظ القرآن وغضبت عليك ، عاقبني الله بسبب ذاك الغضب ، فنسيت كثيرا من القرآن ، ولم أستطع استرداده .أ هـ .

• • •

وكان من فحول العلماء في دولتي الإمامين : سالم بن راشد ومحمد بن عبدالله . هو الشيخ : عامربن خميس المالكي ، كان أبوه يسكن وادي بني خالد ، فاضطر للانتقال منها ، للعسف والجور الواقعين بها .

فجاء عند الشيخ صالح بن علي الحارثي يقول : إني أحب السكنى بجوارك . فخيره أي بلدان الحرث يختار ؟ فاختار بلدة عز ، وكان بها محل شديد ، وكان الشيخ عامر آنذاك لم يبلغ الحلم ، فطلب العلم ، وتردد إلى مجلس الشيخ سعيد بن علي الصقري ؛ ليتعلم ، وأبوه يمنعه من التعلم ويقول : نحن فقراء نطلب العيش ، وهذا العلم لايكسبنا شيئا ، فاشتغل لكي تأكل ، وأنا لاأريد عليك أكثر من قفير سماد كل يوم ، فإذا جئت بما عليك ، سر حيث شئت .

فكان من قوة رغبته يذهب إلى خارج البلد في الثلث الأخير من الليل فيلتقط ملء قفيره سمادا ، وما تطلع الشمس إلا وهو قد أنهى ما عليه ، ويظل طيلة نهاره ملازما للشيخ الصقري . وكان لايهتم بأكل ولابنوم حتى نال ماتمناه من تحصيل العلم ، فصار من فحول العلماء الشجعان ، وعمر بيت مال المسلمين في نزوى كله ، وجعله من خير الأموال الموجودة ، وحسده بعض جلساء الإمام سالم ؛ فوشوا به أنه يختلس دراهم بيت المال فيضعها في صناديق التمر يحملها إلى بلده .

فأراد الإمام أن يبرىء ساحته ، فأرسل خلفه من فتش متاعه فما وجدوا شيئا ، فبرأ الإمام ساحته . لكن الشيخ زعل ، فما عاد إلى نزوى طيلة بقاء الإمام سالم ونظم قصيدة يعتب فيها لا أحفظ منها إلا هذا البيت .

نزواكم لكم والله حسبكم

والله يحفظنا من كل من مكرا

وفي خلافة الإمام الخليلي طلبه ، فرجع وصار رداء وكهفا للإمام وللمسلمين .

وقد تقدم ما قلنا عن الشيخ السالمي ، وما قاله عند موته .

« لا أخاف عليكم من جهل وفيكم عامر بن خميس

ولا من وهن وفيكم سالم بن راشد »

وكان كثير المزاح . ومن مزاحه ــ رحمه الله ــ كان يغتسل في الفلج ، ولم تكن له حركة ، فجاء رجل أعمى ليغتسل فما شعر به الشيخ إلا وهو نازل عنده .

فقال بكل هدوء : بلا صداق بلا صداق .

فخجل ذلك الأعمى وهرب .

• • •

ومن مزاحه : القضية التي ذكرناها عنه في **الوطيه** حين انكسر المسلمون منها عند هجومهم عليها بقيادة الإمام **سالم بن راشد** .

ومن مزاحه : يخاطب فلج عز .

يقول له : غر غيري ، و يضرب على زنده .

معناه : أن أثر الزجر باق على زنده حين يزجر في المحل وأمثال ذلك كثير .

وكان الشيخ عيسى يغضب عليه أحيانا حين يسمعه يمزح .

وأخذ زوجة من **نزوى** صغيرة . وكانت تخرج في حاجتها وحجولها بادية مثل باقي أترابها .

فكان يقول لها : لاتخرجي هكذا فيأكلك الذئب .

وذات يوم لقيها السيد **سعود بن حمد** ، وكان لا تأخذه في الله لومة لائم فضربها ، فرجعت تبكي .

فقال لها الشيخ : ما بك ؟

قالت : ضربني رجل في الطريق .

فعرف هو الضارب : السيد **سعود** .

فقال لها : ألم أقل لك : يأكلك الذئب ، لا تعودي تخرجي حجولك حين تخرجين .

ورمت مرة بنفسها من فوق البيت هاربة عنه ، فسقطت في غفة فناداها بكل هدوء : لا تفعلي هكذا تنكسرين ، نحن في حاجة اليك .

وهذه الروايات كلها سمعتها من والدى رضى الله عنه .

●●●

وقال الوالد ــ رحمه الله ــ كانت البركة في الزمان الأول بحيث تكاد الأشياء بلا ثمن .

ومن جملة ذلك على سبيل المثال : ان والدي **سليمان بن حميد** ضاقت ذات يده ، فأراد السفر إلى زنجبار ــ وكانت كهفا للعمانيين المحتاجين ــ فلما سمع به أهل بلده اجتمعوا عليه قائلين : إن سفرك نقص علينا . ونود أن لا تسافر .

قال : من أين أطعم أولادي ؟ لو أجد في السنة ثلاثمائة قرش لكانت تكفيني .

فانظر أنه كان يكفيه في اليوم أقل من قرش واحد ، مع أن عدد من يعول أربعون نفسا ، والخيل ، والحمير ، والضيوف لا تمر يوم أو يومان إلا و يذبح للضيوف . فما هذه الثلاثمائة ؟ وكيف بركتها ؟

• • •

ـ وأخبرني الوالد عن أبيه سليمان بن حميد ـ رحمهما الله ـ قال : جاءنا العيد ، وليس عندى ثوب إلا الذي على جسدي .

فقلت لأ بي : ليس عندى ثوب للعيد .

قال لى : اذهب ليلة العيد فأغسل ثوبك من الفلج بهذه « الضجه » .

قال : فذهب فوجدت أترابي يغسلون ثيابهم بالطين وغسلت أنا بالضجه (١) ولم يكونوا يعرفون يومئذ الصابون ، ولا يوجد معهم أكثر من ثوب واحد يلبسونه يابسا و ينشفونه مبتلا .

ومن ذلك : أنه ضرب رجل برصاصة ، وكانت العادة مع العمانيين إذا أصابت أحداً رصاصة يُجعل على الضربة قرش ، و يكوى حواليه بالنار ، فثم يداوي الجرح .

فلما ضرب هذا الرجل التمسوا من البلد قرشا لهذا الغرض ، فلم يجدوا . ثم عرفوا أن واحدا من الجماعة جاء من زنجبار ، ولعل عنده شيئا من القروش .

---

(١) قال في القاموس : الضجاج كسحاب الفسر والعاج وخرزة . و بالكسر المشاغبة والمشارة كالمضاجة وصمغ يوكل وشجرة يسم بها الطير أو السباع .

فأرسلوا إليه فقال : ما بقى عندى الا قرشان خذوا واحدا .

ودفع الثاني صداقا لامرأة أنجبت له ثمانية أولاد .

قال : وكان **سعيد بن جميع المسروري** وإخوته أيتاما فقراء. وكان **سعيد** أكبرهم ، استأجر حراسة في برج **المضيرب** كل شهر بقرش واحد ، يعيشون عليه طول الشهر ، وقد خلف لهم أبوهم نخيلات يستغلون منها بعض التمر .

وكان كلما احتاجوا حمل **سعيد** جرابا إلى سوق الواصل ، فيبيع الجراب بسبعين بيسة أو بستين ، فيأخذ بها زادا له ولإخوته يأكلونه حتى يفرغ ، فيحمل جرابا آخر . وهكذا .

وذات يوم باع الجراب بقرش واحد ، فمن شدة فرحه بالقرش لم يشتر ذلك اليوم شيئا ، بل رجع و بات هو وإخوته تلك الليلة بلا عشاء ، يتداولون القرش من يد واحد ليد واحد :

هات أخي أنظر .. هات أخي أنظر .

ثم بعد ذلك مَنّ الله على « **سعيد** » بالغنى ، وصار أغنى أهل القطر الحارثي ، حتى أن ولده أوقف مالا بمائه : يقدر بمائة ألف قرش أوقف نصفه للفقراء عامة ، والربع لفقراء جماعته خاصة ، والربع الأخير للمتعلمين .

والسبب في هذا الغنى : أنه يناسب بالتعصيب رجلا في زنجبار ذا غنى كثير ، وليس له وارث سواه ، فسافر وخاصمه قوم هناك بأن الميراث لهم ، وكان القاضي يومئذ في زنجبار الشيخ **أبو مسلم ــ ناصر بن سالم البهلاني ــ** وكل من المتخاصمين أتى بشهود ، فجاء خصماء **(سعيد)** ذات ليلة إلى الشيخ في منزله ، وكان لايعرفهم فأعطوه مبلغا من المال ، وقالوا له : تفضل هذه صدقة فقبلها الشيخ ، وكان فقيرا ، ولايعرف أنها لغرض .

ولما صار الحكم في المحكمة بعدئذ ، جاء خصماء **سعيد** بشهود ألبسوهم البشوت ، والثياب الفاخرة ، فشهدوا لهم شهادة غير منضبطه بأنهم يناسبون الميت .

فقال الشيخ : أنا حكمت بأن هذا المال **لسعيد بن جميع المسروري** بشهادة **سليمان بن حميد الحارثي وراشد بن سليم الغيثي .**

ثقتين عدلين عندي : القيا بالنسب بين الميت والوارث إلقاء صحيحا .

ولو نزل ملائكة من السماء يعارضون هذه الشهادة ماقبلتهم .

فحاز سعيد الأموال ، وساقها إلى عمان ، وتأثل أموالا جزيلة ، ولم يخلف إلا ولدا واحدا ــ هو الذي ذكرنا أنه أوقف الوقف .

روى هذه الحكاية الشيخ هاشل بن راشد المسكري .

قلت : لا أظن نزع هذه البركة من الأرض إلا من جراء البنوك المتجرة في الربا ، والتي انهمك الناس فيها

بلا حساب ، تصديقا لقوله تعالى : « يمحق الله الربوا و يربي الصدقات » . (البقرة ٢٧٦)(١) .

وقد ابتلينا في هذا الزمان ، ولا أظن أن أحدا يسلم من الربى ، من لم يتعمد أكله أصابه غباره ، فإنا لله وإنا إليه راجعوان ، فأين المفر إلا إلى عفو الله وحسن كرمه ؟

ومن جملة ما روى والدي ما رواه عن الشيخ سعيد بن محمد بن سليمان الغافري ، قال : كان الشيخ سعيد يصلي ذات يوم خلف إمام ، فقرأ سورة «والعصر» .

فقال سعيد من خلفه : « شد رقعتك » ، ما سمعنا أحدا يقرأ في الصلاة « والعصر» . اقرأ «قل يأيها الكافرون» وإلا سأترك الصلاة خلفك .

وجاءه يوما كتاب من الشيخ : ناصر بن حميد صاحب جبرين .

فقال للقارىء : اقرأه . «وكان هو أعمى » .

فقرأ له الكتاب .

فقال له : رد الجواب . فكتبه، ثم قال له : اقرأه عليّ .

فقرأ الكاتب : « من الفقير الحقير سعيد بن محمد المياحي إلى الشيخ العزيز الكريم ناصر بن حميد الغافري فغضب الشيخ غضبا شديدا ، وأخذ الكتاب من يده فمزّقه .

وقال له : اخسأ يا نذل،« أنا الفقير الحقير وهو الشيخ العزيز الكريم » لايكون ذلك »

---

(١) كتبت على الرسم العثماني .

اكتب : من الشيطان الرجيم إلى إبليس الملعون اللعين : يكتب ن أنا المياحي ، و يكتب لنفسه الغافري .

اكتبه : العطابي ؛ لأنه عطب عن الصف ، وهو يعتقد أنا امتحنا عن الصف ، فيكتبني المياحي .

قلت : وكان هذا من قسمة الشيطان في قبائل أهل عمان **فناصر بن حميد** وأصحابه **غافرية** . **وسعيد بن محمد** وجماعته **هناوية** . أ هـ .

ومثله قال والدي : جاء جماعة مغتربون إلى إبرا إخوة و بنو عم فسكن بعضهم في العلاية ، و بعضهم في السفالة ، فصاروا أعدى لبعضهم بعض من السكان الأصليين .

حتى أنه مات واحد ممن سكنوا السفالة ، وقد أوصى لأقربيه بدراهم ، وأقربوه ممن سكنوا العلاية . فقام الوصي وحشى بتلك الدراهم مدفعا في البرج القطبي ، وصاح على أقربيهم في العلاية خذوا وصية الأقربين ، وأطلق عليهم المدفع .

فانظروا يا عباد الله كيف يصنع الباطل بأهله . أ هـ .

وكان سعيد بن محمد الذي مر ذكره عند **خلف بن سنان العلوي** في بلدة ينقل ، فعطس عاطس في المجلس فقال : الحمد لله .

فقال له واحد من الحاضرين : يرحمك الله .

فقال **خلف بن سنان** : من هذا الذي ترك من مجلسنا مدرسه ؟ .. يرفق عليه سكني ينقل .

فقال **سعيد** : صدق ، وإن كان من أهل الدريز يرفق عليه سكنى الدريز .

قال والدي : كنا نتذاكر هذه الأخبار في حضرة ابنه الشيخ : **علي بن سعيد** .

فقال **علي** : الذي يذكر عن والده لايساوى عشر مايذكر عن جده **محمد بن سليمان** :

قال : من أخباره أنه غضب على أهل الغبى فلج في جوارهم في الظاهرة ، هو بيت مال من خيرة أفلاج الظاهرة .

والسبب في غضبه : ان من استطنى شيئا من النخيل لايدفع القيمة ، بل يترك رهنا شيئا لايسوى ، فصار نهبة في أيدى أهله ، فلما رأى ذلك أمر بكبسه ، فصبح جماعة يكبسونه ، فاستغاث سكانه من ذلك ، ولم يجرؤ أحد على مكالمته فيه .

وكان **البلوش** حلفاء **محمد بن سليمان** ، وهم قبيله معتدلة في **الظاهرة** ، تربّع (١) عن **الغافري والهناوي** .

فطلبوا منهم أن يكلموه ، فجاؤا إلى العاملين في الكبس وفي مقدمتهم ابنه **سعيد** ، فطلبوا منهم الكف حتى يصلوا عند الشيخ .

قال **سعيد** : لانستطيع أن نكف ، ولكن نكبس قليلا قليلا فإن وافقكم رفعنا العمل ، وان لم يوافق لم نتعرض لسخطه .

---

(١) تخفـــر .

فساروا إلى الشيخ ، فما أن رآهم ، قال لهم : « إن كنتم جئتم من قبل الغبى فقد حجرت عليكم الكلام » .

فلم ينبسوا بكلمة ، ورجعوا ، واستمر الكبس وانقطع الفلج وماتت النخيل والأشجار ، وبقي حشريا منذ ذلك الزمان إلى يومنا هذا ــ سنة أربع مائة وأربعة وألف وهم الإمام الخليلي بحفره ، لكنه خاف الفتنة فسكت عنه . وهمّ الإمام غالب كذلك في أيامه ، فصارحه بنو غافر بقولهم : إنْ كنت تطلب منا الخلاف فاحفر هذا الفلج .

فسكت عنه كذلك ، والله أعلم بما سيحدث بعد .

قال : وزار الشيخ **محمد بن سليمان الغافري** الشيخ **هلال بن زاهر الهنائي** في الغافات وكانت الحرب يومئذ قائمة بين بنى هناءة وبني شكيل ، وهم جيران ، فقال **محمد لهلال :** كيف تحرب هؤلاء الغافرية ؟

قال : نغير ، فنقتل ، و يغيرون فيقتلون .

قال : والله لا تعرف أن تحرب القبائل .

قال : وكان **هلال** ممن لاينبه بالحصى ، فتلقاها بكل إقبال فأرشده بأن يبنى قلعة فوق فلج بني شكيل إذا غضب عليهم كسر الفلج في الوادي ، أو في الارض التي تحت القلعة ، فتموت نخيلهم ، و بهذا تذل خصمك .

فما توانى **هلال** ، بل أصبح يبنى ، قصف من جانب بنى شكيل جدارا من التمر ، حتى إذا ضربوهم لم يصلهم الضرب ، فأصبحت بعد أيام القلعة قائمة : آذت بنى شكيل ، وأضرت بهم ، ولكنهم لم يجلوا عن بلادهم .

واشتكوا إلى الشيخ : **صالح بن علي الحارثي .**

فجاء الشيخ ونزل بين بنى هناءة و بنى شكيل ، ولم ينزل مع أحد منهم .

وأرسل إلى الشيخ **هلال** ، فجاء عنده ، ونصحه بهدم القلعة ؛ لأن الشرع ينكرها .

فطلب منه أن يشاور أولاده وجماعته ، واستمهله إلى غد ، وفي الليل جمعهم وقال : هذا مايريده الشيخ **الحارثي** ، وأنا أعتبره أبا ، ولا أقدر على مخالفته ، ولكن الرأى : إذا حضرنا عنده في الغد ، وراجع في الطلب ، أوافقه أنا على ما يطلب .

فإذا سمعتم منى الموافقة : قوموا عليّ بلسان واحد فسفهوني واشتموني بل واضربوني .

وقولوا : القلعة ليست ملكا لك ، وإنما أنت واحد من الجماعة لانقبل فيها كلاما ، ولا نسمع فيها قولا .

فلما سمع الشيخ **صالح** ذلك قال لأصحابه : نرحل ، هذا كله من تحت رأسه ، لايجرؤ هؤلاء على هذا الكلام ، إلا بأمر منه ، فارتحل غاضبا عليه .

ومر الأئمة ــ رضوان الله عليهم ــ وأنكروها على **هلال** لكن لم يهدموها ، لما يحاذرونه من الفتنة ، حتى هدمت في هذا الزمان ، في دولة السلطان قابوس « ولكل أجل كتاب » .

قال : ولما حضرت **محمد بن سليمان** الوفاة وكان في الاحتضار جاء ولده **سعيد** فجلس على رأسه .

وقال : يا أبت : تب إلى الله .. ثلاث مرات ، وهو لايكلمه

وفي الرابعة فتح عينيه وقال : « هيه تصلح بنو غافر متى كنت الخليفة عليهم .

انصرف عني ، تريد أن أتوب ! عن ماذا أتوب ؟ سمعت أنه يتوب المخانيث ، وأنا لست منهم » .

فقام **سعيد** كالمنكسر ، فما كاد أن يخرج حتى فارق الشيخ الحياة ، ولاحول ولاقوة إلا بالله .

وخلف بن سنان العلوي : كان من مقاديم الرجال المشهورين بالصلابة والقوة .

وهو الذي سن في ذو يه القتل ، يقتل بعضهم بعضا ، فكل من استولى على الحصن في بلدهم **(ينقل)** قام إليه أخوه أو ابن عمه فقتله ، وقام مقامه حتى يأتي الآخر فيقتله .

وهكذا مضت فيهم هذه البدعة السيئة ، حتى هذا الزمان الأخير الذي بردت فيه الهمة ، وجنح فيه الناس إلى الراحة ، لعدة عوامل منها : سيطرة الحكومة وضبطها للبلاد .

ومنها : اشتغال الناس بكسب الأموال ، إذ صار السبيل إلى كسبها من طريق الحلال موجودا .

ومنها : اشتغال مواليهم الذين كانوا يورون الفتنة ، ويحركون الكوامن ، فاستراح الناس واطمأنوا ، وماتت الرياسة إلا مع من لم يكفه عقله ، **فكان خلف هذا يضرب به المثل في القوة والحزم .**

ومن جملة أخباره : وقد زاره الشيخ **عيسى بن صالح الحارثي** في بلده ، وكان من عادتهم في الظاهرة إذا جاء الضيف : أن يجتمع أهل الخيل والإبل فيركضون .

والعادة معروفة ، فركض خلف ناقته فسقط وانكسرت يده ، ولم يبد منه شيئا .

فجاء إلى الشيخ ليصافحه ، فما استطاعت يده أن تنهض ، فضربها باليد الأخرى بقوة حتى استطاعت المصافحة .

وما كان الشيخ يعرف أن مضيفه منكسر ، فبقى مدة على جنبه لايتأوه ، ولايقطع الحديث مع الشيخ .

وبعد ذلك أخبر بالواقع ، فعاتبه على سكوته ، وعدم مبادرته لتجبير يده ، فقال : لايهمك ، فإني لاأحس منها ألما ؛ إظهارا للتجلد .

فقال له الشيخ : لا أسمح لك إلا أن تبادر فتجبر يدك ، ولم يلق بدا .

وكان الشيخ عبدالله بن غابش النوفلي :

فاضلا عالما زاهدا : يسكن القابل الشرقية في جوار الشيخ **عيسى بن صالح** ، وكان شديدا في ذات الله .

لما عزم الإمام **سالم بن راشد** على القيام على مسكد اعترض الشيخ **عيسى** ناصحا : أنه لاطاقة لكم بذلك ، فرفقا بدولتكم فخاض الناس في ذلك وأكثروا .

وكان من شدة الشيخ **النوفلي** أن قال : إن **عيسى** مسترش وإلا فما كان له أن يعترض .

فبلغ الشيخ **عيسى** ذلك ، فما كان في نفسه شيء ، ومازاد على أن قال : « أنا لست مسترشيا ، ولا ينبغى لى ذلك . لا أعترضكم لكم علي هذه الروح ، وأنا أهبها لكم » فسيروا على بركة الله ، فساروا :

فكانت وقعة الوطية ، وتعرف باسم : هندوه : لأنه كان أكثر جنودها الهنود ، من قبل الدولة البريطانية ، أوقفوا البارجة البحرية في البحر ، مقابل الوطية ، فأمطرتهم من نيرانها بحيث لايستطيعون الرد عليها ، فقتل منهم خلق كثير ، منهم عمي : محمد بن سليمان : تسابق هو ومن معه على برج هناك . وكان الجنود الذين في البرج حفروا تحته حفرة عميقة وعموها بشيء خفيف ، مكيدة للمسلمين فسقط كثير من أصحاب الإمام فيها ، ومنهم العم المذكور .

فحمل على الأكتاف إلى بلدة سرور ، وقضى الله شأنه فيها .

وكان يقول لخاله الشيخ عيسى : فاتتنى الشهادة في المعركة وكنت رجوتها هنالك .

قال له الشيخ : إنك إن شاء الله من أهلها .

وكان الشيخ عيسى آخر من انهزم ، حيث لم يبق أحد من الجيش .

وكان الشيخ عامر بن خميس المالكي ممن حضر في هذه الوقعة .

وكان رجلا مزاحا .

وكان رأيه رأى الشيخ عيسى في عدم القيام .

فلما انهزموا قال : « كانت امرأة لها بنت اسمها فطوم ، فماتت البنت ، فآذت الأم الجيران من نوحها لا تهدأ .

فقام أحد جيرانها ، فأخرجها من القبر ، وألقاها بين يديها وقال : هذه فطوم ، اريحينا ، فاستجارت به من رؤية ذلك المنظر الموحش ، وتلك الرائحة المنتنة .

فقال : لا أحملها إلا بعهد : أننا لانسمع منك نواحا .. فأعطته العهد .

يضرب بها مثلا لإلحاح المسلمين على القيام على مسكد ، وانهزامهم بعد ذلك .

وجاء النوافل يزورون الشيخ عيسى ، فبينما هم جلوس إذ جاء الشيخ **عبدالله بن غابش** .

فقال النوافل للشيخ عيسى : « نحن عرابة عبدالله » بمعنى مواليه .

فقال الشيخ : « عبدالله سيدى .. وسيدكم » اعترافا بالفضل لأهله ، وتواضعا من الشيخ ـ رحمه الله ـ وتبيينا لهؤلاء الناس : أن الفضل للعلم والتقوى ، ولا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أهل الفضل .

ولما وقعت الاضطرابات في الشرقية : آخر الخمسينيات وأول الستينات وتدخل الشيخ **علي بن عبدالله آل حموده في « وادي بني خالد » وغيرها .**

قام عليه الشيخ عيسى بن صالح ، وصار التنافس الكبير ، والكلام الكثير وكادت أن تقع الفتن ، وتسفك الدماء ، حتى أن الوالي الذي أرسله الشيخ من قبل الإمام هرب من وادي خالد .

لما وصل رسل الشيخ آل حمودة ، ورأى التحزب الكبير من قبل أهل البلد ، وتوقع أن يكون سفك دماء .

وكان في صحبته رجل من أقربائه فاعترضه عن الخروج ، ولكنه لم يقبل . فكان ذات يوم يقرأ هذا الوالي سورة التحريم فقبض هذا المعترض على يده ، قال : لم تقرأ ولم تمتثل ؟

أما سمعت الله يقول : « يأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير » .(١)

فلم أنت لم تجاهد البغاه ؟ وخرجت عنهم خذلانا للدين ؟

ولكن الشيخ الوالي لم ير من سيكون عنده في تلك البلاد إن هو قاوم الوافدين ، ورأى المصلحة في حقن الدماء ، « ولكل رأيه ».

ولما كثر من نوع هذا الاضطراب ، تدخل السلطان **سعيد بن تيمور** في القضية ، فدعا بكل من الشيخ **عيسى** ، **والشيخ علي بن عبدالله** ؛ ليحسم بينهما النزاع .

يقول والدي : وكنت في صحبة الشيخ **عيسى** ، فأرسل السلطان سيارات تنقلنا من السيب إلى مسقط وكانت السيارات يومئذ قليلة ، والطريق نكده .

فأنزلنا السلطان خير نزل ، وقابل الشيخ بالإكرام والاحترام ، وبعد استراحته طلبه في قصره ، فإذا بالشيخ علي قد سبق عنده ، وأراد أن يجمع بينهما .

فأجلس الشيخ عن يمينه ، والشيخ **العلوى علي بن عبدالله آل حموده** عن يساره ، وصار يلتفت كل مرة على واحد للتحية .

ولما جاءت القهوة : جيء بخوانين : أكل هو من أحدهما وأحال الثاني للشيخ .

وبعد ما أكل هو ، أحال الخوان الذي أكل منه إلى الشيخ علي ، وهكذا صنع بالقهوة .

---

(١) سورة التحريم ٩ .

ثم دخل مجلسه الخاص ، ودعا بالشيخين ليدخلا عنده . فقاما على الباب كل منهما يقدم الآخر في الدخول ، لكن أبي الشيخ علي إلا أن يقدم الشيخ عيسى أمامه ، معترفا له بالفضل والعلم .

فجلسا أمام السلطان ، فتكلم بينهما بكلام يليق في حقهما ، وأبدى نصحا في تلك القضية .

ومنع الشيخ علي بن عبدالله عن التدخل في الكامل فيما بعد .

وقال : ان هذه البلدان ترجع إلى رياسة الشيخ عيسى ، فلم يسع الشيخ عليا إلا الامتثال .

و بعد تمام الكلام قال الشيخ الحارثي للشيخ العلوى « بدارا أن يسبقه » : تفضل بزيارتنا .

فقال الشيخ العلوى : نحن سبقناك في مسقط ، فتعتبر كضيف عندنا ، فأنت زرنا قبل أن نزورك .

فأصر الشيخ على دعوته ، وأيده السلطان .

وقال : يزور الشيخ علي الشيخ عيسى ثم يزور الشيخ عيسى الشيخ عليا في اليوم الثاني ثم في اليوم الثالث أزور أنا الشيخ عيسى وفي اليوم الرابع أزور الشيخ عليا .

وانحسم القول ، كما قيل في المثل « قطعت جهيزة كل كلام » .

يقول والدي : وبعد لم يصدر من الشيخ علي أى تحرش في هذه المناطق حتى موت الشيخ عيسى . أ هـ .

● ● ●

وقيل للإمام : رحمه الله ــ هذا الشيخ عيسى ذهب الى مسقط وهذا فتح باب منه للخيانة .

قال الإمام : إن مسير الشيخ عيسى لمسقط نصر للمسلمين ، وتقوية لدولتنا ، ومثله لايخشى منه أي ضرر ، ولم يذهب إلا عن رأينا ومشورتنا » .

يقول الشيخ الرقيشي : لما دخلت على السلطان في سنة ستة وسبعين ورأيت منه إقبالا كبيرا علي : كنت أنتهز الفرصة لأقول عنده كلمة حق .

وذات يوم قال لي : بم توصني ؟

قال : فوجدت الفرصة ، فقلت « بتقوى الله .

فأوجم عني ساعة .

ثم قال : هذه الكلمة لم يقلها لي إلا الشيخ عيسى لما دخل عندى ومن مثله نحتملها .

قال : فسكت عنه .

« وإنما سقنا هذه القصة اعتراضية على سياق الحديث ؛ كدليل للشيخ عيسى أنه لايقول عند السلطان مايؤثر به على الدين والدولة كما زعم من زعم » .

وفي الحقيقة أن الوفود من العمانيين كثرت على مسقط لكن النيات تختلف عندهم .

ولما قيل للإمام بذلك قال : لايضرنا . أكثر مانأمن منه بخل السلطان ؛ لأنه لو كان كريما لما بقي عندنا أحد .

●●●

وقال في موضع آخر : وقد اتجهت أنظار بعض العمانيين إلى السعودية و بعض إلى مسقط :

قال الإمام : إن أولاد : أحمد بن سعيد حكام على عمان لاينكر ذلك ينفعون عمان و يضرونها .

أما غيرهم فلا نرجوا منهم نفعا ، بل نتوقع منهم ضررا ..

قلت : وهذا سمعته من الإمام بأذني في مجرى حديث كان بيننا في قضية : ماجد بن سعيد الحارثي ، وسنذكرها إن شاء الله بعد تمام هذا الحديث .

وقيل للشيخ صالح بن علي ــ رحمه الله ــ إن كثيرا من أهل عمان يفدون على السلطان تركي بن سعيد .

قال : لاغرو إنه يغريهم بالمال ، ولو قعد بانياني في صور فزادهم عن السلطان قرشا واحدا لهرعوا إليه .

ــ معناه : أنهم يحبون العطاء حيثما وجدوه ــ ولايلزم منهم أن يحبوا المعطي .

قلت : وهذا لا ينطبق على كل أحد من أهل عمان ــ حاشاهم ــ إنما هم حثالة الناس .

● ● ●

وقضية ماجد بن سعيد التي أشرنا إليها هو أن هذا الرجل لآبائه زعامة على بلد : الدريز : من الشرقية ، ولعله حاول أن يتبعها ، لكن الظروف التي عاش فيها لم تساعده على ذلك .

وأراد بعض الناس أن يمكر به ، **فدسُّوا**(١) عليه رجلا من الموالي قطع له في الطريق وضربه .

وكان ماجد ليس عنده إلا خنجر فلما أوجعه الضرب . ورأى بعض من دسوا عليه واقفين يتفرجون : حملته الحمية فضرب ضاربه بخنجر قضت على حياته ، فآل الأمر إلى سجن ماجد كفافا للفتنة ، وحكم عليه بتسليم الدية .

وبعد ذلك تخالف المشايخ : فبعض يزيده في مدة الحبس ، وبعض يريد أن يفرج عنه ، فتوسط المصلحون أن يحمل **ماجد** إلى الإمام ، فيرى فيها رأيه .

ورأي الإمام فرض اتباعه على الجميع .

فكنت ممن صحب ماجدا إلى نزوى فلما خلونا بالإمام لنقص عليه القصة ، قال : أنا أقصها عليكم ، فقصها ، ولم يغادر حرفا مما وقع .

يقول ماجد : لو أنا قصصتها لقصرت في الإيضاح عن القضية ولكنه جاء بها مستوفاة ، بالرغم من إملاء بعض حساد ماجد على الإمام ضد الواقع .

وبعد ذلك قال : أرى من الأفضل تفاديا للخلاف أن ينحبس ماجد بلا قيد في رجله ، وهذا لا يضره ، وماجد عنده حق في الدفاع عن نفسه ، كما وقع ذلك زمن عمر بن الخطاب ، حين دفع رجل عن نفسه :

فقال له عمر : إن عادوا فعد » .

انتهى كلام الإمام

●●●

---

(١) في الأصل : فدس .

ثـم طـلـبـت أنا من الإمام أن يكون حبس ماجد عندنا ، وذلك رفعا للشقاق بين الشيوخ المنقسمين على حبس ماجد .

فوافقنا الإمام على ذلك ، وبقى ماجد المدة المقررة عليه معنا

وكـان الإمـام ــ رحمه الله ــ حسـبما قلنا عنه كثيرا : أنه ألمعى يرى بعقله مالا يراه غيره .

● ● ●

● ●

●

---

(١) في الأصل : من .

قضية فتح جعلان

لما فسدت جعلان بني بو حسن : وكثر فيها القتل والنهب ، وصار الواحد منهم يقتل ابن عمه وقريبه بالشيء اليسير من الإغراءات المادية ، وصار لايستطيع أحدهم أن يصل ماله خوفا على نفسه ، ولايكاد يعرف خصمه من هو ، ولايصبح صباح إلا والأخبار عن قتل فلان .. وفلان ، ونهب بيت فلان .

وهكذا أخبرني **سالم بن سلوم الغيثي** ، وكان يسكن جعلان في تلك الآونة .

قال : تسع عشرة سنة وأنا لم أخلع سلاحي من فوقي ، وما حفظت أني بدأت بأكل وأتممته إلا وأقوم عنه للصائح مرتين وثلاثا ، والبلاد كلها جحيم لايسكنها إلا الشقي .

قلت : « ما أشبهها بلبْنان في زماننا هذا » وهكذا سنة الله فيمن عصاه » . أ هـ .

وهذا الأمر كان في الخمسينات من الهجرة .

ولما صار الأمر كذلك ، وفسد الناس ، تدخل في شؤونهم جيرانهم ، واستغلوا هذا التفكك منهم ، وأغروهم حتى مال الكثير اليهم ، وآل ببعضهم الأمر إلى أن يحمل زكاة ماله على رأسه ليدفعها إلى الأمير **علي بن عبدالله آل حمودة** ، ليس كل ذلك خوفا منه . بل إغاضة لمن يغيضه ذلك من جماعته ، واندرج كثير منهم عن المذهب الإباضي إلى المذهب الوهابي ، والشيخ الرضى **عيسى بن**

صالح يذهب مرتين أو ثلاثا إليهم ، ليصلح من شأنهم ، و يردهم عن ضلالتهم ؛ فحين يكون معهم يبدى له البعض مايسره نفاقا . و بعضهم يجاهره بالخلاف ، حتى إذا رأى أنه اصطلح الحال رجع عنهم .

وما تمضى أيام حتى تأتيه الرسال أنهم رجعوا إلى حالتهم الفاسدة .

فلما رأى ذلك وأعياه أمرهم طلب من الإمام الخليلي ــ رحمة الله عليه ــ أن يتكلف المسير إليهم ، وكتب إليه أنه لايسعه التأخير ، وشدد عليه بالطلب .

فشمر الإمام **أبو خليل** عن ساعد الجد ، وعزم التوجه إليهم ، فأرسل امامه الشيخ **منصور بن ناصر الفارسي ، بكتب إلى الشيخ عيسى والحرث والمساكرة والحجريين ، وبني بو حسن .**

وقد ذكرنا هذه الكتب فيما سبق من ذكر أخبار هذا الإمام .

وفي منتصف جمادى الثانية من سنة ثلاثة وستين ثلاثمائة وألف هجرية : وصل أبوخليل إلى الشرقية بقضه وقضيضه وهيبته وعدله .

واستقر أولا في حصن المنترب يدعو الناس للمثار على جعلان ، ونجم النفاق في أهله ، وسعوا في تأخيره وجدوا واجتهدوا ، ولم تزل خيوط النفاق تنسج مابين جعلان و بدية ، شأن كل باطل يقوم في وجه حق .

فكان جواب الإمام فيمن يكلمه في هذا الغرض « أمر هذا المثار راجع إلى الشيخ عيسى ، ليس عندى فيه رأى » .

وكان من كلم الشيخ في ذلك أنتهره ، ولم يترك مجالا في الخوض في هذا الحديث ، وذابت العوارض أمامهم .

وفي آخر شهر جمادى الثاني : رفعت أعلام الحق ، وعلت التكابير واتجهوا إلى جعلان : يؤمهم النصر والتوفيق ، مستعينين بالله من شرورها ، وكانت تسمى دار الهبالى وكان معهم من الخيل حوالى عشرين فرسا أو أكثر في نواصيها الهيبة .

وفي صبح اليوم الثاني جاؤا فلج المشايخ من جعلان وواجه كل بنى بوحسن فيها محسنهم ومسيئهم .

وما كان المسلمون يتوقعون ذلك .

وكانوا لايشكون أنها ستكون معارضة ، وربما تؤول إلى مصادمة لما سبق من التهديد ، ولكن النصر من الله .

ولما حضروا أمام الإمام : طلب منهم البيعة والدخول في طاعته وما كانت جعلان قبل ذلك داخلة في طاعة الإمام :

فأعطوا البيعة : رؤساؤهم ومرءوسوهم .

ولما كثر الزحام عليه : قام الشيخ عيسى يساعده بأخذ البيعة ، والعهود على من يحسون منه الالتواء .

وكانت جلسة واحدة من أول الضحى إلى العصر ، وقد أخذت الشمس نصيبها منهم ، لكنها لم تؤثر شيئا في عزيمتهم ، وكان ذلك في عز الصيف : يصادف الشهر السادس من الأشهر الميلادية .

وجيء بالأكل بعد العصر، وما أدراك ما الأكل ؟

لا يأكله إلا المحتاج .

فقال الشيخ **عيسى** : « ما ذقت عمرى أحلى من هذا العيش » .

فقال **علي بن حميد الحجري** : لومكثت أيها الشيخ إلى غد لم تأكل شيئا ، لرأيت التراب أحلى من كل شيء ، لو كان التراب يؤكل .

قلت : معنى قول الشيخ فيما يبدو، وفيما حلله المفكرون : أنه حلا لنا كل شيء لما دخلت جعلان في الطاعة ، وشملها العدل .

وكنا مشغولين بالتفكير من شأنها لانستلذ شيئا ، وهذا أوجب من كون الجوع أخذ منه ، فمن كانت همته أكبر كان اعتناؤه بالطعام أقل » . أهـ .

وفي اليوم الثاني توجهوا إلى بلاد بني بوحسن تؤمهم تلك الهيبة ، وذلك المنظر المشجع الأخاذ ، وحدثنا غير واحد من أهالي الجعلانيين .

قالوا : إنه في تلك الليلة هبط عليهم جيش عظيم من جانب صفرة المنجرد ، لايسمعون فيه إلا قعقعة السلاح وأصوات التكبير، ولا يرون أصحاب تلك الأصوات فأصبح من كان مترددا في الطاعة منقادا طائعا رغبة ورهبة . أهـ .

فاطمأن أهلها ، وتواصلوا بعد ماتقاطعوا ، وتفرغوا لأشغالهم وأموالهم .

وواجه المشايخ أولاد الأمير وعندهم الشيخ : **خميس بن سعيد السنيدي** وأظهروا الطاعة للإمام ، وطلبوا منه الأمان . وتعهدوا بأن لا يتدخلوا في شؤون جيرانهم لا جهرا ولا سرا .

ولم يروا من الإمام الحليم إلا الوفاق وحبّ الوئام .

ثم أمر الإمام بأن يعـ ـن على كل فرقة من بني بوحسن شيخا منها : ترجع جميع الفرقة إليه ، ويكون المسئول

والسائل فيها . فعينوا في فرقة : أهل بومطاعن : حميد بن راشد .

وفي فرقة : السليمانيين : محمد بن عامر الصواعي .

وكان رضى بذلك إلا : الشيخ حمد بن سالم بن سعيد الصواعي .

ولم يرض أن يكون الشيخ : محمدا :.

وكان حمد هذا مقداما شجاعا لايبالي وقع على الموت ، أو وقع الموت عليه .

وكان لايقاتل إذا حضر القتال من وراء ستر ، بل يقف مكشوفا ، وكان مشهورا بقوة الجأش ، ودائما تراه مظاهرا بتفقين لايكتفي بواحد ، حتى في حالة السلم . أهـ .

فحكم عليه الإمام بالدخول فيما دخل فيه جماعته .

فما رضى قبول الحكم ، وقام من بين يدي الإمام مراغما .

فقال الإمام للعسكر : اقبضوه : فما تجاسر أحد أن يتبعه لما يعرفون من شدة بأسه ، وقوة مراسه .

فلما لم يقم إليه أحد ، وكاد أن يخرج من الباب : قفز الشيخ عيسى من مكانه ، وأدركه وقبض على عنقه فصرعه ، وأدركه محمد بن عبدالله الصواعي ، وساعده عليه .

ولم يستطع أن يفعل فيهما شيئا .

قلت : لعل ذلك من سر الحق على الباطل وإلا فليس بالرجل قصور من شيء . أهـ .

● ● ●

ثم جاء العسكر ، فاحتوشوه يلكزونه و يدفعونه ، وقيدوه وكأني أرى الإمام والغضب باد على وجهه ، وقد جاءه بعض أحبائه فأخذه من مجلسه ، وأدخله في مكان آخر خوف اشتعال فتنة واستغلال الهيجان ، فلم يبق **حمد** في القيد أكثر من عشر دقائق حتى أرسل الى الشيخ : أنه تائب وراجع إلى مايقوله المسلمون ، وأن هذه صرعة تعاوده ، لم تكن عن اختيار منه ، ففك وثاقه ، وخلى سبيله ، وهدأت بعد ذلك الأحوال ، وسكنت البواعث .

فلما مضت أيام على الاطمئنان طلبوا من الإمام الرحيل ، رفقا بالناس لأجل حصاد نخيلهم ، وهذا وقت الحصاد إن ضاع لا يعوض ،

وخصوصا الحجريين .

فقال الإمام : ذلك إلى الشيخ **عيسى** وأرسل إليه بعض المشايخ ليعارفوه في الموضوع ، و يبدوا له الأعذار .

فجاء الرسل إليه في المنزل الذي نزله به ـــ وكان غير المنزل الذي نزل به الإمام ـــ فخاطبوه فيما جاؤا به .

فقال : بعدما سكت عن جوابهم طو يلا :

« من كان مشتاقا منكم إلى زوجته فنحن نعذره ، أما الإمام فإنه امامى أنا ، ولن يبرح هذه الأ رض حتى نرى أنها مكتفية من وجوده » .

فرجعوا عنه بغير فائدة .

وقال الإمام : ليس لى رأى دون رأيه ، ونأذن لمن احتاج للإذن لصلاح شأنه . ومن اكتفى بغيره فهو أفضل .

يقول الشيخ للإمام ـ لما التقيا ـ « ما كنا لنسم وسمانيا » وكأني به وقد قعد على ركبتيه يقول لبعض مشايخ بني بوحسن وقد أحس منه شيئا : **لا تظنن أن هذا عيسى فقط فتلعبون عليه مثل السابق .**

هذا محمد بن عبدالله الخليلي يعرف كيف يؤدبكم ، راحت تلك اللعبة .

وفي تلك السنة : انتفع الناس بأموالهم وأكلوها ، وما كانوا ليصلوها .

وولى الإمام على جعلان الشيخ : **محمد بن زاهر بن غصن الهنائي** والقاضي الشيخ : **سفيان بن محمد الراشدي** وأوصاهما بالجد والحذر في الامرة ، وعدم التساهل .

وكأني بالشيخ محمد وهو أمام الإمام يوصيه ، و يأخذ منه الإرشادات ، يهتز كأنه سيف مسلول .

فسألت أبي وأنا صغير : لم يهتز ؟

قال : لصعوبة الموقف ، وتحمل هذا الأمر تحمسا منه كأنه وسط معركة .

يقول الوالد : وليس بالرجل جبن : إنما هو من أولاد : هلال بن زاهر لايحوم الجبن والخمول حولهم واستطرد في ذكر **هلال** واولاده و يقول الوالد **حمدون بن حميد الحارثي** (اشبه أولاد **هلال بن زاهر ، كآل المهلب بن أبي صفرة .**

وأخبرني الشيخ الرقيشي : قال : خطب زاهر بن زكري على النباهنه فاعترض بعض عقلائهم قائلا : لا تزوجوه ، فإنها ستلد عدوا ولكن لاراد لأمر الله ، زوّجوه ، فولدت هلالا فكان في صغره إذا صحب أمه للزيارة وجلس يلعب مع أترابه : كان لايلعب بما يلعبون ، بل لعبه : يبني الحصون : و يصور الخيول . فرآه بعضهم فقال : ألم أقل لكم سوف ترون منه العجب .

يقول الشيخ الرقيشي : فعاش هلال بين ثلاث قبائل ، كلها حرب له ، فكان من دهائه يحرب بنى ريام بالعبريين ، ويحرب العبريين ببنى شكيل ، ويحرب بنى شكيل ببنى ريام .

وهكذا عاش طول عمره حاربا محروبا .

حتى إذا وصل أجله ، قتله سيف بن حمد البوسعيدي ، وهو ولد صغير ، قتله بكل سهولة ، وقد قيل له : إنه سيقتلك .

قال : لو وجدني نائما ما نبهني ، فدفن سيف التفق في كدس سماد أمام الجامع ، فلما مر هلال في ذلك المكان ، وسيف يمشي خلفه : جذب التفق من مكمنه ، وأطلق عليه رصاصة لم تخطىء مقتله . و بعدها تحصن في جامع سمد حتى استقرت الأمور ، وملك بعد ذلك نزوى ، حتى نصب الإمام سالم — رحمة الله عليه — فتحصن في الجامع ، وقتل نفسه خوفا عليها من القهر . أ هـ .

● ● ●

وكنت ممن تأخر بصحبة والدي :

وكنت يومئذ في السادسة عشرة من عمري .

أما أخواى : محمد وعبدالله : فإن الوالد أرسلهما

ليكفياه الحصاد بإذن من الامام والشيخ ، كما فعل كثير من الأصحاب ، أكتفوا بغيرهم ، وتأخروا تشرفا بصحبة الإمام .

فأقمنا شهر رجب كله في جعلان .

قلت : وفسدت الغلل في تلك السنة بسبب الأمطار ولم ينتفع أحد بشيء أ هـ .

● ● ●

وإن أعجب من شيء ، وأتفكر الآن فيه : أين تلك الشمس وذلك الحر الشديد ؟

وكل نهارنا في الشمس والحر ، ونحن مبسوطون لانحس كلفة منهما .

وفي هذا الوقت إن قعدنا في الظل من غير مكيف لانستطيع ، وكأننا على جمر ، والأجسام هي ، والصحة هي : فأين ذهب عنا ذلك النشاط ، وذلك الصبر على الحر والجوع ؟

وكان غالب ما نأكل التمر فقط ، كأننا الجمال لانعرف منه مضرة ، ولانعاف شيئا : **سبحان الله ، للبيئة حكمها « ولكل دهر دولة ورجال » والله المستعان ، نسأل الله حسن الخاتمة ، والموت على الاستقامة ، ولانكون ممن قال الله فيهم :**

« أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها » .

● ● ●

سورة الأحقاف ٢٠ .

وبعد ما اطمأنت نفوسهم : أنهم احكموا الأمر رجعوا .

فمر الإمام عائدا من طريق بدية وبلدان الحرث والمساكرة وسمائل .

وساد الاستقرار في جعلان إلى يومنا هذا ببركة أولئك الأبدال الذين لايعرفون إلا الله والعمل لرضاه ، عاشوا ما عاشوا في خدمة المسلمين ، وماتوا حين ماتوا في رضى رب العالمين وإذا مرضوا فلا تسمع منهم إلا ثناءً على الله ، وتفويضا لأمره في قضائه وقدره ، دخلوا في وعد الله لهم بالفوز والفلاح .

روى القرطبي في تفسير قوله تعالى : « والصابرين في البأساء والضراء » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يقول الله تعالى : أي عبد من عبادي ابتليته ببلاء في فراشه ، فلم يشك إلى عواده ، أبدلته لحما خيرا من لحمه ، ودما خيرا من دمه ، فإذا قبضته فإلى رحمتي ، وإذا عافيته عافيته بلا ذنب » .

قالوا يارسول الله : ما لحم خير من لحمه ؟.

قال : لحم بلا ذنب .

قالوا : فما دم خير من دمه ؟.

قال : دم بلا ذنب .

رحم الله تلك الأوصال ، وأسكنها بفضله دار الجلال ، مضوا وآثارهم نور ، وذكراهم رحمى ، ومضجعهم روح وريحان .

وأخبرني الشيخ علي بن زاهر الهنائي قال :

لما كان الإمام الخليلي في قيامه على الظاهرة ، وكان في

تلك الأيام بلغ الغلاء أوجه :

أقام الإمام ثلاثة أيام على التمر والعوال ، لم يذق غيرهما . (اهـ) .

وكان خادم من أهل مضيرب لص موبق ، هرب منها خوفا من القبض عليه ، لما قبض على زميله .

فلما كنا بجعلان جاء الخبر إلى والدي : أن الرجل موجود في : جعلان ، فأخبر الإمام ، فأمره الامام بالاستعانة على القبض عليه ، أو قتله إن امتنع ، وكتب في ذلك حكما هذا نصه :

« تحقق معنا أن ذباب بن طحنون ينهب الناس ، وصار كالسبع الضاري ، وقد أبحنا قتله » .

فصار الوالد كل يوم يخرج وأنا معه إلى الخيام الموجودة خارج البلد يتحسس عليه ، وقد تهيأ لقتله لو رآه .

وكنت أنا أمشي خلفه راميا تفقي ، وكان ــ رحمه الله ــ يلتفت إلى فيقول : « ارفع تفقك ، وانظر أمامك ، واحذر التفريط .

وكنت أنا مرة : أنظر أمامي حسبما يقول ، وأتوقع أن يأتي من خلفنا :

فالتفت ، وكنت وددت لو أظفرني الله به قبله فكفيته قتله ، لكن لم يمكن الله منه .

●●●

نعود إلى مرويات والدي : قال :

تسابق مرة على بن سعيد بن على البرواني ، على فرس يقال لها شعلة ، ورجل حجري على فرس يقال لها صبحا . وأن

يكون الانطلاق من القابل إلى شكل أولاد عرفه بالواصل : يقدر بثلاثة أميال . فلما كانوا مجتمعين للانطلاق ، مر عليهم ناصر بن علي بن مطر الغفيلي « وقد سبق ذكره فيما مضى » . فتفقد الفرسين ، وقال للحجري : لا تسابق فإنك ستسبق . وسئل بعد بماذا عرفت ؟. قال : رأيت منخري شعله واسعين ومنخري صبحا ضيقين ؛ فعلمت أن ذوات المنخر الواسع تستطيع الثبات بما يتردد فيها من النفس ، بخلاف الأخرى .

قلت : وهذا من قول امرىء القيس يصف فرسه :

لها منخر كوجار السباع فمنه تريح إذا تنبهر

ولم يكن ناصر يعرف ذلك ، لكن عقله وتجربته هما اللذان دلاه على ذلك . (ا هـ) .

قال : فانطلق الخيل ، ففي باديء الأمر انطلقت صبحا كأنها سهم حتى كادت أن تغيب عن صاحبتها ، لكن لما طال المدى صارت شعلة تظهر عليها ، ولم تزل تظهر ، والأخرى تقصر . إلى أن مرت على الأسود « فلج لأولاد الحضري قريب من الواصل ، وهو الآن ميت » .

سبقت شعلة بطولها ، فكبر أهل الأسود تأييدا لها « إذ كلهم حرث » وصار بينهما مثل ماصار في أول الشوط ، فأخذ السبق ، وصدق تخمين الغفيلي .

وهذه الفرس شعلة كان الوالد سليمان بن حميد ـ رحمه الله ـ يضرب بها المثل ويقول : حين تقبل شعلة من بعيد كأنما يقبل عليك مركب في البحر .

و يضرب المثل أيضا بصاحبها يقول : ما أعلم أثبت منه

على ظهور الخيل ، كأنما يسمر عليه بمسامير .

قلت : كما قيل :

فكأنها ولدت قياما تحتهم وكأنهم ولدوا على صهواتها

« المتنبي »

كأنهم في ظهور الخيل نبت ربى من شدة الحزم لامن شدة الحزُم

« البوصيري »

قوم على صهوات الخيل طفلهم يربو له من دم الأبطال ألبان

« أبو مسلم »

وسمعت والدي يقول عن والده :

أنه ذات مرة هجم الموالك وهم بدو للحرث على السعديين : هبطوا سوق المضيرب ممتارين ، فسلبوا ما عندهم من المتاع والدراهم ، وتوجهوا قاصدين جعلان .

فجاء إلينا الصريخ فتبعناهم خيالة من المضيرب والدريز والقابل وعز ، على نحو ثلاثين فرسا .

قال : لما طلعنا من شاحك ، نرى القوم صدروا من شريعة «الراكه» يريدون «المنترب» فاطلقنا عليهم الخيل وكان في طريقهم كثيب رمل يؤمونه ، فحالت الخيل بينهم و بينه .

قال : فاندهش الناس في سوق المنترب لهذا الأزيز العظيم أزيز الخيل وهي مقبلة ، فبعض يقول هذا رعد ، و بعض يقول : هذا سيل جارف .

والمهم أنه صاح الصايح مع الحجريين من كل مكان ، فاجتمعوا إلينا وانقسموا علينا ، فبعضهم يقول : انه ليس لكم أن تجبروهم على شيء في بلادنا حتى يخرجوا منها .

وعقلاؤهم يقولون : خلوا بينهم و بدوهم ، هؤلاء

لصوص ليس لكم حق لأن تتحيزوا إليهم .

ففلب هذا الرأي ، وجبرنا البدو أن يحسبوا معناه : يردوا السلب إلينا ، فردوه ، ورجعنا .

يقول الوالد سليمان : لكنه ماوصل من تلك الثلا ثين الفرس في بادىء الأمر إلا خمس ، منهن «حصين» تصغير «حصان» ، كنت أؤدبه وليس في نفسي أنه يثبت مع هذه الخيل العملاقة ، لكنه نجب فما ضيعني .

وكانت الخيل في هذه البلدان في تلك الأ يام كثيرة ، قلما تجد أحدا إلا اقتنى فرسا أو فرسين ، فأورثت المصر هيبة وعزاً .

وحكى رجل من بني غافر أعمى ، وكان زائرا في المضيرب ، فصاح الصايح ذات مرة .

يقول الغافري : فوقفت على دروازة كشام ، وعددت الخيل الذي خرج من هذا الجانب فقط ، فكان سبعين فرسا .

قلت : والدروازة في عرف العمانيين الباب الكبير وفي لغة الهنود : كل الباب صغيرا كان أو كبيرا ، لا أدري : هل هذه الكلمة أعجمية فعربت .

وفي المصباح : الدرز واحد دروز الثوب ، فارسي معرب . فلعل هذا منه . (ا هـ) .

وحكى عن الوالد حميد بن عبدالله الحارثي :

أنه كان ذات يوم على حصان ، مابين القلبل والمضيرب ، والحصان مستغير ، فرأى عقابا يحوم أعلاه ، وكان عنده تفق عماني ، فرماه بالبارود والرصاص والحصان لم يزل مستمرا في

جـريـه ، والعقاب لم يفارقه ، فنقع فيه فسقط ، وهذا من غرائب الحذق والثبات .

كما يحكي أن ابنه عبدالله بن حميد :

كـان على حصانه ما بين إبرا والمضيرب في الليل ، فرأى الحصـان صـوب أذنيه فقال : لابد أن الحصان رأى شيئا يكره ، فجعـل التفـق بين أذنيه وأطلقه على الشبح . وجاء في الصباح لينظر فوجد الرمية أصابت ذئبا بين عينيه ، وكانوا يعدون آذان الخيل إذا صوبت معالم لا تخطىء .

يقول الراجز العربي :

كـأن أذنـيـه إذا تـشـوفـا

قـادمـة أو قـلـمـا محـرفـا

●●●

ويروى أن رجلا أدركه نمر أو سبع آخر ، وعنده تفق عمـانـي فرماه وضرب به الأولى ، ورماه وضرب به الثانية والثالثة والرابعة حتى السابعة وهو يركض نحوه ، والرجل ثابت مكانه ، وكل ضربة تحتاج إلى عناء ، حتى الضربة السابعة ، ولم تخطئه واحدة ولم يكن بينه وأن يفترسه إلا قدر «باع» فصرع .

وهـذا شيء لا يـقـوى عـلـيـه كـل أحد « يزيد في الخلق ما يشاء » .

وفي تفسير هذه الآية :

ما نقل لي الشيخ عبد الله بن علي الخليلي قال :

كـان رجـل وامرأتـه سـائـرين في الطريق ، فوردا ماء ليشربا ، فإذا عند الماء رجل عظيم الهيئة قوي الساعدين ، فقبض على المرأة وأراد أن يفعل فيها الفاحشة ، فعارضه زوجها ،

فقبضه وجعله تحت إبطه حتى قضى حاجته من المرأة ، وأطلقها ، واستلقى على قفاه فنام ، فانتهز زوج المرأة الفرصة وضربه بسيفه ، فقطع ساقه ، وهرب ، فلحقه ، فلما أثقلته رجله المقطوعة جذبها فقطعها ورماه بها ، فأصابت بعيرا فصرعته ، ثم سقط هو ميتا . فرجع الرجل إلى زوجه فتذاكرا ماوقع .

فقالت المرأة : نعم ليت لنا منه سخله :

●●●

وسمعت منه في ثبات الجأش :

يروي قصة يقول فيها :

كان رجل طلبت منه زوجه أن تذهب إلى زيارة أبيها في بلد أخرى ، وكان له عبدٌ أمَرَه أن يصحبها ليكفيها أمر الحمار والرحل والحط عنه ، فطمع العبد فيها لما انفرد بها في الصحراء ، فلما رأت الجد منه ولم تقو على دفعه ، أظهرت له أنها هي الأخرى راغبة فيه أيضا . فأناخا ، وقالت له : إنك متعب وأنا لا أفوتك ، وكان العبد طول نهاره يمشي ، فأراد الراحة ، فلما أحست أنه نام : هوت عليه بسكين حادة فذبحته ، ثم قطعته إربا ، وجعلته في جونية وسحبته إلى غابة بالقرب منها ، تفكر كيف تواريه .

فمن الاتفاق العجيب أن زوجها وأصحاباً له تذاكروا هذه الغابة وأنها موحشة ، لا يدخلها إلا حديد القلب ، فمن يستطيع أن يذهب إليها في هذا الليل ، وله كذا إن أتى بما يشهد له بدخولها ؟

فانتدب زوج المرأة لذلك ، فأتى الغابة ، ورأى سواد المرأة على فم غار هنالك ، فقصدها ، ورأت هي

الشخص مقبلا إليها ، فرمته بأحد أعضاء المقتول ، فلم يثنه ، ورمته بعضو آخر ، وهو لا يتردد في قصده ، حتى وصل إلى المرأة واشتبكا ، وبعد صراع دام بينهما ، تعارفا ، فكأنما خلقا من جديد ، وبثته بثها كله ، وكان هذا من محاسن الصدف .

ومثلها ما يروى :

أن امرأة من أهل وادي نام ، واد من أودية الشرقية ، سافرت هكذا مع عبد لزوجها إلى : وادي الطائيين : عن طريق «وشغ» فطمع فيها العبد وهم باغتصابها ، ولما رأت منه ذلك ، أرته الرغبة من نفسها ، ولكن قالت له :

نلتمس مكانا لا يرانا فيه أحد ، فأتت إلى شفير الوادي ، وكان مكانا حلوا للنوم ، إلا أنه لا حائل بينه وبين الشفا ، فاستلقت على قفاها ، وجعلت رجليها من قبيل الجرف ، وعمقه هنالك مالا يقل عن عشرين قامة ، فجاء ليتسنم صهوتها وقد أسكرته شهوته ، ورأى أنه نال مالا يحلم به ، فلما رفع رجليها ضربته بهما ضربة المستميت فانقلب في ذلك الجرف ، ونظرت إليه فإذا هو متقطع في بطن الوادي ، فركبت حمارها وراحت ، والمكان موجود حتى الآن ، يسمى : مهداف العبد : ولا يزال الله مع المظلوم إن اعتمد عليه .

ولقيت رجلا سعوديا : في حيدر أبادي : في الهند

قال لي : منذ ثلاث سنوات ، وكنت في : بومبي : وقعت قصة على رجل عماني ، أخط الشعر في يده عصى لا يتركها .

جاء هذا العماني إلى البنك ، وعنده شيك ليصرفه ، فتمالأ عليه شرطي المرور مع لص ، وعزما أن يسلباه الدراهم التي يأخذها من البنك .

قال : وكان على البنك درج تهبط إلى الطريق . فوقف اللص على الباب ، ولما خرج العماني سدعه بقوة ، سقط العماني على الطريق ، وانفلتت الدراهم من يده ، فأخذها اللص وهرب .

ولكن العماني قام بسرعة ، ولما لحقه أطلق عليه تلك العصى ، حتى سقط اللص على الأرض ، وانفلتت الدراهم من يده ، فأخذها صاحبها وجاء الشرطي ليتدخل ، و يريد أن يقبض على العماني ، فأطلق تلك العصى عليه كذلك حتى سقط بجنب صاحبه . فاجتمع الناس عليهم ، وإذا بسيارة إسعاف تخص قنصلية أبوظبي فتدخلت بينهم ، وحملت الثلاثة إلى المخفر .

فقال رجال المخفر : مثل هذه المشكلة لا تحل إلا في دلهي . فحملوا إلى العاصمة ، وكل أدلى بما عنده .

و بعد ضغط على الشرطي وصاحبه اعترفا بالجريمة .

فقالت المحكمة : يفصل الشرطي من عمله ، ويسجن سنة ويسجن اللص سنتين ويعطى العماني خمسمائة روبية ، وتذكرة سفر إلى حيث يريد من بلاد الهند . فطلب أن يسافر إلى حيدر أباد ، وربح دراهمه ، وخمسمائة غيرها ، والتذكرة .

وذلك سر الشجاعة ، إذ الشجاع محبوب إلى عدوه . والجبان مبغوض إلى أمه .

● ● ●

وروى لي والدي قال :

جاء الشيخ سعيد بن عامر الحجري من أهل الظاهر من بدية إلى تاجر في المنترب ؛ ليشتري منه تمرا .

فقال : بكم تبيعني مائة جراب ؟

قال : بأربع وعشرين مائة قرش .

قال : كثير .

قال : ليس بكثير على من يريد الجنة « معناه كالمستهزىء به » إنك تريد أن تتصدق بها .

قال : صدقت : ليس بكثير على الجنة ، فاشتراها منه بما يقول فأنفقها كلها على الفقراء ، ولم تتجاوز أياما لشدة حاجة الفقراء إليها ، جزاه الله خيرا .

وسعيد هذا

يحدث عنه **الشيخ عيسى** كما أخبرني والدي يقول : ما رأيت أطوع منه لقبول الحق :

خرجت يوما من بيتي فوجدته يبني أمام بيته اسطوانة كردء للباب ، فقلت : ياسعيد هذه طريق . فكيف تبني فيها ؟

وذهبت عنه ، ورجعت إليه بعد ساعة ، فوجدته هدم البنيان .

فقلت له : لو لم تستعجل ، أنا تذكرت أن شيخنا السالمي بنى مثلها أمام بيته ؛ لأن الطريق واسع جدا لا يضره مثل ذلك ، فلا بأس عليك إن تركتها .

قال : فجئت في اليوم الثاني وقد أعاد بناءها .

ومن الطرائف أن سعيدا هذا كان مجبرا للكسر . فجاءه محمد بن سيف السناوي ــ الحارثي ــ من إبرا منكسرة

يده ، وقد جبرت عوجاء . فكان ف العادة في هذا ، أن يجعل على الكسر بطيخة فتكسره ، وجعل عليها البطيخة ، فلم تنكسر يده .

فقال : ماتريد من هذه البطيخة ؟

قال : لنكسر يدك ، فنعيد جبرها .

قال : أتعبت نفسك ، لو علمت لكفيتك ذلك ، ثم أدخل يده في ركنة شجره ، ولواها فانكسرت ، وقال : خذ .

قال سعيد : ان كان أحد من أولاد الحارث بن ظالم باقيا فأنت ذاك .

وبمناسبة ذكر شدة الغلاء

ما حدثني به الشيخ ناصر بن سليمان اليحمدي

قال : كنت مارا في الطريق مابين : الراكة والشاحك : بلدين في بدية ، و بينهما خراب ، وذلك في السنة التي كان الغلاء الشديد فيها في عمان ، فبينما أنا أسير ، إذ ناداني صوت لم أر صاحبه يقوله :

أقرضونا في هذا الوعاء تمرا إلى أن يرجع صاحب بيتنا ممتارا :

أي يطلب الميرة : ورأيت الوعاء أمامي لم ر من وضعه ، فملأته تمرا ووضعته في ذلك المكان

و بعد أيام وكنت مارا في ذلك الموضع ، إذا بصاحب الصوت الأول يقول :

نشكركم على القرض ، وهذا رده .

قال : فرأيت الوعاء وفيه تمر فرط أخذته . ورددت الوعاء مكانه .

وحدثني قال : يقال إن الدم لا يموت ، وعلى هذا

يحكى أن اثنين خرجا يصطادان ، فلما كانا في البرية .

قال أحدهما للآخر : أشتهي أن أذبحك .

قال له : إذاً لا تفلح .

قال : ليس هنا إلا أنا وأنت ، أذبحك ولا يطلع أحد على ذلك .

قال : إن هذه الشرجة التي نحن فيها هي التي ستخبر عنك ، فنفذ ما اشتهته نفسه ومات الرجل وأتت على ذلك أعوام ، لا يدرى عنه شيء ونسيه أهله .

وكان في حين قتله امرأته حاملا ، فوضعت بولد سأل عن أبيه لما كبر ، فقيل : انه خرج للقنص ومارجع ، ولا يدرى عنه شيء . فولع الولد بالقنص كأبيه .

فكان ذات يوم صادف قاتل أبيه في البرية :

فاصطحبا ، ولم يعرف كل واحد الآخر ، فلما كانا في تلك الشرجة المقتول فيها أبوه ، وصاحبه يحدثه عن الماضي : لأنه شيخ ، وهذا حدث : كان من جملة الحديث أن :

قال له : وفي هذه الشرجة قتلت رجلا من صفته كذا وكذا .

وقال : ستخبر عن القاتل هذه الشرجة ، فمضى على ذلك نحو من عشرين سنة ، ولم يعرف ذلك أحد .

قال الشاب : بل عرفنا ، وأطلق عليه رصاصة أفقدته حياته ، ومات بجنب صاحبه .

ومثل ذلك ما حدثني به الشيخ الرقيشي : قال :

قتل رجل من بني ياس رجلا من النعيم ، وكان له ولد

يرضع ، فلما شب ذلك الولد والتحق بالرجال ، خاصم ذات يوم شابا مثله ، وضربه .

قال له : تضربني ، ما أنا الذي قتلت أباك .

فذهب إلى أمه وهو يتميز من الغيظ ، فقال لها : من قتل أبي ؟

قالت له : فلان بن فلان يسكن المكان الفلاني .

وكان الياسي ذا ثروة كبيرة .

فراح الولد حتى وصل عنده ، وقد أبدى فقرا وحاجة .

فقال له : أنا جئت لتطعمني ، وتستخدمني .

فقال له : نجعلك طنافا في الركاب .

فقبل الولد ذلك ، وأبدى نصحا ومهارة أحبه عليهما وقربه من بيته وأولاده حتى خالطهم .

و بعد أشهر قال له : إني ربما أصادف في بعض الأحيان شيئا من السباع ، وليس عندي ما أدفعها به فلعلك تزودني ببندقية و بعض الذخيرة .

فأعطاه حسْن ظنٍ به ، واجتهد في العمل بنشاط زايد ، والرجل يزداد فيه ثقة ، حتى عند تمام السنة من يوم دخوله اتخذ سياسة جديدة ، فصار يقصر بعض الركاب . فإذا سأله عنها صاحبها قال له : ندّت علي والآن سأتبعها و يتبعها يأتي بها في الحال ، و يزداد الرجل به إعجابا .

حتى إذا كانت الليلة التي سيقضي فيها مطلبه ، و يأخذ ثأره : قصر من الركاب أجودهن . فلمّا جاء إلى البيت وسأله الرجل ، قال : الآن سأتبعها ، فراح عنه بعد العشاء ولم

يعد إلا في الثلث الأخير من الليل ، وقد هيأ الناقة قريبا من المنزل .

فجاء إلى مضيفه قاتل أبيه ، فوضع رأس البندقية في لبته وهو نائم ، فما لبث بعدها بنفس ، وامتطى ظهر الناقة ، أصبح الصبح عليه في ضنك ، ولم يدر أي البلاد انطوت عليه .

وهكذا الدم لا يموت .

[تمت]

ويشبه هاتين القصتين :

ما يحكى عن نبي الله عيسى عليه السلام قال : كان في بعض الأيام قاعدا على بئر في البرية مختفيا ، فجاء رجل على فرس وعنده كيس فيه ألف دينار ، فترك الكيس ، وعالج البئر حتى شرب ، فركب فرسه ، ونسي الكيس ، فجاء بعده رجل فشرب وأخذ الكيس ، وجاء بعده آخر فقام ليشرب ، وهذا صاحب الفرس راجع لكيسه ، فوجد الرجل البرىء ، فسأله عن الكيس . قال : مارأيت كيسا . فقتله ، وذهب عنه ، والنبي عيسى ينظر ، فقال :

يارب : أنت الحكم العدل . فما هذا الذي رأيت ؟

فأوحى الله إليه : أني أنا الحكم العدل ، وكل أخذ حقه ، فالمقتول منهم قتل أبوه أبا الفارس ، فالفارس أخذ حقه . وأبو الفارس ظلم وَالِدَ مَنْ أخذ الكيس «ألف دينار» فأخذ حقه منه .

فسبحان من لا تخفى عليه خافية ..

● ● ●

وبحيث أن الإنسان محل النسيان ، غفلنا شيئا من أخبار الامام الخليلي ، رضي الله عنه ، فنلحقها هنا . وكان المناسب أن نذكرها هنالك في صحيفة ١٧٣ وما قبلها فنقول :

ذكرنا هنالك أنه طلب الطبيب الأمريكاني ، ليعالج عينيه ، فاعترض عليه بعض أصحابه في جلب هذا الطبيب ، بحجة أنه مشرك ، ولا ينبغي لمثل الإمام أن يمسه مشرك . وكان من جملة المعترضين الشيخ : سيف بن راشد المعولي ، وهو راوي القصة .

قال : كان ذات يوم في حلقة قراءة القرآن ، فأخذته سنة من النوم رأى فيها أنه يصعد قلعة نزوى ، وأن أمامه نورا يستضيء به ، فانتبه .

وفي ضحى ذلك اليوم : صعد الإمام القلعة ، وهو خلفه ، فالتفت اليه ، وقال :

يا سيف : أما يكفيك حجه ؟

فعجبت من أين اطلع على ما رأيت .

قال : ثم اضطررت أنا الآخر ، وسافرت إلى البحرين لعلاج عيني .

فلما كنت في العملية : رأيت الإمام في النوم يقول لي : أين أنت الآن ؟

ومن سعة أخلاق هذا الإمام : ما أخبرني به أبو بشير السالمي قال :

قال الشيخ : ناصر بن راشد الخروصي للإمام : فيك ثلاث خصال من خصال المنافقين .

فتبسم الإمام ، وقال : ماهي ؟

قال : تحدث فتكذب ، وتؤتمن فتخون ، وتعد فتخلف .

فقال الإمام : أما الكذب فلا أستحله ، وماكذبت إلا أني أعرض في بعض الأحيان . « وفي المعاريض مندوحة عن الكذب » .

وأما الخيانة ، فتعني الاقتراض من الأمانة ، وهو جائز في الشرع ؛ لأننا نستطيع ردها .

وأما خلف الوعد ، فما يكون عن عمد منا ، بل أنت وأمثالك تضطروننا إلى أن نعد ، فنعجز عن الوفاء .

قلت : ولعل ذلك من الإمام اعتماد على قوله تعالى :

« وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا » .

وقد اطلعت على كتاب منه للشيخ سالم بن محمد ــ قاضي القابل ــ وهذا الكتاب أرسله إليه بعد موت الشيخ عيسى : يحثه على تولي القضاء هنالك .

يقول فيه : سلام عليك ورحمة الله ، و بعد

فإنه بلغني كتابك ، ولتعلم أن الشيخ عيسى يقال فيه : عجزت النساء أن يلدن مثله .

وكل يهوى أن يكون له النصيب الأعلى ، ولكن القصور يقصرهم ، أما أولاده : إن يسلكوا طريقه استقام أمرهم ، وعظم شأنهم . فإن ولوا أمرهم أهل العلم ، يكونون علماء .

أو يشاوروا في المهمات أهل الرأي : صاروا نبلاء .

وأما الورع والنصح فذلك أمر بيد الله عز وجل ، وقلوب الناس كلها بيده .

فنوصيك أن لا تعتذر من أمر هو صلاح ، وساعد مالم تر هوى متبعا وشحا مطاعا ، واستبدادا .

ولا نعذرك عن أمر أراده الشيخ منك . أما الجباية فليس ذلك من أمرك وشأنك . (ا هـ) .

قلت : ودائما ما يصف الامام الشيخ عيسى بمثل هذه الأوصاف ، وإنه ليعرف أن الشيخ كان لها موضعا يستحق أن يذكر بها ، وكان أوابا إذا رأى من نفسه تقصيرا ، كما روى الوالد : صالح بن أحمد الحارثي ، قال :

كان عندي فرس قبيحة المنظر ، وكان عمي « يعني الشيخ عيسى » دائما يضحك منها .

فقلت له يوما : ياعم ، أيجوز أذى المسلم ؟

قال : لا ...

قلت : لم تؤذيني بالضحك على فرسي ؟

قال : أستغفر الله ، ما تنبهت لهذا ، ولن تراني مؤذيك بعدها أبدا .

ولما كان الامام يتعلم في القابل ارسله المشايخ إلى بديه ، ليصلح بين فريقين اختصما .

وكان على رأس أحد الفريقين المشايخ : عامر بن سعيد وهلال بن سعيد الحجريان . فشرع الإمام في الصلح . وكان هلال حاضرا ، فطلب منه أن يتنازل لخصمه في بغض الأمور ، فما رضي .

ثم حضر عامر أخوه ، فطلب منه الامام ما طلبه من قبل .

فقال عامر : يقصدكم ولد الخليل بن شاذان ، فيسألكم في شيء فتردونه ! يتم كل ماتريد ولو تقطع الرءوس .

فشكره الإمام على ذلك وقال :

تطلب الحاجات من أهلها . أما من يكيل بالمكيال ، و يزن بالميزان فلا تطلب منه الحاجات .

يشير بهذا القول إلى هلال أنه تاجر . (اهـ) .

• • •

ومن مرويات القاضي حمود بن عبد الله الراشدي:

عن الامام الخليلي ــ رحمه الله ــ قال : دخلنا عليه نودعه ونحن آنذاك أولاد صغار ، فتناول صحنا فيه رطب بنفسه ، وجعل يتخير لنا منه ، و يناولنا ونحن نأكل ، و يقول : كلوا ، فلعلكم تجدون بلادكم لم يدرك فيها الرطب بعد .

وزرناه مرة في حجرته

وهو مريض ، وقد نام على فراش لا ينام على أمثاله إلا الفقراء المنقطعون ، فجيء إليه بحليب ، فطلب له سكرا .

فقيل له : ليس في البيت سكر منذ ثلاثة أيام .

قال : لا بأس عسل النحل في الحليب أطيب من السكر ، فتناول بقية عسل كان عنده ، فصب الحليب عليه وشربناه .

قلت : وهذا مثل للحكام . أيكون بيت مثله فارغا من الشيء الضروري ثلاثة أيام ؟!

ولما عزل الشيخ القاضي

سعود بن حميد عن القضاء في المضيبي : جعله الشيخ عيسى مدرسا ، وجعل له كل سنة أربعين قرشا ، و بهاري بسر

من الزكاة ــ البهار الواحد عبارة عن ثمانمائة كيلوـ وارتفعت قيمة البسر في سنة من السنين ، فأراد الشيخ أن يعطيه أقل مما كان يعطيه . فاشتكى به مع الإمام .

فقال الإمام : يا سعود : الشيخ عيسى أبوكم ، والمحسن إليكم فينبغي أن توقروه ، وترجعوا إلى مايقول .

قال سعود : بل هو سيدنا ومرجعنا . لكن هذه حقوق لابد منها .

فالتفت الإمام إلى الشيخ وقال : المسلمون على شروطهم .

فقال الشيخ : سمعا وطاعة .

وباع ناقة على رجل

فخرج الرجل ليحضر الدراهم ، فنسي الإمام أنه باعها عليه ، فباعها على آخرين نحروها . فجاء المشتري الأول ، فجلس أمام الإمام فقال : أنا أشتكي إليك منك .

فقال : اشتك عند القاضي ، وقام من مجلسه ، وجلس بجنب خصمه أمام القاضي ، وقدم الرجل الدعوى .

فقال الإمام : أنا نسيت البيع ، وما علي شرعا أؤديه .

ثم صولح الرجل على عشرة قروش يدفعها الإمام له .

قال الإمام للرجل : هل رضيت ؟

قال : نعم ، فأعطاه العشرة .

وأرسل اثنين من أصحابه في مهمة

فلما كانا في أثناء الطريق تشاجرا وهجم كل واحد منهما على صاحبه يريد قتله ، فحجز بينهما ، فلما بلغ الإمام الخبر قال : « إن تمر الفرض له تأثير على رؤوس آكليه » .

وكان من عادته

بعد صلاة السحر في رمضان ، يقعد يحدث الناس في أمور دينهم .

قال القاضي : فسألته عن صفة الجنتين في قوله تعالى : « ولمن خاف مقام ربه جنتان » .

قال يا ولدي : مادخلتهما حتى أصفهما لك ، ولعلك تريد معنى الآية . .

قلت : نعم

فأقبل يفسرها . .

قلت : ومثل هذا الجواب ، ما أجاب به محمد بن سعيد العوضي ، وقد سأله في يوم شديد الحر ، هل هذا الحر أشد أم حر جهنم ؟

فقال الإمام : أعوذ بالله مادخلتها ، حتى أميز لك ذلك ، ولكن الله يقول : « قل نار جهنم أشد حرا لوكانوا يفقهون » .

وقد ابتلى آخر أيامه

بسلس البول ، فكان إذا أدركه ذلك يستخلف واحدا من خلفه ، فاستخلف يوما واحدا من المتعلمين في صلاة العشاء وكان هذا المتعلم مسافرا ، فصلى ركعتين .

ولما رجع الإمام ، قال : ما فعلتم ؟

فأخبرناه ، فأبطل صلاتنا ، وصلى بنا أربعا في جماعة .

وكان سلوم السيابي :

قاطع طرق ، يؤذي الناس إلا إذا أعطى من بيت المال مايكفيه ، فجاء يوما إلى الإمام للعطاء ، فأعطاه

قـلـيـلا ، فـراجـع في الـزيـادة . فـقـال الإمـام : «سر في شغلك» .

وكـانـت هذه الألفاظ كثيرا مايستعملها الإمام إذا كان مشغول القلب .

فقال سلوم : تأمرني أيها الإمام أن أسير في شغلي ؟

فتنبه له الإمام ، فأمر له بزيادة .

قـلـت : وأخـيـرا أمـر عـلـيه الإمام أن يقتل ، فقتل غيلة ، واستراحت الأرض منه . (ا هـ) .

وكان رجل من أهل « عقر نزوى » .

مـشـغوفا بالغناء والرزفة ، فكان يخلق لذلك أسبابا ، إذا جاء الليـل يحـرق على الـنـاس خـيامهم ، وزروعهم حتى يرى الـنـاس الحـريـق ، فـيـهبون لإطفائه ، فإذا فرغوا قاموا بالغناء ، وكـأنـهـم أنـجزوا عـمـلا يـستوجب إظهار النصر ، فطلبه الإمام لـيـعـاقـبه . فقال له بعض القضاة الحاضرين : قر .. قر .. قر .. معناه : اعترف .

فـغـضـب الامـام ، وأمر له بالسجن ، ثم أقبل على ذلك القاضي .

وقـال لـه : « هـل تـعرف إلا : قر .. قر .. قر : أتدري مـاذا عليه لو أقر ؟ كان عليه حد المحارب . تقطع يده ورجله من خلاف ؟ والحدود تدرأ بالشبهات . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تب واستر نفسك » .

وجاءه يوما

ولـد من أبناء اليعاربة ، وهو في سن العاشرة يسأله شيئا من العطاء ، فقال له الإمام : « سر في شغلك » .

فقال الولد : « ارفع رأسك أيها الإمام وانظر » وأشار الى القلعة معناه : أن آباءه بنوا هذه القلعة ، ففطن له الامام ، وضحك ، وأعطاه .

ورأى خنجرا على بعض المتعلمين ، وفيها بعض الذهب ، فأخذها منه وقبض سكينا ، وجعل ينقف ذلك الذهب بيده ، حتى لم يبق منه شيء .

وتقايض اثنان على خنجر صح على واحد منهما الزيادة ، ولم تحضره وافترقا ، فأبطل الإمام القياض ؛ لأن الخنجر فضة والزيادة قروش ، وهي فضة أيضا .

وكتب له المتعلمون برسالة آخرها « من كافة المتعلمون » .

فأجابهم : « أصلحوا من ألسنتكم واكتبوا من كافة المتعلمين » .

وكتب إليه بعض القضاة

يشتكي إليه سوء الحال ، فكتب إليه :

شكا إلي جملي طول السرى صبرا جميلا فكلانا مبتلى

وكتب إليه بعض المشايخ

يطلب الاجتماع به ، وقال في كتابه :

« رأيتك وقت الصباح فارغا »

فكتب إليه :

إن ترى جسمي بحالي ساكنا فلعمري إن قلبي في اضطراب

وكتب إليه بعض الناس ، ينم على رجل هو عند الإمام في ثقة .

فكتب إليه : « **وكل اغتياب جهد من ماله جهد** » .

قلت : وكثيرا ما يستعمل هذه الطريقة . فكان يجيب إما ببيت شعر أو بآية قرآنية ، أو بحديث نبوي ، أو بقصة ، أو مثل سائر ، ولا يعلق عليهن بشيء .

وتخاصم إليه القاضي :

سالم بن حمد البراشدي ، و بعض الجماعة من سناو ، واجتمع بهم في قلعة نزوى ، فكثر اللغط والضرب بالعصي في الأرض .

فقال الإمام : « اسمعوا مني قصة : نزل بعض البدو على رجل من أهالي محرم ؛ فقام ليكرمهم ، فقال له بعضهم :

هؤلاء الضيوف شيوخ ، يستحقون الإكرام التام .

فقال الرجل له : هل تعرف هذ البلد ؟ هذه محرم : تغرب فيها الشمس وقت العصر . معناه : أنها حصينة ، لا يستطيع أحد أن يتجبر على أهلها ، فإذا أردتم أن تتجبروا على الناس فعليكم بالواشحي ، ولا مجال هنا للتسلط .

قلت : الواشحي بلد من أعمال المضيبي ، كانت مستعمرة بدوية . (اهـ) .

يعني لهم الإمام بهذه القصة :

« انكم الآن أنتم في قلعة نزوى لا مجال لكم في قضاء رغباتكم من بعضكم البعض . هذا لو كنتم في بلدكم ، تتصرفون كيف شئتم . أما هنا فلا » .

قلت : ومثل هذه القصة وقعت عند شيخ من شيوخ بني بطاش وقد أناخ عليه أهل وهيبة ، فلحقه واحد منهم ، يقول له :

هؤلاء شيوخ يستحقون الذباح والإكرام ، فلا تقصر فيهم .

فقال له ذلك الشيخ : اتبعني : فأراه الذبائح معلقة .

قال له : أتراها ؟.

قال : نعم .

قال : كنت ذبحتها لكم ، والآن حرمكم الله إياها . لا أسمح لكم بالمقام في هذا البلد ، ولو لشربة ماء ، فإن بقيتم فلستم بالذمة ، فارتحلوا من حينهم .(اهـ) .

وتخاصم إليه مرة أهل العلاية والسفالة من بهلا ، وكان في تلك الأيام اشتداد المحل ، وحين يكون المحل في عمان تشتد الخصومات بين الجيران ، فأحضرهم الإمام في نزوى ، وكثر كذلك اللغط ، فقال الإمام : اسمعوا : « إذا خصبت الهند يسرنا نحن في عمان » .

قالوا : وما علاقتنا بذلك ؟

قال : تكثر فيها الخيرات ، فيتسابق أهلها إلى بيع محصولاتهم فتصلنا رخيصة ، فكيف في بلدنا إذا كثر الخير فيها ؟ لا يحتاج الواحد منا أن يذهب الى بلد آخر ، وسيحصل على مايريد من بلاده ، فاسألوا الله الخير للجميع ، فحيثما وقع نفع . وإياكم والتحاسد ، فاصطلح القوم .

وكان يحدث عن الإمام سالم فيقول : كان الإمام سالم كثير العبادة : يصلي الضحى ، و يقوم الليل ، و يصوم النوافل .. أتدرون لماذا ؟

قالوا : لا ندري .

قال : لأن عنده من يشد عضده ، وقد وجد بعض من يكفيه أمور الدولة ، فتفرّغ بعض الشيء للعبادة .

يشير ـ رحمه الله ـ إلى أنا نحن لم نجد من الاخوان من وجدهم الإمام سالم ، واستعان بهم .

واعترف عنده مرة رجل بقتل رجل ،

فقال للشيخ الرقيشي : احكم عليه .

فحكم الشيخ بقتله حدا .

فبقى الإمام يتململ و يفكر وقتا طو يلا ، ثم أمر بتنفيذ الحكم .

قال القاضي : فسألت الشيخ سفيان بن محمد : لأي شيء فعل الإمام ذلك ؟

قال : لهول قتل النفس : كان يتفكر في الحكم ، و يلتمس صوابه حتى إذا وجده أمر بتنفيذه .

وكان في العادة إذا أراد قتل إنسان أمر بتتو يبه قبل أن يقتل ، فنسوا هذا الرجل في هذه المرة ، وقاموا يتلاومون بعد ذلك .

وسأل عن الشيخ : سالم بن حمد البراشدي بعد موته :

هل يرى على قبره نور ؟ قيل : نعم

أولا « شك القاضي »

قال : يعد الناس النور كرامة ، والكرامة الموت على الاستقامة . والشيخ سالم ممن مات عليها ، **هذا الشيخ عيسى اشتد عند موته ، وليس الأمر كما يعتقد العوام ، إن الشدة عند الاحتضار قرينة على سوء الخاتمة ـ والعياذ بالله ـ . بل**

كم منافق يسهل عليه الموت حتى يخرج من الدنيا ، وليس عنده شيء من الحسنات ، وربما يشتد على المؤمن ليمحص له بقايا ذنوبه ، فيخرج من الدنيا ولا ذنب له .

وتخاصم الحرث والمساكرة في فلج للحرث ، يمر في حرم المساكرة . فاعترض المساكرة على الحرث في تصليح فلجهم ، ونقله من مكانه الأول ، فحضر الإمام بينهما ، وطلب التفويض منهما على أن يختار للفلج مجرى ، ففوضوه ، وبالفعل فقد اختار المكان ، فرضي به الكل .

ومن توفيق الله له أن وجدوا تحت الأرض في هذا المكان ساقية للفلج قديمة ، فكان ذلك دليلا على إخلاصه ، ورشداً للمتخاصمين في تفويضه ، وفي هذه المرة صلى بهم صلاة الاستسقاء ، وحثهم على الصدقة ، فما غربت شمس ذلك اليوم حتى سالت الأودية .

ووجدت حكما صدر في هذا الفلج في زمان الامام ناصر بن مرشد اليعربي . هذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

قد وقع الحكم الصحيح ، وفصل الخطاب الصريح بين مشايخ الحرث من قرية إبرا ، وبين مشايخ المساكرة من قرية إبرا في فلج بومنخرين من قرية إبرا .

وكانت بينهم دعاوى ومنازعات .

وقد وقع الحكم منا لهم :

أن ليس لأهل السفالة أن يخدموه زيادة عما كان في الوادي بين النخل مصعدا ؛ لأن الأودية لله ليس لأحد أن يحدث فيها حدثا لا نهاية لمائه إذا أنزله من سمائه . لا يكبس

ماحفرت ، ولا يحفر ماكبست ، ورأيت ذلك أسلم في أمر الدين ، وكل شيء على ماكان .

وفي أمر الدنيا : رأيتهم متشاجرين ، وللفتنة متأهبين ، فتركنا الزيادة خوفا من هذه الارادة : فرضِيَ الفريقان بذلك ، ورجعوا عن منهاج المهالك ، وحكمنا بينهم . وأما الساعد المغرب الذي قد خرج من الاملاك فلهم خدمته من وراء الأملاك ما أرادوا .

وأما الساعد النعشي : فحكمنا به كما وجدناه لايزاد على ذلك أبدا ، وجعلنا له ثلاثة أحجار عظام جواميد له عند منتهاه وهن في الأرض عند خدمته ، ولو كبسه سيل لم يخدموه إلا إلى هذه الأحجار الثلاثة ، وأعلى هذه الأحجار نخلة مطرحى ، يدعيها عبدالله بن جمعه المسكري في وسط الوادي ، وهذا الساعد منتهاه أسفل منها : بينه و بينها ثمانية أذرع ومائة ذراع من حد ري هذه النخلة إلى منتهى هذا الساعد ، فلا لأهل السفالة أن يزيدوا أشياء في خدمة هذا الساعد ، ولا لهم أن يدخلوا في هذا الذرع المذكور بين النخلة والفلج والساعد مقابل النخلة من سهيل : لا شرقيا عنها ، ولا غربيا ، والله أعلم .

فهذا بما حكمنا به في هذا الفلج ، وذلك بمحضر من والي الإمام القائم بأمور الاسلام المجاهد المجتهد الزاهد : **حمد بن مسعود بن راشد السعالي النزوي ، وبمحضر الشيخ العالم الثقة : الوالي بلعرب بن مانع بن علي بن محمد بن اسماعيل النزوي ، وشهد بذلك ، كثير ممن حضر ، وكفى بالله شهيدا .**

وكان هذا الحكم ضحى الخميس لعشر ليال بقين من

شهر ذي القعدة من شهور سنة خمس سنين وأربعين سنة وألف سنة وكتبه وصح معه العبد الأقل لله ، والى الإمام :

عبد الله بن محمد بن غسان بن محمد بن غسان :

بيده

ووقعت فتنة في الخضراء قتل فيها رجل ،

فقام الشيخ : سيف بن أحمد بن حامد الراشدي ؛ ليصلح بينهم ، وكان القاتلون ينتمون إليه بالصهر ، فأصلح بينهم بدفع أربعمائة قرش ، فرضوا .

ثم قال لهم : اذهبوا إلى الإمام فأخبروه : أنكم رضيتم بهذا الصلح .

فضحك الإمام : وقال لسيف : هؤلاء المساكين لا يعرفون مكرك . لا يتم هذا الصلح ، لأن في الأولياء يتيما فمن يصالح عنه ؟

بل يدفعون الدية كاملة ، ولا نقول بالقود ، لأنها ثائرة .

وكان من عادته ــ رحمه الله ــ

إذا أراد أن يكبر تكبيرة الاحرام . التفت إلى من خلفه ، فإذا رأى بعض شيوخ القبائل تولى سترة الإمام .

قال له : تأخر ، ليتقدم المتعلمون ، أنتم تقدمون في المجالس ، وفي أخذ الفنجان الأول ، أما الصلاة فليتقدم فيها المتعلمون .

وكان يحدث مرة عن الشيخ عيسى ، وشدته في الدين .

فيقول : كنت يوما في مسجد القابل ، فسألني المؤذن :

هل تظن أنه فجر ؟ فرأيت أنا ضوء القمر فظننته فجرا .

قلت : نعم .

فأذن المؤذن ، وجاء الشيخ عيسى بعد ما سمع الأذان مسرعا ، فقال للمؤذن : أرني الفجر الذي أذنت عليه .

قال المؤذن : ــ وأراد التخلص منه ــ أمرني محمد بالأذان .

قال الشيخ : أين محمد ؟ ليحلف يمينا بالله أنه رأى الفجر .

فقلت : أنا ظننت ذلك ، غرني ضوء القمر ، ولا داعي أيها الشيخ إلى اليمين .

● ● ●

وكان مع فقهه طبيبا يصف لأهل الصداع ، وهو أن يحلق المصاب بالصداع رأسه ، و يضع عليه «الحنا» ؛ لأن في الحنا سرا يفتح منافذ الرأس ، والصداع يقع من الانسداد

و يصف للصداع أيضا « الكي بالنار في وسط الرأس » .

و يصف للرعاف لمن به رعاف لا ينقطع عنه ، بأن يشم المصاب (بعرة حمار) فينقطع عنه الدم .

و يصف للرمد : بعرة حمار أيضا رطبة تغسل من الأوساخ الخارجية ، وتعصر تلك البعرة في عين المرمود ، يذهب عنه السهر .

و يصف لمن به حرارة في جسمه ، تسبب له الحمى أن ينقع الليمون اليابس من المغرب إلى الصبح ، ثم يشرب الماء على الريق ثلاثة أيام متوالية .

قلت : جربناه فنفع .. جزاه الله خيرا .

وممّا حفظ من كتب الإمام ـ رحمه الله ـ

كتابه لبني خروص أهل ستال .

يقول فيه : سلام عليكم . أما بعد :

فكتابكم وصلني ، وفهمته ، وأقول :

إنها اجتمعت أقوال العلماء على أن الحكم ماض ، ورده باطل ، ونعلم أن إبراهيم « يعني بإبراهيم : الشيخ ابراهيم بن سعيد العبري » . رجل لا يسلم الأمر ، إلا أنه ليس يسع المسلمين بيع دينهم لرضى ابراهيم ولا لغيره . أنتم تنظرون في أمر الدنيا ، وغيركم يخاف الضياع في أمر الدين .

●●●

وكتابه أيضا

لبني هميم أهل العين .

يقول فيه : سلام عليكم . أما بعد :

فقد عمدنا الشيخ : سيف بن حمد : للأحكام في مالكم وفي ماعليكم . واعلموا أن الشيخ : محمد بن سالم أخبرنا أن حكمه الذي حكم به على : أحمد بن حامد : من منع البناء فوق ماقرره ، إنما أراد به كف الفتنة فيما بينهم والشحناء . وحكمه ماض ، إلا أن أردتم أنتم تهييج الفتنة ، وتداخلتم في بني هشام : فأحمد سيبني ، ولا يمنع ليحمي داره وفلجه ، فإنما بينه و بين بني هشام أحوالا غير مخفية .

والذي لأحمد لا يصح أن يمنع منه ، والحق ميزان ، والنظر إليكم .

قلت : وهذا القول يرجع أصله إلى حديث شراج الحرة حين اختصم الزبير وجاره . والحديث رواه الربيع — رحمه الله — .

• • •

وكتابه أيضا

للشيخ عيسى بن صالح ، يقول فيه :

هنا مسألة :

وفي مساطيح : يسطح الناس فيه تمرهم و بسرهم ،

هل يكون ذلك حوز ؟ و يكون كالإحياء للأرض الموات أم لا ؟

نرجو الجواب .

الجواب : وعليك السلام ورحمة الله و بركاته . من

عيسى :

قال القطب : وإنما تملك الأرض الموات بسقيها وإحاطتها وإزالة مايضر الحرث أو الغرس منها ، أو حرثها أو بذرها أو تسويتها أو نحو ذلك .

انتهى .

ونحب من اتخذ موضعا مباحا مسطاحا لبسره وتمره أنه يكون أولى به من غيره . والله أعلم .

● ● ●

وكتابه أيضا

لبني خروص ، وبني خزير ، والغشور .

يقول فيه : سلام عليكم ورحمة الله .

كتابكم وصلني ، وذكرتم مادة ابن محصين أنه يأتي بجماعته في منزله :

هم رجال ، وأنتم رجال ، وليس هم أحرص على الموت منكم ، إلا أن كانوا أشجع منكم ، وإذا أتى ولد محصين : يؤخذون هم بما جنوه ، والسلام .

وأما منعهم عن السكون بغير حجة شرعية لا نراه ،

وقولكم نحاذر منهم : الذي يحاذر يتحذر . والسلام .

● ● ●

وكتابه أيضا

للشيخ محمد بن شامس البطاشي يقول فيه :

سلام عليك ورحمة الله .. وبعد :

فإنه بلغتنا أمور مابين أناس بالسيّب : يتعصب السيابيون لفريق ، وأهل الخوض لفريق .

وهذا أمر : نراه لا يحسن ولا يمكن . وعليكم أن تثوروا وتمنعوا التعصب بين هؤلاء القبائل ، والذي لا ينكف قوموا عليه أو عرفوني ، فإنه يلزم المسلمين قتال كل من لم يكفه الحق . و يصر على الباطل ، لا يبالون ، ولا تأخذهم في الله لومة لائم ، والله ناصرهم لا محالة إن نصروه ، وعده حق ، وقوله صدق . قال الله تعالى :

« إن تنصروا الله ينصركم » .(١)

« وما النصر إلا من عند الله » .(٢)

وكتابه أيضا

له ، يقول فيه : وبعد

فهؤلاء الأولاد عبد الله بن محمد ، وعزيز بن سيف : عمدتهم لجباية الديار التي هناك ، والقصد شد العضد ، فشد عضدهم بالكتابة والقول ، والديار التي لم نذكرها فاذكرها أنت ، وكتابك وصلني ، وأقول :

يا محمد بالعدل قامت السموات والأرض ، و بالجد والاجتهاد والإخلاص ترقى سلفكم ، فإن سرتم سيرهم بلغ بكم مابلغوا ، و ينبغي التنافس في الخير ، وأن يكون كل عامل مقبلا إلى شأنه ، و بعهدي فيك من الفطانة مالا مزيد عليه ، وإنما أحاذر من العمال إن نظروا بعضهم إلى بعض ، وأن يقتدي بعضهم ببعض ، وإن سلكوا مسلكا فيه عجز أو قصور أو تقصير ، فهذا هو الداء الأعظم .

● ● ●

---

(١) سورة القتال ٧ .

(٢) سورة الأنفال ١٠ .

وكتابه أيضا إلى

الشيخ سالم بن محمد الحارثي وبعد :

وكتابك وصلني ، وذكرت أنك لا تقبل الأخذ من مال المسجد اقتداء بالشيخ عيسى ـ رضي الله عنه ـ وذكرت أن أشد أمركم بالسعي إلى آخر ماذكرت . أقول ياسالم :

لا يكمل دين المرء حتى يكمل عقله ، ولا يكمل عقله إلا إذا قاس اليوم بالأمس ، كما لا يصح قياس غد لليوم .

انظر إلى حكمة الله عز وجل : تارة ينسخ الأمر إلى أيسر منه ، وتارة إلى أشد منه ، وذلك لمقتضى المصالح والحكمة .

أقول : انْ كنت ترى قيامك بين ظهراني قومك في إعلاء كلمة الحق وتأييد الدين ، فذلك جهاد .

وتعلم من جوابات الشيخ محمد بن يوسف ماقاله في فتوى بعض علماء القوم لسلطان زمانه أنْ يدافع الكافرين أولاً بما يجده من بيت المال ، فإن عجز فالأوقاف ، وإلا قاموا هم ولا يضيع أمر المسلمين .

فما أرى تورعك عن ذلك إلا ضرب شك ووسوسة . ولا خروجك إلا شبيه بالمنهزم من صف المسلمين عند قتال عدوهم .

وقولك إن الشيخ تورعَ : نعم تورعَ عن كثير وهو حلالٌ بَحتُ في حقه كمال المتعلمين .

وتشجع أحيانا كالأخذ من أعطيات السلاطين . وهكذا شأن العلماء ، والنيات هي المصلحة والمفسدة .

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

حرره بيده في ١١ من رجب ١٣٦٩ هـ .

● ● ●

ومن أحكامه ـ رضي الله عنه ـ
ما وجدته بيد أحد الإخوان :

من إمام المسلمين محمد بن عبد الله إلى المشايخ العزاز كافة الجماعة أهل سناو :

سلام عليكم ورحمة الله .. و بعد

فهذا الأخ سالم بن حمد ، عمدته ، وأمرته أن يمضي فيكم أحكام الله عز وجل على القوي والضعيف والوضيع والشريف ، ولم أقصره عن أمر هو بحق ، وعلى مناصرته على ذلك .

واعلموا يا آل براشد ، و يا الرواشد : كونوا يدا واحدة ولا تفرقوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، ولكم خصم ماهو بالسهل فأعدوا له عدة ، وهي التقوى ، كما قال عمر ـ رضي الله عنه ـ فإن الله عز وجل قال : « إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » .

فمن كان مع الله لن يغلب ، وعليكم أخذ الأسباب لذلك وهو الاتحاد والتناصر على الحق ، واعلموا أن السبيع من الفلج ان كان سبق فيه قاعدة لا يعلم باطلها ، فهو كما وجد . وأما الأخذ من سبيع الفلج والاختصاص به فلا يصح ؛ لأنكم كلكم شركاء ، وشريككم فيه الغائب واليتيم ، و بالجملة هذا مرجعه إلى نظر سالم ، هو المبتلى بالأمر هذا .

واستغفر الله العظيم من كل ما خالف الحق ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم .

حرر يوم : ٢٤ شوال سنة ١٣٦٣ هـ .

• • •

وعنه سؤال : في رجل توفي ، وترك أموالا ، ولم يصح قسمها بين الورثة ؛ إلا أن بعض الورثة باع أموالا من هذه التركة ، وتوفي ، و بعضهم باع وقد غاب من المصر ، و بقيت بقية وهي بيد الرجال ، والنساء لم يكن بيدهن شيء ، ثم ماتت امرأة منهن ، وطلب أولادها نصيبها ، وربما أنكره بعض الورثة ؛ أن هذه لا سألت في حقها .

الجواب عن هذا :

أما ما بيع من المال : فذلك قد مضى ، ولا دعوى لأحد ،

وأما الباقي : فهو شركة ، مالم يصح القَسْم فيه .

وإذا ماتت المرأة : فوارثها يقوم مقامها .

ومن لا يرى لها شيئا : عليه أن يأتي ببيان مما يخرج حقها من ذلك المال : إما بيع أو هبة أو صحةُ قسم .

والله أعلم .

• • •

ونلحق بذلك ما طُلب إلينا بيانه من عادة الحَوْزِ بيْن القبائل في عمان الذين بلغنا عنهم أنهم :

يحوزون بين القبائل في عمان ، ويمضي حوزهم ، و يفتنع

به كل من المحوز عليه ، أو المحوز له ـــ هم ثلاثة :

سلطان بن منصور الغفيلي الوهيبي .

ومحمد بن الراشودة الجنيبي .

وسالم بن حمد ولد عليان العويسي .

وهذا في المنطقة الشرقية جعلان .

هؤلاء الثلاثة يتشاورون فيما بينهم فيما حدث من القضايا ، ويشاورون قبائل أخرى إن دعت الحاجة إلى ذلك ، ويتوارثون ذلك ،

ويوجد في القبائل رؤساء ، يسمون شيوخ السنة ، ترجع إليهم جماعتهم ، وتسألهم الحكومة في التعاون معهم على المصالح ودرء المفاسد ، فإن لم يساعدوا يلزمهم الحاكم ، وإن أدى الإلزام إلى السجن سجنوا ، حتى يقوموا بالواجب .

وقد فعل ذلك الأئمة في عمان ، وهذا مما يخفف على الحاكم عبء طلب الجاني ؛ لأن أكثر البدو لا مقر لهم ، ولا يقدر عليهم إن نفروا .

ومن القضايا التي حازوها وعرفنا عنها :

(١) أخذ رجل «هندي» وأهل «هندي» فرقة من وهيبة ـــ أخذ ناقة على الجدالى (فرقة أيضا من وهيبة) .

فلحق الجدالى في الطريق ، ومعهم رجل عامري .

فأرادوا أخذ ناقتهم منه ، فامتنع ، وأطلق عليهم النار فأصابت العامري ، وقتل الجدالى الهندي .

وكان عنده : جحافي وحبسي

فطالب الجحاحيف والحبوس بلوم على الجدالى ، فأنكروا قتل الهندي .

فحاز سلطان بن منصور أن يحلف من الجدالي أربعة عشر رجلا أنهم ماقتلوا الهندي ، فإن حلفوا تكون ديته على الفريقين ، وإن امتنعوا يدفعوا ألف قرش دية القتيل . وأربعمائة قرش لوه الجحافي والحبسي ، فرضي الجميع .

قلت : والشيخ المحتسب **صالح بن علي الحارثي** ، كان يؤيد دفع أربعمائة قرش للقبيلة اللائمة .

• • •

(٢) **وتزوج** رجل امرأة ، فاعترض ابن عمها عليها وقال : انه أحق بها من الأجنبي ، فترافعوا إلى سلطان بن منصور :

فحاز أنه إذا كان منذ بلغت البنت سنة كاملة ، ولم يتقدم بخطبتها ابن عمها ، فليس له حق الاعتراض .

• • •

(٣) **خطب** رجل بنت عمه من أبيها ، فلم يزوجه ، وزوجها لرجل أجنبي ، فاعترض ابن العم عليها ، وترافعوا الى سلطان بن منصور :

فحاز أن على أب البنت أن يدفع بما يساوي نصف الصداق لابن العم من دون أن يؤخذ من صداق البنت شيء ــ هذا إذا كانت البنت راضية بالزواج من الأجنبي ــ .

قلت : وسمعت الشيخ الرقيشي يقول :

جاء رجل الى الشيخ صالح بن علي الحارثي يشتكي من عمه أنه يريد أن يزوج بنته لأجنبي وهو يعترض على ذلك . فقال الشيخ لأب البنت ، كالمتهدد :

الذي عرفناه أن بنت العم يأخذها ابن عمها .

فقال الرجل : لا بأس أزوجه .

وهذه الحكاية يحكيها الشيخ الرقيشي عن الإمام الخليلي يقول :

إن الشيخ صالحا أوهم على الرجل بقوله هذا ، فظنه حكما . وكان مهابا إذا تحدث .

● ● ●

(٤) **وكانوا يحوزون** في الركاب إذا تنازع فريقان في ناقة : يأتي من بيده الناقة بخمسة شهود : أنها بنت ناقته ، أو اشتراها من فلان ، فإنْ عجز الشهود يأتي بهم مدعي الناقة ، وإذا عجز الآخر حلف من بيده الناقة هو وأربعة من جماعته أن الناقة لهم .

فإذا أنكروا : أخذ المدعي ناقته ، وليس للأول فيها حق .

(٥) **ومن حوزهم** إذا مد الرجل يده إلى ناقة زميله ليؤخرها عن السبق « يدفع ثمن طعامها من أول ماضمرت إلى ذلك اليوم » .

(٦) **ومنه** جاء ولد الحسري يزور أهل بوغفيلة .

ولما وصل : أول من لاقاه : مصبح الطويل .

(مالكي)

تزوج منهم ، فاهتم بالغداء لضيفه ، فخصمه أهل بوغفيلة قائلين :

ليس لك ذلك في مكاننا .

فحاجهم .

فحاز ولد الحسري وهو الضيف أنه :

من لاقى الضيف أول ما يصل فهو أحق بالغداء إنْ جاء على غير موعد .

(٧) **عند الجنبه :** إذا مد الرجل يده إلى امرأة بكر ، ولم ترض : يعطها مثل ماتملك .

(٨) **وعند الحراسيس :** إذا مد يده إليها ولم ترض : يعطها بكره .

(٩) **وعند الجميع :** للشعرة من اللحية إذا تعدى عليها متعد ، لها ثمن معلوم .

(١٠) **وعندهم :** إذا كذب رجل لحية رجل فتقله :

لا شيء على القاتل .

هذه نبذة مما اطلعنا عليه من تعارف بينهم ، ويسمون الحكم بذلك حكما بالفرع .

«هنا قصتان ذكرتهما وقد انتهى الكتاب فألحقتهما في غير موضعها والقصد الاستفادة »

كنا في زيارة لبلدان الحبوس وسناو في سنة ١٣٦٦ هـ في صحبة الوالد محمد بن عيسى بن صالح الحارثي وهو أمير الحرث تلك الأيام بعد أبيه ، وكنا اذا جئنا الى بلد تلقانا أهله على حسب العادة في اللقاء من اطلاق البنادق واصطفاف الناس وركض الخيل كل اثنين مع بعض وكنا ذات يوم في (ردة الحبوس) وصرت أنا زميل الأمير وكنت يومئذ ابن عشرين سنة فسبقته فانتقع لونه وقال ماسبقني أحد منذ ركبت الخيل إلا هذا اليوم سبقني هذا الولد فلابد أن تكون هذه نهاية ركوبي . وفي اليوم الثاني جئنا المضيبي وكنت واقفا وراء خيمة خارج البلد

اسمع صوت بلوشية في تلك الخيمة تعالج سكرات الموت فمر هو علىّ فقلت له في هذه الخيمة بلوشية تموت قال (يبوك) (١) مايهمنا موت البلوشية و يهمنا غيرها و يعني نفسه فتراه تشاءم مرتين وكان الامر كما تنبأ لم يمضى بعد رجوعنا إلا شهر أو أقل فاصيب بمرض كان سببا لموته في جمادي الأولى من السنة .

«القصة الثانية ترجع الى كرامات الامام الخليلي رحمه الله»

هذا أمير من امراء عمان استحوذ على زكاة قطره دون الامام فأرسل الامام أمرا الى الجابي أن يعطي بعض الناس شيئا من الزكاة فأعطاه دون استئذان الأمير فلما علم قال لابد أن تغرم مادفعت دون أمري قال الجابي لكنه أمر الامام الذي هو فوق الكل ، قال الامير ـ أمر الامام تحت هذه القدم ـ وضرب برجله على الأرض فورمت رجله المضروب بها حتى صارت كالجراب فما انفلت من تلك القبضة حتى مات بعد أيام قليلة . (أ.هـ)

نبذة من أخبار الشيخ أبي زيد

روى لي القاضي علي بن ناصر المفرجي
هذه الروايات عن الشيخ أبي زيد

وقال : هو عبد الله بن محمد بن رزيق الريامي ـ الازكوي ـ رحمه الله .

هذا الرجل كان فذا في بني جلدته ، فذا في زمانه ، فذا في نصحه ، فذا في أمانته .

(١) ـ يبوك ـ كلمة يستعملها العمانيون معناها بأبيك . أ.هـ

درس على الشيخ نور الدين السالمي ، وأكثر فتاوى الشيخ بخطه وقام عنده في محاولته نصب الإمام ، وصار كأبي طلحة الصحابي ـ رضوان الله عليه ـ عند مشورة الستة الذين استخلفهم عمر بن الخطاب ـ رضوان الله عليه ـ وأمره بضرب أعناقهم بعد ثلاث إن لم يتفقوا على أحد .

كذلك أمر الشيخ نور الدين أبا زيد أن يضرب عنق سالم بن راشد حين أبى قبول الإمامة .

وولاه الإمام قضاء بهلا منذ سنة ١٣٣٤ هـ إلى ١٣٦٤ هـ ، فكانت مدة قضائه ثلاثين سنة : أنجز في هذه الثلاثين المنجزات الضخمة التي لم تنجز قبله ، وما أنجزت بعده .

فمن منجزاته فيها المهمة :

قيامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتطهير البلاد من الفساد .

وقد جعل لكل محلة في بهلا رشيدا : سائلا ومسئولا بينه و بين أهل المحلة ، بعدما جمعهم ، وخطب فيهم :

« إن الواجب عليكم قبل كل شيء شكر الله تعالى على نعمه ، وأن النعمة تدوم بدوام الطاعة لله ولرسوله ، ولولاة الأمور » . فقبلوا ذلك .

وكان يقول للرشيد : اعلم أنه لا فضل لك على أهل محلتك إلا بالتقوى ، وإياك أن ترى لنفسك فضلا عليهم ، وتحرّ الصدق فيما ترفعه إلينا ، فإذا تبين منك غير ذلك فلست على نفسك بأمين ، ولا يستطيع أحد أن يتخلف عن صلاة الجماعة .

و بعد إصلاح نفسه و إصلاح العباد : قام لإصلاح البلاد .

وكان قد قسم أوقاته كما يلي :

يصلي الصبح ، ولا يخرج من المسجد إلا بعد طلوع الشمس : يقرأ القرآن .

ثم يدخل بيته لشئونه الخاصة ،

ثم يخرج إلى مجلس العلم ، فيعلم الناس أمور دينهم .

ثم يعود إلى البيت قليلا ،

ثم يخرج لقضاء حوائج الناس وفي يده : سيف وقلم وقرطاس ، فيبحث أولا عن العسكر ، ومن قام بمهمته ومن لم يقم ، و يعاقب من لم يقم ، وكان لا يفوته ذلك منهم ، يجس عليهم في الليل وهم لا يعلمون .

ثم يخرج فيطوف البلاد لعله يرى منكرا فيغيره ، أو معروفا فيأمر به ، ولم يدَعْ للنوم إلا القسط اليسير .

« كانوا قليلا من الليل ما يهجعون » .[(١)]

وكان على بهلا سور يحميها عن الذي يضرها ، وقد ظهر فيها بعض الخراب لطول الزمان ، فأصلحه كله ، وجعله جديداً .

وكان هذا السور يحتوي على ثلاثمائة وستين برجا ، وليس له إلا ثلاثة مداخل فقط ، وأنفق على إصلاحه سبعين ألف قرش ، وأصلح الأموال ، وغرس النخيل ، وخدم الأفلاج والآبار ، وأنفق عليها مايزيد على مائة ألف قرش .

والذي يلفت النظر ، و يستغرب منه ، من أين يأتي بهذه المبالغ ، والدخل قليل بالنسبة لهذا الإنفاق ؟.

وأقام الإمام الخليلي في بهلا في مرة من المرات أربعة

---

(١) سورة الذاريات ١٧ .

وعشرين يوما ، والشيخ ينفق على الجيش : يخرج في كل صباح ألف قرش يضعه بين يدي الإمام ، فيصرفه الإمام في المهمات اليومية

قلت : ولو وضع بين يديه مائة ألف ، لا أظنها تبقى . (ا هـ) .

فكان يعطي من له أربعة قروش ونصف خمسة قروش ، ولا يلتفت إلى الكسور ، فلاحظ الشيخ منه ذلك ، فجاءه في اليوم الثاني مع كيس القروش بكيس (بيس) .

وقال للإمام : هذه البيس تسهيل للعطاء ، فأعط الناس حقوقهم بلا زيادة .

وكان يوزع الحطب بنفسه على الجيش : يعطي كلا حاجته من الحطب ، والحطب هو ماجمع من نخيل بيت المال ، لأن له مخزنا خاصا ، وحافظا خاصا .

وكان لا يحافظ على الذي يخص الدولة فحسب ، بل يحافظ على أموال الرعية أيضا ، فإذا رأى أحدا مهملا لماله : عاقبه حتى يحفظه وكذلك من لم يعمر ماله : ألزمه عمرانه ، وإن ادعى أنه لا يستطيع : أقرضه مبلغا لعمارته ، ويأخذه منه أقساطا لا تكلفه ، حتى ازدهرت البلاد ، وعمرت .

وإذا رأى رجلا عاطلا عن العمل ، جعل له عملا في بيت المال ، ويقرض الفقراء ، ويعطيهم نخيلا من بيت المال بقيمتها : يأخذها عليهم أقساطا ، أويسقطها من أجرة عملهم ، حتى الأطفال : جعل لهم أعمالا : بأن جعل خرجا لمن يقتل الحشرات والزنابير والعصافير والفئران وكل

مايؤذي الانسان في جسمه أو ماله ، وقدر من أتى بشيء من هذه المؤذيات فله من المبلغ كذا ، فاشتغل الأطفال والنساء في وقت الفراغ ، فحصلت لهم مصلحتان .

والمهم أنه جعل البلاد كلها حركة ، ونفى عن أهلها البطالة ، وبنفسه لا يعرف الراحة « والناس على دين الملك » .

فكم كان بين زمانه هذا ، وزمان ناصر بن حميد ومشيره ابن شيخة المحروقي الذي سبق ذكرهما في ضمن هذه المذكرات . (اهـ) .

• • •

وإذا اشتكى إليه من يجني الرطب أن الدبيان منعته ، أعطاه قرطاسة فيها شيء من الكتابة لا تعرف ماهي ، فيحملها معه ، فلا تقربه المؤذيات .

وسبب ذلك : أن الذين يجنون الرطب في السابق إذا آذتهم الدبيان حملوا معهم نارا يطردونها بها .

وذات يوم ، وقد فعل أحدهم ذلك : أكلت النار الحبل الذي اعتمد عليه ، وهو لا يدري فسقط ، فكان من ذلك اليوم منع أن يحمل أحد نارا .

ومن قتل فأرا بتفق فله كذا ، ومن قتله بغير تفق فله كذا ــ أقل من الأول ــ .

فقتل أحد فأرا بغير تفق ، وادعى أنه قتله بتفق ، ليأخذ أكثر ، فتفقد الشيخ في الفأر ، فرأى أنه مقتول بغير تفق . إلا أن صاحبه خرقه لما مات بعود ، فأنكر عليه ذلك ، فاعترف .

فقال له : اتق الله ، ولا تتعود الكذب فإنه يمحق البركة .

● ● ●

وادخر كل شيء للمسلمين ، ولم يحتقر شيئا ، ورتب ذلك ترتيبا بديعا ، وجعل لكل شيء مخزنا وحافظا ، حتى : الليف والكرب : وما يحتاج إلى صنعه جعل له صانعا ، وذلك لمعنيين :

منفعة الناس عن البطالة ، وادخار ذلك الشيء للحاجة .

● ● ●

وجمع أموال المساجد كلها ، وانفق على عمارتها ، وعمارة أموالها وكلائها من المجموع ، وقال : كلها بيوت الله ، لا يختص مسجد بمال دون مسجد ، وجعل المساجد كلها عامرة بالبناء ، عامرة بالمصلين ، وكذلك أموال الأفلاج ، إلا أنه جعل لكل فلج مايخصه بخلاف المساجد .

وقد وفقه الله للوقوف على كل شيء ، وللانتباه لغوامض الأمور ، فلم يترك مصلحة إلا فعلها ــ ولو حقيرة ــ .

ولم يترك مفسدة إلا دفعها ــ ولو صغيرة ــ .

و يتحرى المصالح فيقوم بها ، فتظهر للناس من دون أن يتوقعها أحد أو تجول في ذهن أحد ، و يتولى بنفسه كتابة الداخل والخارج من دفاتر الوكلاء ، و يقبضها ويخرجها بيده .

● ● ●

ورأى يوما الماء من الفلج يفيض في أرض خالية ، فقال :

هذه إضاعة مال ، فأمر أن يغرس في هذه الأرض الموز ؛ لأنه لا يحتاج إلى عناء ، فانتشأ بقدرة الله شيء كثير ، وكل عليه رجلا يراقبه ، و يبيع الثمره ، فجاء الوكيل يوما فوجد عذقا مسروقا ، وتفقد في القطع ، فوجد في مكانه قطعة كالقلم ؛ لأن القطع غير مستو ، فحمل تلك القطعة معه إلى السوق ، فوجد العذق ينادى عليه ، فوضع القطعة في مكانها فاستوت ، فهرب اللص من بهلا ، ثم من عمان ، وعاش في زنجبار ، ولم يعد إلا بعد موت الشيخ .

• • •

وقد ابتدأ في تعمير سفالة بهلا قبل علايتها ، فوقع في نفوس أهل العلاية من ذلك شيء ، فأرسلوا مندوبا إلى الشيخ يعاتبه في ذلك ، وكان ذلك المندوب حكيما .

فقال للشيخ : يقول لك أهل العلاية « حول باب الحصن عن هذا القبيل » .

وكان باب الحصن مقابل السفالة ، ففهم الشيخ القصد .

فقال : معناكم أني عمرت السفالة قبل العلاية ؛ لأن الباب مقابلها . أنا عارف بالجانبين ، لكن السفالة أضر، فلذلك بدأت بها ، وسوف ــ إن شاء الله ــ يوفقني الله فأقوم بتعمير العلاية كما ينبغي .

ثم وفى بما وعد ، وجعل بهلا كلها بستانا واحدا ــ جزاه الله خيرا ــ .

• • •

ونظر يوما إلى دخان كثيف يتصاعد ، فسأل ، فقيل له : إن أهل البلد ضاقت أموالهم من فضلات الزرع والنخيل ، ولم يجدوا عمالا ينقلونها عنهم ، فأحرقوها ، فأصدر منعا بذلك .

وقال : هذه نعمة لا ينبغي أن تحرق ، وأمر عمالا يحملونها من الأموال ، ويخزنونها علفا للدواب ، ووقودا للطعام إذا دعت الحاجة إليها .

● ● ●

وهمّ أناس باغتياله فرصدوا له في مكان تعود أن يمر فيه ليلا ، وكمنوا له يحرض بعضهم بعضا على الحّزم وعدم تفويت الفرصة .

فلما جاء الشيخ ومر عليهم لم يرهم ، ولكنهم انخلعت قلوبهم وسقطت التفاق من أيديهم في الأرض .

تحدثوا بأنفسهم عن ذلك بعد أيام ، قالوا : لما ظهر الشيخ وأمكنت منه الفرصة :

ضعفت منا الهمة ، ولم نستطع قبض التفاق .

● ● ●

وكانت له اليد الطولى في الطب .

يكتب شيئا من القرآن للمريض فيبرأ بإذن الله ، وانتفع به خلق كثير .

وكان رجل من الباطنة يأتي في كل شهر برسائل كثيرة ، يسأل الشيخ فيها عن أمراض ، ويطلب منه العلاج ، ويستأجر كل رسالة بقرش ، فيجتمع له في كل مرة ليس أقل من مائة رسالة .

فقيل للشيخ هذا يستأجر الرسائل .

قال : لا بأس عليه ، يأتي من مكان بعيد .

أليس يستحق عناء على ذلك ؟

ولو جاء صاحب الرسالة بنفسه لأنفق أكثر من ذلك .

فهذا الرجل حلال له ما يأخذه .

فخجل هذا الذي أخبر الشيخ ، ولعله كان حاسدا لذلك الرسول .

وهكذا كأن شأن الحسود ، يبوء دائما بالخسران .

● ● ●

وجملة مابنى من المخازن قدر خمسة عشر مخزنا ، لكل نوع مخزن : القروش ، والسلاح ، والأغذية على اختلاف أنواعها والأثواب ، والحطب للوقود ولصنع البارود ، وللعلف . وبنى مساجد للعسكر ، وسجونا للرجال وللنساء .

ورمم حصن جبرين ، وأنفق عليه أموالا جزيلة ، وأقام بنفسه فيها أياما ، يقسم أوقاته بين العبادة والخدمة ، وكان يخرج خارج البلد ، وإذا عاد لم يعد فارغا ، بل يعود بحزمة حطب ، ومن معه كذلك ، وربما خرج معه ولده الصغير ، فيأمره بحمل وعاء للحطب الصغير ، الذي لا يلتف ، حتى لا يرجع الولد فارغا .

وفي أثناء قيامه بجبرين ، وقعت أمطار كثيرة قطعت السبل ، وبلغه أن المخزن الذي فيه القروش في بهلا سقط سقفه ، فلم يستطع الذهاب ، وأرسل عنه أمينا :

يقول له : اتخذ لخدمة هذا المخزن ، وإعادة سقفه ، عمالا صما بكما عميا ، وكان هذا الأمين ألمعيا ، فطن لما أراد ،

فانتخب عمالا يثق فيهم ، من جملتهم الشيخ القاضي صاحب الرواية .

فأخبرهم بما اشترط به عليه الشيخ .

ففهمها القاضي ، وقال : إن مطلب الشيخ أن يكون العمال صما بكما عميا معنويا لا حسيا ، وإن شاء الله سيجدنا كما أراد .

فأعادوا سقف المخزن ، وأصلحوه كما ينبغي من دون أن يعرفوا شيئا داخل تلك الأوعية الموجودة هناك .

●●●

ولما وقع الغلاء في زمانه ، وصار التموين ، وقدر لكل بلد نصيبها من التموين ، لم يرض هو أن يأخذ شيئا ، فصار يمون الفقراء من أهل بلده بنفسه ، يقدر لهم طعاما كل يوم بقدرها ، وربما فضل من الفقراء شيء فيعطيه للتجار . (اهـ بتصرف) .

●●●

وأخبرني خميس بن سعيد الرواحي :

أن الإمام أرسله في مهمة إلى الظاهرة فمر على الشيخ وسأله زادا ، فأعطاه تمرا .

وفي المساء عاد خميس بأنه وجد حاجته دون الظاهرة .

فسأله عشاء ، فقال : رد التمر ، لأنك لم تستعمله ، وبيت المال لا يحتمل لك نوعين ، فاختر واحدا منهما .

قال خميس : فرددت التمر لأني مضطر إلى العشاء .

●●●

ومن كرامته :

أن توفاه الله في السن التي توفي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والخليفتان الراشدان :

إذ ولد في سنة واحد ثلاثمائة وألف هجرية وتوفي في سنة أربعة وستين ثلاثمائة وألف .

رضي الله عنه وأرضاه ، وكافاه على خدمته بالحسنى وزيادة .

وفي هذه السنة أربعة أربعمائة وألف هجرية :

توفي : ثلاثة نفر ، لو أمكنت الولاية بالحقيقة لاستحقوها ؛ لاستقامتهم ، وسلامة الناس من ألسنتهم وأيديهم وهم :

الشيخ سعود بن عامر بن خميس المالكي : (بديه)

و: سلطان بن حميد بن سعيد الراشدي : (سمد الشان)

و: الربيع بن المر المزروعي بالولاء : (الرستاق)

• • •

بسم الله الرحمن الرحيم

« آلم ★ أحسب آلناسُ أن يُتْرَكُواْ أن يقولواْ ءامنَّا وهم لا يفتنون »★ [سورة العنكبوت]

الحمد لله الذي دبر للناس مصالح أمورهم بعلمه ، وهم لا يعلمون ، والصلاة والسلام على صفوة خلقه ، وموضع خيرته محمد الأمين المأمون ، منقذ الأمة من الضلالة إلى الهدى ، بعد ما كانوا في جاهلية جهلاء ، وفتنة عمياء : يَكْعَسُون(١) صلى الله عليه ، وعلى آله وأصحابه الذابّين عن الحنيفية السمحاء بالسيف البتار ، بلا مبالاة بمن يمرقون ، وعلى أئمة الهدى من بعدهم السالكين طريقتهم الزهراء ، لم تأخذهم في ذات الله عز وجل لومة لائم ، ولا اختداع منافق مفتون ، فرحم الله تلك الأوصال ، وبرد تلك المضاجع ، وأسكنهم فراديس جناته ، بها يتنعمون .

أما بعد :

فهذه نبذة تاريخية تحتوي على ما لاقته عمان في هذه المدة الأخيرة من البلاء والمحن التي لم تر مثلها قط .

لا لكونها لم يتملكها الجبابرة ، ولم تشاهد الجور .

بل أنها رأت شيئا حديثا لم تره من ذي قبل .

وهذه الفترة مابين موت الإمام الخليلي ــ رضوان الله عليه ــ .

---

(١) من « كَتَسَع » فلان « كسعًا » ضرب دبره .

وظهور السلطان قابوس بن سعيد ـ حفظه الله ـ .

ولا أقول أني ألممت بكل شيء ، بل بما بلغني علمه ، واستوثقت براو به ، أو حضرته بنفسي .

وأحببت أن أضع له هذا التاريخ ؛ ليكون تذكارا لمن يأتي ، وخدمة للوطن العزيز .

والله أسأله التوفيق والعون ، وأن ينقذ هذه الأمة من دسائس الجور ، وجور الحكام وأن يستجيب دعوة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لها : بأن لا يسلط عليها عدوا من سوى أنفسهم .

انه ولي كل خير ، والقادر عليه ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وسميته : «دليل الحيران في أحوال أهل عمان» .

ولما شاء الله أن يوفقني إلى « وضع : اللؤلؤ الرطب ، في إبراز مستودعات القلب » ، رأيت أن أضم إليه هذه النبذة اليسيرة ؛ لأنها تنتسب إليه .

والله الموفق .

لما كانت الأيام الأخيرة :

للإمام الخليلي ، وسيرته العطرة :

اجتمع عليه أصحابه ، وطلبوا منه أن يستخلف على الأمة ؛ خوف الفتنة ، فوافق على ذلك ، ثم رجع ، ثم وافق ، ثم رجع ، ثم وافق ؛ وذلك لما يخشاه من تبدل الأحوال ، وتغير الناس ، ولما يرجوه من صلاح الأمة .

وفي كلا المعنيين له نية حسنة . كتبتْ له إن شاء الله عندالله .

وفي الأخير وقع الاختيار على الشيخ :

غالب بن علي بن هلال بن زاهر الهنائي .

فحرر له هذا الاستخلاف الذي يقول فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أقوله ، وأنا إمام المسلمين :

محمد بن عبد الله الخليلي ، أني قد رجعت عن استخلاف الولد :

عبد الله بن الإمام سالم ؛ لأني قد رأيت فيه ضعفا وإحراضا ، وذلك مخالف للمقصود من أمر الخلافة ؛ لأن أمرها متين ، كما قال عز وجل « إن خير من استأجرت القوي الأمين » .

واني قد نظرت في أمر المسلمين : مجتهداً لله وللمسلمين .

ورأيت غالب بن علي : هو القوي في دينه ، والعدل في أمانته فجعلته هو الخليفة على أمر المسلمين من بعدي ، مقتديا في الاستخلاف بأبي بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ــ رضي الله عنهما ــ .

فإن استقام غالب . فذلك حسن ظني فيه ،

وإلا فسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

والله أسأله لي وله الإعانة والتأييد والتسديد وحسن الخاتمة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

وكَتَبَهُ عن إملاء الإمام ، شاهدا عليه ، وملتزما بطاعة الذي استخلفه و معتقدا له النصح خاصة وللمسلمين عامة ، وأنا العبد لله سفيان بن محمد بن عبدالله الراشدي .

في اليوم التاسع عشر من شهر رجب عام ثلاثة وسبعين ثلاثمائة وألف هجرية .

قلت : وذلك قبل موته بأربعين يوما . (اهـ) .

وشهد على هذا الاستخلاف كل من المشايخ :

عبدالله ابن الإمام ، ومنصور بن ناصر الفارسي ، وسعيد بن ناصر السيفي ، ومالك بن محمد العبري ، ومحمد بن سالم الرقيشي ، وسعود بن سليمان الكندي ، وإبراهيم بن محمد الرقيشي ، وزاهر بن عبالله العثماني ، وسالم بن محمد الحارثي ، وعلي بن ناصر الغسيني ، ومحمد بن راشد الحبسي ، وخالد بن مهنا البطاشي ، وأحمد بن ناصر البوسعيدي ، وصالح بن عيسى الحارثي .

وكل هؤلاء المذكورون(1) : كانوا قضاة للإمام ، إلا الأخير منهم ، فإنه : **زعيم على قومه ، ركن من أركان الدولة ، عليه وعلى آبائه قامت دول المسلمين منذ عزان بن قيس إلى غالب بن علي .**

واستقام غالب في الأمر:

آمراً ناهياً ، مقيماً للجمعة ، ومنفذاً للحدود . واستعمل على الأمصار الولاة والقضاة الذين كانوا في زمن أبي خليل قبله . وفي أول ذي الحجة من السنة ، قصد إلى الديار الشرقية ، ومر بديار بني عامر ، وحبس ، و بلاد الحرث ، والحجريين ، حتى انتهى إلى جعلان بايعه فيها أعيان هذه القبائل ، وجاءه المشايخ

(1) على قاعدة اتباع المضاف ، أو اعتبار أن المضاف إليه مقطوع .

أولاد حموده ، وخميس بن سعيد السنيدي : فجددوا الروابط التي كانت بينهم والإمام السابق .

وولى على جعلان : الشيخ عبدالله بن زاهر الهنائي ، وأقيمت الجمعة في جعلان من دون سائر عمان ــ اللهم إلا نزوى التي هي بيضة الاسلام ، لم تفارقها الجمعة في عهد الأئمة الذين تمركزوا فيها من لدن الوارث بن كعب ــ رضي الله عنه وأرضاه إلى زمن غالب بن علي ، وإ شذ بعض الأحيان حين لا يكون عدل في نزوى .

وإنما أمر الإمام الخليلي ــ رحمة الله عليه ــ بصلاة الجمعة في جعلان ؛ سياسة منه ، لأن الجمعة تصلى عند جيرانهم ، وربما دخل في نفوس بعض الناس البسطاء أن الاباضية لا يدينون بالجمعة ، وهذا تهجم بجهل على الاباضية ، لكن للجمعة شروط لم يطبقها إلا الاباضية .

فليقل من شاء بما شاء ، والله عند لسان كل قائل .

● ● ●

وكتب لقاضيه على جعلان :

الشيخ سالم بن محمد كتابا يحرضه فيه على الحزم ، وأنه متأهب للقدوم إليهم .

وهذا نص الكتاب للوالي والجماعة آل شمس يقول فيه :

وبعد فكتابك ياسالم وصلني ، وماذكرته علمته ، ونعوذ بالله من التقاعس عن الحق أو التهاون به ، فلا نصرت ان لم أنصركم يا أهل الثغور . اللهم أيد الدين ، واجمع كلمة المسلمين .

ويا سالم : للباطل سورة ثم تفيء ، ومن رجع إلى السلطان ، فإنا نرجع إلى الرحمن وهو حسبنا عليه التكلان ، وإذا نَفَر الحسون لا نفروا ، فإن جند الله هم الغالبون . والمسلمون لا يتركون جعلان ولا غيرها ، ولا نضيع أمر الله ، إنا إذا لخاسرون .

وقد كنا أرسلنا إليكم قبل وصول كتابك الاخوة :

علي بن محمد وعلى بن منصور ، فعساهم وصلوكم ، فإن انقاد القوم للأحكام ، وأذعنوا وأعطوا بأيديهم ، فذلك المراد ، وما القصد إلا الاستقامة ، وحمل الناس على منار الشريعة ، والمراد منهم : السمع والطاعة في الحق ولأهل الحق .

وإن رأيتم منهم مالا يجمل ، فنحن ذاهبون ، ارسلوا إلينا رسولا ، ونتدبر إن شاء الله بعد وصوله إلينا حالا .

نسأل الله جمع كلمة المسلمين ، وإصلاح ذات بينهم .

وأنتم قوموا بأمر الله ، وانصحوا له ولدينه ولأئمة المسلمين وخاصتهم وعامتهم ، وسددوا وقاربوا غير مقصرين عن حق ، ولا غاضين على قذى باطل ، فقد وعدنا الله أن ينصرنا إن نصرناه .

« إن تنصروا الله ينصركم و يثبت أقدامكم » .

والله لا يخلف وعده ولا وعيده ، وهل نصرنا له تعالى إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإقامة شيعائر دينه ، غير مبالين ولا ممالين .

وأقول يـاآل شـمـس : كونوا أنصار الله ، وادخلوا أينما دخل المسلمون ، وإياكم والنزعات الشيطانية « الشيطان يعدكم الفقر و يأمركم بالفحشاء » (البقرة ٢٦٨) .

وإيـاكـم والـنـخـوات الجـاهـلـيـة ، فان عروة الدين هي الوثقى ، وإياكم والمطامع فإنها قواطع عن الحق ، وموانع للحق ، وإذا طـلـبتم هذا المال فاطلبوه طلبا جميلا ، فقد أوصى النبي صلى الله عليه وسلم العباد أن يجملوا في الطلب .

ونحن قد أخذ الله علينا أن نأخذ المال من حله ، ونضعه في محـلـه ، وعلى ذلـك سيكون سيرنا إن شاء الله بتوفيقه وتأييده ، هـذا وهـذه نـصـيـحـة لـكـم فـاقـبـلـوا الـنـصح . واقبلوا تفلحوا ، وتـنـجحوا ، والله نسأله النصر والتوفيق والتسديد ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

• • •

ولما توطد الأمر في الشرقية :

ودخـل الـكـل في طـاعـة المـسـلـمين إلا ما كان من أمر الشيخ : أحمد بن محمد الحارثي .

فـإنـه خـرج مـراغـمـا ، وذهب إلى السلطان : سعيد بن تـيمور ، والله أعلم بما جرى بينهما من تواطؤ على زوال الإمامة ، وربمـا كـان الـسـلـطـان يـتوقع أن أهل عمان متواطئون مع حاكم آخر ، خاف السلطان أن يفوته الأمر فتتبع عمان غيره .

وكـان بيت القصيد عنده : أن يحتضن رئيسا من رؤساء عـمـان متبوعا في عشيرته ، يحل عنه الذي تعقد من الأمور ، فوجد ضالته في أحمد ، فشمر وجد في خدمته حتى انتهى أمره .

وكان الشيخ سليمان بن حمير

لم يفارق الامام لحظة واحدة ، يخدمه بكل جهد ، حتى نعله يقلبها .

قلت : لا أظن أن ذلك كله حبا للإمام ، أو رغبة في العدل . لكن هناك سريرة اشتمل عليها . (ا هـ) .

ولما رجع الإمام من جعلان

مر إلى بديه ، وأقام الحد هنالك على زانية بكر ، وجلدها مائة جلدة .

وعزّر امرأتين أيضا اتهمتا بالزنى ، فاعترفتا ، إلا أنهما ادعيتا الغصب ، فدرأ عنهما الحد .

وبعد ذلك : زار الحرث والمساكرة . وتوجه إلى سمائل ، وفيها اتفق الرأي معه وأصحابه على أن يذهبوا إلى عبري ؛ لردها إلى طاعة المسلمين .

وفي هذه الآونة ـ وقد نشط السلطان نشاطا كبيرا في محاولة زوال الإمامة ـ رأى والدي : حمد بن سليمان ـ رحمه الله ـ أن يجدد بين أهل عمان والسلطان «صلح السيب» الذي وقع بين الإمام الخليلي والسلطان تيمور بن فيصل بواسطة الشيخ عيسى بن صالح الحارثي .

وكأن الإمام مال إلى الموافقة

ولكن بعض أصحابه اعترض الرأي .

قلت : وليتهم قبلوا ، وما اغتروا بالبريق الذي يلمحونه كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ، ولا مفر من إرادة الله .

فرد الإمام على الوالد : انهم سيتفكرون في هذا الرأي .

فعرف الوالد أن وراء الأكمة ما وراءها ، فسحب الطلب ، وتوقع الفتنة ، فسافر إلى زنجبار ، فوقع ماوقع من الأحداث ، وهو بعيد عنها ، ولكل نيته ، والله يتولى السرائر .

فتوجه الامام

والشيخ الحميري ومن معهما إلى عبري عن طريق الداخلية .

وتوجه الشيخ صالح بن عيسى ، والشيخ طالب بن علي ، أخو الإمام عن طريق الرستاق ، «فوادي بني غافر» حتى وصلوا الدريز .

وتتابع الجيش من كل مكان يتجمع في الدريز .

وكان الشيخ على بن سعيد الغافري خوّفه بعض الناس أن هؤلاء القوم القادمين ، ربما يأخذون عليه حصن العينين ، وبيت المال الذي في يده ، فساغ له هذا القول ؛ فخرج من بلاده تفاديا لوقوع شر بينهم ، ولكن الشيخ محمد بن ناصر الغافري ــ شيخ الوادي ــ تبعه ، ونفى عنه تلك الظنون ، ورده إليهم ، وبعد أيام وصل الإمام ومن عنده .

وكان أهل عبري لهم وجهات نظر

ودائما ترى أكثر الناس وخصوصا الزعماء منهم يهابون العدل والحق ، فهموا باعتراض الإمام عن دخول عبري ، وأصر المسلمون على دخولها ، وقد تجمع من الجيش حوالي عشرة آلاف مقاتل .

فرأى أهل عبري أن لا قبَل لهم بالمعارضة :

ففر محمد بن عبد الله اليعقوبي وحمد بن سيف الكلباني

حتى وصلا ظفار عند السلطان ، وكأنهما يستنجدان به على العدو المهاجم لهما .

ولما فر هذان الزعيمان :

دانت البلاد للإمام ، فدخلها بلا اعتراض من أحد .

إلا ما كان من أمر : السليف :

فإن فرقة من الجيش توجهت إلى السليف برياسة الشيخ عبدالله بن علي الخليلي ، وكانت حصينة مانعة ، وعلى جبالها مقابض عالية ، وأعلاها مقبضا مقبض يقال له : سيبة الغالية :

فتحصن فيه بعض المعارضين ، وفي بعض البيوت الحصينة ، فلما هجم القادمون : أطلق عليهم الرصاص من هذه المقابض ، فبادلوهم الضرب ، وهدموا البيت الذي تحصن فيه البغاة ، وقتل من قتل منهم ، ولم يقتل من القادمين إلا رجل هنائي وكان سبب قتله :

أنه لما انهدم البيت ، دخل هذا الهنائي ليرى ماهنالك ، وكان فيه رجل من أهل البيت لا يستطيع الخروج ، فإذا بهذا الهنائي يدخل عليه فأطلق عليه رصاصة لم تخطىء مقتله ، وماتا .

وانهزم الباقون ، وفتحوا البلاد ، وقبض المسلمون على تلك المقابض .

ولما استقر الإمام في عبري .

بايعه زعماء الظاهرة ، وأظهروا له الطاعة والإذعان ، وأقام فيها نحوا من نصف شهر : يأمر و ينهى ، و يولي و يعزل ،

ولم يكن من أي أحد معارضة في أي شيء .

إلا ما كان من أمر الغالية

بنت ناصر بن حميد الغافري ـ صاحب جبرين ـ وكانت أرملة تأيمت من الشيخ : عبدالله بن راشد اليعقوبي ، بقيت هي الوحيدة التي تؤلب على المسلمين ، وتصدر منها قوارص ، و يبدو أنها مشعلة حرب ، ولكنهم تداركوها ، فأخرجوها إلى جبرين .

●●●

وإذا أراد الله أمرا ، لابد من تهيؤ أسبابه حتى يتم

وربما احتسب الإنسان غايتها
فـفـاجـأتـه بـأمـر غير محتسب

إلى متى سيقيم الإمام في الظاهرة ؟

لابد له من الرجوع إلى نزوى ، ثم لا بد له من أن يترك واليا عليها عند رجوعه منها ، كما هي العادة ، ولكنهم لم يجدوا الوالي المناسب الذي يقال فيه :

وذي شطاط كصدر الرمح معتقل
بمـثـلـه غير هـيـاب ولا وكـل

فكلما طلبوا من أحد يظنون فيه الصفة ، لم يوافق حتى عال صبر الإمام ، ورأى عدم النصح من أصحابه .

هذه واحدة :

الثانية : خروج الشيخ : طالب بن علي : إلى البلدان العربية ، بحجة أنه يطلب من جامعة الدول العربية أن تنضم دولة عمان إليها ،

لكنه : خرج بغير رأى من أركان دولته ،

وما علموا إلا بعد خروجه ، فهذه أورثتهم حقدا في قلوبهم .

• • •

وإذا كـان في الأنـابـيـب خـلـف

وقـع الـطـيش في صدور الصعاد

الثالثة : إن جمهور الناس لا يرتجون منفعة من هذه الدولة الفقيرة ، كما يرتجون من غيرها ،

فهناك الملك السعودي باسط يده لا يعرف المنع والقبض ، ولا شك أن القائل الأول صادق فيما يقول :

إذا لـم يـكـن للمرء في دولة امرىء

نـصـيـب ولا حـظ تمـنـى زوالهـا

هذا اذا كان يحب تلك الدولة .

فكيف إذا كان لا يحبها ؟!

ومـا ذاك مـن بـغـض لهـا غير أنـه

يرجى سواهـا فـهـو يـهـوى انـتـقـالهـا

• • •

فهذه عوامل رئيسية ، ولم نذكر مادونها .

• • •

ولما رأوا ذلك ؛ وأن الأمر في تزلزل ، وغير مستقر .

انتدب المشايخ : **يحيى بن عبدالله إلنبهاني ،**

وسفيان بن محمد الراشدي .

فتوليا أمر عبري .

والشيخ : **زكري بن زاهر الهنائي** : تولى : **السليف** وعندهم بعض أصحابهم .

وكما علمت حنق الخارجين ، و بالفعل فقد وصلوا إلى السلطان وألبوه على القائمين على عبري ، وكان من قبلُ في نفسه مافيها :

« صادف درء السيل درءا يدفعه » .

فأرسل جنودا ، وعندهم بعض القوات ، حتى إذا وصلوا : تنعم : أرسلوا الإنذار إلى القائمين بالحصن أن يخرجوا . فكان من سياسة القائمين أن :

يخرج الشيخ سفيان إلى قواد الجيش فيفاوضهم في الموضوع ، والله أعلم بما أراد أن يفاوضهم فيه ، فخرج إليهم ، فلما رأوه مقبلا :

أظهروا له الهيبة ، وأحاطوا به ، وقالوا :

ليس لك رجوع إلى أصحابك فاكتب إليهم بالنزول ،

ولما صار أسيرا في أيديهم ، اضطر إلى الكتابة إلى أصحابه أن ينزلوا فنزلوا ، وحملوا في سيارة ، وسلاحهم في سيارة أخرى ،

وأنزلوهم في الصحراء ، وليس عندهم ملجأ إلا أن يمشوا الوقت الطويل . حتى التحقوا ببلدة : بات : ومن هناك دبروا رحيلهم إلى نزوى .

وانتهى أمر عبري .

أبدا تسترد ماتهب الد
نيا ، فياليت جودها كان بخلا

● ● ●

ثم صنع : زكري : في : السليف : ماصنع أصحابه في : عبري .

وبذلك انتهى أمر الظاهرة .

• • •

فتشاور الإمام مع أصحابه : فآل رأيهم على أن يرسلوا الشيخ : صالح بن عيسى الحارثي ، لمخاطبة أي الرجلين رأى المخاطبة أجدى معه :

إما السلطان ، وإما قنصل بريطانيا المقيم في مسقط ، وفوضوا الأمر إليه .

قلت : وفي تلك الليلة التي خرجنا فيها من نزوى في صحبة الشيخ صالح بتنا تلك الليلة في : بركة الموز : رأيت رؤيا :

رأيت : كأن ثعبانين ، أحدهما أحمر ، والآخر أبيض ، رأيت كل واحد منهما مترصدا للآخر ، ينتهز فرصة الوثوب عليه بحنق شديد ، فبينما هما كذلك ، إذا بهما ظبيان يرعيان مع بعض ، فانتبهت .

ولعل تأويل الرؤيا حسبما انكشف من الأمر أن الثعبانين عبارة عن العلمين : كان العلم العماني أبيض ، وعلم السلطان أحمر ، وكل يعلم عداوة مابينهما .

ثم آل الأمر على أن يجتمع العلمان في علم واحد :

هو العلم الذي صار في دولة السلطان قابوس فكانت دولة واحدة ، والعلم عندالله . (اهـ) .

• • •

فرأى الشيخ صالح أن لا جدوى من مخاطبة القنصل ،
لأنه إن لم يرد ضرنا ، لم يرد نفعنا :

شكوى الجريح إلى الغربان والرخم :

فصمم على مخاطبة السلطان بواسطة عمه شهاب
إذ كان السلطان في ظفار ،

و بالفعل فقد جاء الرد بالترحيب ،

فتوجهنا إلى ظفار في سفينة : أقمنا بها سبعة عشر يوما ، يخاطب خلالها السلطان في أن يترك عمان على ما كانت عليه من قبل ، ولا يجعل للشقاق مجالا ، **ولكنه لم يجد عنده إلا الإصرار على زوال الإمامة ، ولا يعترف بحكم لحاكم غيره ، بل إنه صرح أنا لا نعترف بإمام بعد الخليلي ، وأنتم إن أحببتم الشقاق فيما بيننا ، فإنا لا نعبأ بكم .**

فجرى حوار كثير بينه والشيخ ، حتى قال في معرض كلامه :

إنكم لا تتركوا أحدا تستعينون به علينا ، حتى من ألد خصومنا : الروس : ونحن لا ننثني عن قصدنا ، ونترك عمان لغيرنا .

وأخيرا خاف الشيخ منه ، ولعله أرضاه بشيء من الوعد كتقية حتى يخرج من عنده .

فلما رجع كتب إليه : « إني لا أنفك عن الإمامة مابقيت » .

● ● ●

وبسبب هذا الكتاب حقد عليه ، وأضمر له سوءا ظهرت نتيجته فيما بعد ، مما سنذكره في محله .

• • •

وبعد رجوعه من هناك ، وأخبر الإمام عمالقيه ، وأوصد الباب في وجوههم من هذا القبيل ، بقوا يتربصون ويتوقعون الأحداث ، والعمانيون يهرعون إلى السلطان ، ويأخذون لأنفسهم الوجوه ، ويرتزقون ويمارقون ويخادعون — اللهم إلا القليل منهم — .

حتى كان شهر جمادي الأخرى من سنة خمسة وسبعين ثلاثمائة وألف هجرية .

عاد الشيخ طالب بن علي من سفره إلى البلدان العربية ،

وأخبر أنه وصل إلى مصر وسوريا والعراق والمملكة العربية السعودية وقال ماقاله لرؤساء هذه الدول ، وأكثرهم لا يعرفون عن عمان شيئا ، لما ضرب عليها من حصار داخلي وخارجي .

وكان السلطان لا يحب أن يعرف أحد عن عمان شيئا .

وبالطبع : إن أهل عمان لا يعتمدون على شيء من الخارج .

ولا يهمهم أمر الدول .

بل يهمهم إقامة العدل ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، حيث بلغت سيطرتهم ونفوذهم ،

فلذلك خفى أمر عمان ،

ولم يكن ثم وسائل إعلامية ، فكشف الشيخ طالب ، بعض النقاب عن وجه عمان لرؤساء هذه الدول .

فاتضح بعض الغموض ، وطلب منهم المساعدات على السلطان ، فوعدوه جميلا ؛ وذلك لما يحملوه أيضا من حقد على السلطان ، لأنه لا يزال في قلوبهم أن السلطان تحت سيطرة الاستعمار ، وهم لا يعرفون الحقيقة لما ذكرناه من اختفاء الأمر .

● ● ●

وفي هذه الآونة رأى الإمام أن الضعف يدب في دولته وأن نفوذه على العمانيين قليل :

فتحصل منهم بعض المشاغبات ، فجمع أركان دولته إليه .

ومن إليهم الحل والعقد والعلماء .

فلما اجتمعوا خاطبهم بملخص قوله :

اعلموا أني ضعيف العلم ، قليل المال ، قليل الجند ، ضعيف السياسة ، وأنتم أركان الدولة وأربابها ، وقد حضرتم الآن ، وأنا أبرأ إليكم من عملكم هذا ، وما قلدتموني إياه . فاختاروا لإمامتكم من شئتم لها ، وأنا كواحد منكم ، وعلي خدمة المسلمين كواحد منهم .

ولكم علي : أن لا أذهب لبلادي ، وأن أبايع من تختارونه :

هذا ما جمعتكم له ، والسلام عليكم .

● ● ●

فسكت القوم ولم يردوا عليه .

ثم وكلوا الرد إلى الشيخ الرقيشي ، فرد عليه بقوله :

إن هذا الأمر ليس لك بل الى المسلمين ، والمسلمون لم يعذروك ، فإن كنت تعد على واحد منا خيانة ، أو أمرا دونها ، فأنفذ فيه أمر الشرع . ولا يحل لك أن تخل بأمور المسلمين شرعا .

فكثر الأخذ والرد والجدال في ذلك وقتا طويلا .

ثم قال الإمام : إذا لم تعذروني ، فلابد من تجديد بيعة ، وأخذ عهود ومواثيق عليكم أن تمنعوني وتنصروني .

فتلكأوا عليه ، وقالوا :

ما خسنا بالعهد الأول ،

فكيف تجدده علينا ؟!

قال : لابد من ذلك .

فطال الحوار بينهم .

فقام الشيخ صالح بن أحمد الحارثي فبايع ، وأعطى عهد الله وميثاقه حسبما طلب الإمام .

ثم تتابع الزعماء والعلماء تباعا .

ولما بايع الأمير الحميري ، قال في بيعته : على ماتقدم .

فذهب الحاضرون بهذه الكلمة إلى مذاهب شتى ، ناقشوه فيها وطلبوا حلها ، إذ هي في معناهم سر لابد من كشفه .

فقال الإمام :

حل هذا السر أن نبقي له في يده ما كان لديه من بيت المال « لا غير ذلك » .

فمنهم من اكتفى بهذا الحل .

أما بنو عمه : لم يقنعهم ذلك ، وقالوا :

لابد أن هناك توطؤة بينكما .

فغضب الإمام ، وقال : ليس عندي غير هذا ، فاصنعوا مازكى لكم .

وافترقوا ، وفي النفوس مافيها .

فجرت الدولة على ضلع أعوج ، حتى كان شهر شوال من السنة :

• • •

وصل إلى ساحل السيب قارب يحمل سلاحا من مصر عن طريق السعودية تلقاه المشايخ :

أولاد خلفان بن محمد الهدابي بالنيابة عن الشيخ طالب وفورا حملوه إلى الخوض .

فما كاد أن يصل حتى بلغ ذلك حكومة السلطان ،

وكان ذلك فيما تدعي كسرا لحجرها ، فبادرت حالا لصده ، لكنها لم تدركه بالساحل .

فجندت وراءه الجنود لتسلبه ممن هو في يده .

وكان الوالي على سمائل ومتعلقاتها يومئذ الشيخ : حمد بن عبدالله الحارثي ، فبلغه الخبر ، فجمع الجموع ، وصارت بعض المناوشات .

وأرسل الامام الشيخ العلامة : محمد بن سالم الرقيشي ، بمن معه ، فطال بين الفريقين الأخذ والرد والتناوش بالرصاص ، وبعد ذلك توسط الشيخ : هلال بن علي الخليلي ، بالصلح :

على أن يقسم السلاح الوارد قسمين :

تعطى حكومة السلطان شطرا ، و يبقى الشطر الآخر للعمانيين .

وكان عدده : ألف بندقية ، وحوالي ألف صندوق من الذخيرة ، فوافق نائب الإمام الشيخ : الرقيشي ، على ذلك ؛ لما يرى من ضعف دولتهم عن المقاومة .

فتم الأمر على ذلك ، وافترقوا بعدما قاوموا نحوا من شهر .

ولله عاقبة الأمور .

• • •

ومن هنالك مرضت الدولة العمانية ، فصارت تضعف وتنحل ؛ لافتراق أهلها إلى مذاهب نفسانية ، وكل يذهب لنحو ، و يقلد هوى نفسه ، و يلتفتون يمينا وشمالا :

إن القداح إذا اجتمعن فرامها
بالكسر ذو حنق وبطش باليد
عزت فلم تكسر ، وان هي بددت
فالوهن والتكسير للمتبدد

فاستمر الحال هكذا : **يصلح من جهة ، ويفسد من جهات ، حتى نجم النفاق في الرؤساء ، وظهر ما كان مكتوما ،**

وركض الشيطان فيهم بخيله ورجله ، وجدوا واجتهدوا ليكونوا مع الغالب على المغلوب ، و يتنادون : الا انفروا إلى السلطان ، فإن عنده المطلوب ، وهنالك الدرهم المحبوب ، والعيش المرغوب ، واتركوا غالبا فإنه مغلوب .

وقد دعاهم إلى ذلك أمور لابد من ذكرها ، لأن لكل شيء سببا :

• • •

أولها : وهو الوحيد ، الطمع :

حدثتهم أنفسهم لعلهم ينالون من السلطان مالا ينالونه من الامام ،

بيد أن هذا الامام لم يسلك في بذل المال طريقة الامام أبي خليل فيعطي العطايا الفاشية ، معناه : أن قوام الدولة المال فلا ينبغي بذله في مرضاة الشيوخ ، وفي غير فائدة .

• • •

قلت : فائدة لو فكر ؛ ولذلك فرض الله للمؤلفة قلوبهم سهما من الزكاة . (ا هـ) .

وما يوجع الحرمان من كف حارم
كما يوجع الحرمان من كف رازق

• • •

الثاني : مسير الشيخ طالب إلى البلاد العربية من غير مشورة :

كما قدمنا في خبر عبري .

وفي الحقيقة : أن المشورة أرشد القرآن إليها ، والنبي صلى الله عليه وسلم .

وبسبب هذا : افترق أصحابنا المغاربة ، فضلّ ابن فندين وأصحابه وفارقوا الإمام عبدالوهاب ــ رحمه الله ــ .

وسموا : النكار : فهذا سبب برروا به موقفهم .

ومـراد الـنـفـوس أصـغـر مـن أن
نـتـعـادى فـيـه وأن نـتـفـانـى

• • •

الثالث : إن العدل طالت أيامه ، فملوه ، وضجروا منه :

والنـاس يـرغبـون في تقلبات الدول ؛ للذة الانقلاب . وهكـذا الشأن كما قال الإمام ، مهنا بن جيفر ، للشيخ موسى بن علي :

لو أطعت أهل عمان لاختاروا كل يوم إماما .

والعدل بقي هذه المدة قدر نصف قرن ، وما بقي مثل ذلك إلا ما يقرب منه : وهو إمامة الصلت بن مالك ـ رحمه الله ـ .

• • •

الرابع : أن الرشا كثر فيهم : وفاض الدرهم والدينار ، وامتلأت الحجور ، ووجدوا مالايجدونه ، وما كانوا يحلمون به ، وكثر القيل والقال والإرجافات ، وكانوا يتوقعون أن الخلل سيكون من جهة جعلان

فصاروا يعدونها ، و يلفتون النظر إليها ، و يتوقعون وقوع ذلك بين الحين والآخر .

• • •

وفي منتصف ربيع الثاني من هذه السنة :

أرسل الإمام إلى **كاتب هذا التاريخ**

فذهبت إليه وقال : إني رأيت أن أرسل رجلا من أهل الشرقية ؛ ليمر على الحصون الغربية ، و يتفقد أحوال الولاة .

وأن أرسل رجلا من أهل الغربية إلى الديار الشرقية : لنفس الغرض .

فأرسلت إليها : الشيخ أحمد بن عبدالله بن هلال الحنائي ،

وقد اخترتك من أهل الشرقية ، لتذهب إلى الغربية : ابتداء من : إزكي ، فسمائل ، فنخل ، فالعوابي ، فالرستاق . ثم تعود .

فامتثلت أمره ، وتوجهت بعون الله :

مررت على الشيخ الرقيشي في إزكي ، مرورا على الحصون المطلوب مني المرور عليها ، حتى انتهيت بالرستاق ، فوجدت الشيخ طالب بن علي أخ الإمام .

وبعد يومين : فوجئت بكتاب من الامام يقول : إني وليتك الرستاق وتوابعها .

فرفضت ذلك ، وقلت : إن الإمام لم يخبرني بنفسه حتى أعتذر إليه ؛ لأن ظروفي لا تسمح لي بالانتقال من وطني في هذا الوقت بالأخص ؛ لأن والدي لم يكن حاضرا هنالك ، وقد اعتمد علي أن أكفيه مهماته الكثيرة ، وطال الجدال بيني والشيخ طالب .

أخيرا قلت له : إن كنتم تريدون مني الخلاف ، فأنا مستعد للخلاف ، فسكت .

● ● ●

ثم فوجئنا مرة أخرى — في فجر يوم من الأيام — :

إذا برسول من الشيخ طالب لي ، وللمتعلمين في : بيت القرن : يقول :

إن جنود أهل مسقط هجموا على فلج الشراد ، وأنا ذهبت لأتصدى لهم .

وأنتم كونوا في الحصن ، فجئنا إلى الحصن .

• • •

المفاجأة الثالثة : أنا وجدنا الحصن يجوع فيه الفأر ،

ليس فيه مايسد رمقا

وما كنا نعتقد ذلك ،

بل كنا نعد حصن الرستاق الثاني بعد نزوى .

فسألنا عن ذلك ، فقيل لنا : إن الشيخ طالبا حمل مافي الحصن كله منذ عشرة أيام إلى بلاده ، وقعد على جناح طائر .

(ولعله كان سياسة بينه وبين أخيه أن يورطوني في قبض الحصن ، وكأنهم توقعوا ماسيحدث) .

فلما رأيت ذلك : خشيت أن يهجم على الحصن من أراده فيأخذه من أيدينا فأكون أنا التاريخ الأسود :

فهممت أن الحق به فأقاتل معه : إما حياة ، وإما موتا للجميع ، وذلك أبرأ لساحتي ــ فيما أعتقد ــ .

ولكن المشايخ الحاضرين والمتعلمين لم يسمحوا الى بالخروج .

فقلت : بم نقابل القوم ؟

قالوا : بما معنا من الرصاص حتى نموت فنعذر .

فتأخرت على مضض ، وفي نفسي مافيها .

وكنا طلبنا من القبائل المجاورة أن ينصروا نا .

فجاء البعض ، وامتنع بنوغافر ؛ بحجة أن هذه الدولة لم تنفعهم بشيء ، فيحبون زوالها .

• • •

المفاجأة الرابعة : وصلنا كتاب من رؤساء بعض القبائل ،

يقولون فيه : انا نحن **متهيئون لنكون معكم** ، لكن بلغنا أن الإمام خرج من نزوى .

فكتبت إليهم : « إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه ، فلا تخافوهم » .

● ● ●

و بعد ما خرج الرسول جاءت :

المفاجأة الخامسة : وهو رسول من الإمام بكتاب يقول فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

من غالب بن على **« ولم يقل من إمام المسلمين »**

إلى المشايخ الاخوة : سعيد بن حمد الحارثي ، وطالب بن على الهنائي

سلام عليكم وحمة الله و بركاته . أما بعد

فقد نزل النصارى ــ أخزاهم الله ــ بقواتهم اذائلة ومصفحاتهم بلدة : **فرق ،**

وكان عندي المشايخ : سليمان بن حمير ، وعبدالله بن علي الخليلي ، وعبدالله بن سعيد السيابي ،

فاستنصرتهم فلم ينصروني ، وأقمت عليهم الحجة فخذلوني ، وخرجوا عني ، وخرج من كان بالحصن من العسكر ، فبقيت منفردا ، فتمسكت بقول من أقوال المسلمين .

واعتزلت الإمامة ، وخرجت ، وأنتم انظروا لأنفسكم والسلام » .

انتهى كتابه ..

• • •

فلما وصلنا الكتاب : بعثت به إلى الشيخ طالب .

وعلمت أن الأمور تمت ، و بحيث أنه :

ليس لنا نظر في الملك ، ولا طاقة على المقاومة .

تمسكت بقول من كنت قاومت لأجله « وأنتم انظروا لأنفسكم » .

فنظرنا لها السلامة ، إذ لا مطمع في غيرها .

فخرجت من الحصن ، وخرج من كان عندي ، والله أعلم بمن خلّفنا .

أما الشيخ طالب ، فإنه لما وصله الكتاب :

خرج إلى المملكة العربية السعودية .

وكان خروج الإمام في ليلة الثلاثين من ربيع الثاني .

ودخل جنود السلطان إلى نزوى بلا أدنى مقاومة .

فلما وصلوا :

رأوا العلم الأحمر على القلعة

وكان أهل نزوى : بادروا برفعه ، بعد خروج الإمام .

فلما رأى القائد العلم :

يقال إنه تأخر عن الدخول ،

ظنها مكيدة نصبت له ، حتى تيقن عدم المحذور فدخل .

• • •

وكان الشيخ محمد بن سالم الرقيشي ، والشيخ سالم بن محمد الحارثي ـ وكانا قاضيين للإمام ـ هما بالمقاومة ،

ولكنهما لم يجدا أنصارا ، فرجع كل منهما إلى بلده .

• • •

أما الشيخ صالح بن عيسى

فلم يزالوا مرابطين ملتفتين إلى جعلان ، ففوجئوا بطائرة حلقت في سماء القابل

وألقت كتبا للشيخ أحمد بن محمد تفيد : عن احتلال نزوى .

فخرج الشيخ صالح ، لما توجس في نفسه من الخوف ، حتى وصل : صورا : وكان قصده الخروج من عمان .

لكن أشار إليه بعض أصدقائه :

أن يقصد السلطان في ظفار ؛ لعله يجد منه وجها ، يتقيه به إلى حين .

فلما وصل ظفار أكرمه الوالي ، وكان السلطان بادر بالخروج إلى عمان ، فلما بلغه وصول صالح :

أرسل كتابا إلى الوالي يقول فيه :

« إن كان صالح بن عيسى غير نازل ، فلا تنزلوه ، وإن كان نازلا فاطردوه » .

بهذه العبارة الجافة ، فبقي الوالي محرجا ، ماذا يصنع ؟!

ثم أرسل الكتاب برمته إلى الشيخ .

فلما رأى الكتاب ، علم أن ليس في القوس مهزع .

فبادر إلى سفينته : راجعا ، ولم تقف به إلا في ميناء من موانى إيران

فلما رأوهم خافوا منهم ، لأنهم كانوا مسلحين « هو وأصحابه » :

فاحتجزوا السفينة ، وأخذوهم داخل البلاد للتحقيق .

فاستعمل الشيخ الطريقة المعترف بها دوليا :

لاجيء سياسي .

فلما عرف الإيرانيون ذلك ، أطلقوا سراحه ،

فوصلوا المملكة العربية السعودية

وصارت المملكة ملجأ لمن خاف من العمانيين

يتهافتون إليها ، وحكامها يكرمونهم ، و يؤمنونهم حتى كثرت الجالية العمانية هناك ، وارتفع صوتهم ، وانطلقوا إلى كل البلاد بحرية يطلبون رجوع دولتهم .

لكن الأمر ليس بهين .

● ● ●

وفي أول جمادي الأولى خرج السلطان من ظفار في طريق البر إلى نزوى ، فوصلها في تسعة أيام ،

خطب في الناس خطبة قال فيها :

« إنه يحب العدل ، والذب عن عمان ، وأن يجعل العلماء هم أولي الأمر والنهي .

وأن سبيله سبيل الإمام الخليلي ، وأنه لم يقصد إلا الخير ،

وحمد الله حيث وفقه على ذلك ، بلا سفك دم ، ولا إيذاء مسلم لا في نفسه ، ولا في ماله » .

واستفتى العلماء في صلاة الجمعة ، فاختلفوا عليه .

ثم كثر المجوزون ، فصلوها . .

ولم يبق أحد لم يواجهه من علماء ورؤساء وعامّة ــ اللهم إلا الإمام نفسه ــ فقد طلبه السلطان ، فامتنع عن الحضور ، فعذره لطفا من الله به .

ثم ارتحل السلطان إلى الظاهرة ، فالبريمي ، فالباطنة ، حتى وصل مسقط ، فتزينت له البلاد ، ودخل مسقط مرخيا عمامته بين كتفيه مطأطئاً رأسه كمتواضع .

قلت : ولعله قرأ في التاريخ : أن النبي صلى الله عليه وسلم فعل ذلك لما دخل مكة ــ شرفها الله ــ انتهى .

● ● ●

ولم يقم كثيرا في مسقط : بل رجع إلى ظفار .

وبقيت عمان في يد الجنود والقواد البريطانيين ، يجوسون خلال الديار ، و يفعلون مابدا لهم ، و ينفذون رغبات أهل الأهواء ، وكلما قيل للسلطان عنهم ، قال :

ذلك أمر الجنود .

● ● ●

وكان من خبر الخارجين : أنهم اجتمعوا بالملك سعود بن عبدالعزيز ومن حوله ، فأشاروا عليهم بتنظيم جيش من العمانيين ، ليتمكنوا من استرداد بلادهم ، والملك يتكفّل بالإنفاق ، فنظموا مالا يقل عن سبعمائة عمانيّ ، دربوا تدريبا على السلاح الحديث .

ثم شم الشيخ صالح

رائحة الطمع من الحكومة السعودية :

أنها مافعلت ذلك إلا لتضم عمان إلى المملكة

فقال : بالمثال السائر ، إذاً نحن سنكون «كالفارّ من المطر إلى الميزاب» .

وتمثل بقول الشاعر :

فلا يغرنك من ملك تبسمه

لا يسقط الغيث إلا حيث يبتسم

و يقول الشاعر أيضا :

إليك فاني لست ممن إذا اتقى

عضاض الأفاعي نام فوق العقارب

● ● ●

وهذه الأمثال التي أوردناها عنه ، كان ينطق بها لسان حاله .

فاتفق هو والشيخ طالب ومن معهما من أكابر العمانيين أن يذهب إلى مصر .

واجتمع فيها برئيسها : جمال عبدالناصر : فأكرمه واحترمه ، ووعده الجميل .

وأنت تدري همة جمال ، وما كان له من الصيت الشايع ، ومساعدة أي ثورة كانت ، فهذه بعض فرصة ، لو أمكنت .

● ● ●

ولما كان شهر رجب : سنة ستة وسبعين ثلا ثمائة وألف هجرية :

رأى العمانيون أن يستغلوا هؤلاء المجندين العمانيين :

بأن يفرقوهم في الجبال العمانية ؛ ليشنوا حرب عصابات على حكومة السلطان ، كبدء لثورتهم .

فخرج الشيخ طالب بمن عنده في سفينة ، فلما كانت في عرض البحر ، أصابها عطب ، فرجع إلى الدمام ليصلح من شأنه .

و بعض الجنود خرجوا إلى الشرقية .

وقد كان الاتفاق معهم :

أن لا ينزلوا إلى البلدان إلا بخفية ، كلطلب الميرة مثلا . ومرجعهم هنالك :

الشيخ محمد بن عبدالله السالمي ، وقد جاء من السعودية لهذا الغرض ، والشيخ ابراهيم بن عيسى الحارثي .

ولكن الشيخ إبراهيم لسوء حظه استعجل في الأمر ، وخرق الاتفاق :

فكان من خبره :

أنه دعا بهؤلاء الجنود ، وأقام بهم في بلدة الظاهر وأعلن ثورة ، لكن ضد من ؟ « لا يدرى » .

وكان ليس له هدف في هذه الثورة ، إلا لفت الأنظار .

وربما صرح في بعض الأحيان أنه يريد منها أن يكرمه السلطان إذا رأى منه ذلك ، وهكذا يزين للمرء عمله ، ليكون سببا لحتفه ، فصارت ثورة عارمة ، وصارت لها مقاومة من جنود السلطان كان قائدها أخوه : طارق بن تيمور .

فقام إليه أحباؤه فنصحوه بأن يخبرهم عن الهدف

الذي يطلبه ، حتى يعرفوا كيف يحل لهم أن يساعدوه .

ولكنهم لم يجدوا منه إخلاصا ، فخرجوا عنه ، و بقي عنده من طمع فيه ، وكان الناس يتساءلون قبل أن يصلوا : من يعطي أكثر :

إبراهيم بن عيسى ، أو أحمد بن محمد ؟

فمن عرفوا أنه يعطي أكثر ، أظهروا له التودد ، وأنهم في جانبه ، والكل ليسوا على شيء .

ثم انتقل إبراهيم بمن معه إلى سفالة إبرا ، فتفاءل بشؤم بعض العارفين ، فقال : من الظاهر إلى السفالة : هذا لا يصلب له عود .

ثم انتقل إلى : سمد الشان ، وكان مع ذلك يبعث الرسل إلى السلطان يطلب منه وجها يرضى به عنه .

وكان أكبر من نصحه والدي حمد بن سليمان ،

فأراد أن يسدد و يقارب ويخمد هذه الثورة ،

ولكن إبراهيم كان سيء الظن في مثله ، وكان يحب الظهور ، ويخاف أن يتقدمه غيره ، آفة العجب .

فجاءه المشايخ أولاد الخليلي ، وهو في سمد ، ووعدوه أن يقابل السلطان . وكان ابراهيم يتمنى أن يقابل السلطان في السيب ، كما فعل أبوه حين الصلح بين الإمام والسلطان السابق الذكر ، فوعده المشايخ بذلك .

فانتقل إلى السيب بمن معه ،

فلما وصلها أرسل السلطان إليه سيارات ، وكأنه يرحب به :

إذا رأيــت نـيـوب الـلـيـث بـارزة
فـلا تـظـنـن أن الـلـيـث يـبـتـسـم

●●●

فتوجه إلى مسقط ، ورفض نصح من يحبه ، وتحذيرهم الشديد ، وأن هذا الترحيب ربما يكون تخييبا لآماله ، ولكنه لم يصغ إليهم :

إنـمـا تـنـجـح الـمـقـالـة في الـمـرء
إذا صـادفـت هـوى في الـفـؤاد

●●●

فلما وصل إلى قصر العلم :

تلقاه طارق بن تيمور ، وأدخله من البو يب الصغير الذي في الباب ، وسد دون أصحابه ،

فأخذ طارق بيده إلى سفينة مهيأة له على الرصيف ،

حملته إلى سجن الجلالي من دون أن يرى السلطان ، ولا خادم السلطان ، وبقي في السجن إلى أن مَنّ الله على البلاد بقابوس ، ففرج عنه وعن باقي المسجونين العمانيين .

ولكن إبراهيم البائس المسكين خرج من السجن ، وقد ابتلي بمرض : الملخوليا :

فكان يؤثر الخلوة ، و يرجم على نفسه الأبواب ، و يعتقد أن :

سعيد بن تيمور : يلاحقه ويمنع عنه كل شيء ، وأنه لا يزال متسلطا عليه .

وإذا قيل له : إن الحاكم الآن قابوس :

قال : قابوس ابن من ؟

قيل له : ابن سعيد .

قال : إذاً القول ما أقول لكم .

● ● ●

ولكنه مع هذا كله : لم ينس شيئا من الماضي أبدا ، حافظا للمال ، لا يضيع منه شيئا ، خصوصا النقود .

وإذا أمكنت الفرصة من الاجتماع به : يبدي أخلاقا عجيبة ، لا ينكره إلا من يعرفه .

وكان أنيقا في لباسه وهيأته ، حتى في خلوته .

ــ عافاه الله ــ وكفانا وإياه سوء الحوادث .

● ● ●

استدراك . وأما أصحابه الذين كانوا معه ،

فمنعوهم عن الدخول عنده ،

أرسلوا إليهم دراهم ، فرقوها فيهم .

وقالوا لهم : يقول لكم السلطان : إن ابراهيم ولده . وأنه لا يزال عنده في القصر ، وأنتم في عذر عن القيام . فارجعوا إلى بلادكم

قلت : وما أشبهها بقضية عمرو بن سعيد الأشدق ، عند عبدالملك بن مروان .

● ● ●

وفي شهر شوال من هذه السنة :

اجتمع بعض العلماء على الإمام وألزموه القيام . وحكموا بثبوت إمامته ،

وانه اعتزل حين اعتزل إبقاء لدولة المسلمين . وخرف للقتال . وألزموا الناس طاعته .

فالتف إليه لفيف من الناس .

لكنه لم يخرج من بلاده ، حتى وصل أخوه . وسيأتي خبره .

• • •

أما الشيخ سليمان بن حمير فانه لما سمع عن ثورة إبراهيم ، وأنه قصد إلى مسقط :

ظن في نفسه أن إبراهيم سينال جاها من السلطان .

فأحب أن يأخذ هو الآخر بنصيب من ذلك الجاه .

فتوجه إلى مسقط ، فوصل قبل إبراهيم ، فأكرمه السلطان . وأنزله خير منزل .

ولما وقع على إبراهيم ما وقع : ساءت ظنون الشيخ الحميري بالسلطان وخاف منه ، وكان قد منع عن الخروج من حدود العاصمة ، فصار كأنه على جمر غضا ، ينتهز الفرصة للهروب ، حتى وجدها في بعض الأ يام ، وربما «بالتبر يكسر ناب الضيغم الضاري» .

أعطى الحارس شيئا من المال ، وسمح له بالخروج من نقطة «روي» فمر على وجهه ناو يا الحرب ، وقد شجعه على ذلك وصول الشيخ طالب إلى عمان ، فعيى الشيخ في أي الركنين يقبض ، «ولكل جديد لذة» . فركب في سيارة شحن حتى وصل «القاروت» . فأمر جماعته هنالك : أن إذا مر عليهم أحد من الجنود أن يضربوه . و بالفعل مرت سيارة لشركة النفط و بها ثلاثة من الجنود ، فقتل أهل قاروت آثنين ، ونجا الثالث

فرارا . فكان هذا ابتداء الشر في عمان

وفي عشر بقين من ذي القعدة من السنة

وصل الشيخ طالب بن علي إلى عمان

و بوصوله أعلنوها ثورة على قصد ظهور الإمامة ،

فقاموا أول شيء على بهلا :

فطردوا والي السلطان

ثم إلى نزوى :

وما أن سمع السلطان بوصول طالب ، حتى جند في وجهه جنودا بقيادة أخيه طارق ، فرابطوا بالقرب من بلاد سيت ، فجاءه الأمر أن يتلقى سليمان بن حمير فيقتله ، أو يأسره . وقد اجتمع على سليمان أقوام كثيرة ، لأنه الآن في وسط جماعته ، وكان مقبلا إلى بلده ، وكان من الاتفاق أن قام تلك الليلة طالب ومن معه على نزوى ، فأمسى طارق بين الفريقين :

سليمان أمامه ، وطالب خلفه :

فأصبح لا يدري وان كان حازما

إقـــدامـــه خير لـــــه أم وراءه

• • •

فاجتمعوا بالقرب من تنوف : سليمان وطارق وطالب ، ومن معهم من الجنود .

فصارت معركة عظيمة ، حزر القتلى بمائة وخمسين قتيلا من الجميع .

وافتقد طارق من جنوده ثلاثمائة وستة عشر رجلا :

لا يدري أين هم ؟ لأنهم غرباء ، لا يعرفون هذه الأرض ، وقتل من قتل منهم ، وهام من هام على وجهه ، وجدوا بعد ذلك موتى من العطش والويل .

« قتلت أرض جاهلها » .

وتوجه طارق على وجهه ، لا يلوي على شيء .

حتى وصل فهودا مركزا لشركة النفط ، حملوه في طائرة إلى مسقط .

فيحكى من شهامته ، وثبات جأشه أنه وجد على الطريق قواطع تركت له بالعمد ، فنزل من السيارة ، وأزال تلك القواطع عن الطريق ، والرصاص عليه كأنه وابل المطر ، ولكن العمر حصن حصين :

وإذا لم يكن من الموت بد
فمن العجز أن تكون جبانا

• • •

أما طالب وأصحابه ، فإنهم وصلوا إلى نزوى ، ووجدوا الحصن مفتوحا كما فتح لسالفهم من قبل :

أبدا تسترد ما تهب الدنيا
فياليت جودها كان بخلا

• • •

ولم يعترضهم في طريقهم بعد طارق ، ولا في البلاد أي شيء ، وما كانوا حسبوا لذلك حسابا .

وكان في قصدهم أن يقاوموا في الجبال ، حتى يفتح الله لهم ، ولكن فتح لهم بلا عناء .

فجددوا البيعة للإمام على الجهاد في سبيل الله ،
وعلى رأس العلماء الموجودين الشيخ الرقيشي :
خطب خطبة في الجامع حث فيها على الجهاد ،
والتضامن ، وضمنها قول الشاعر :

الموت لا يكون إلا مرة
والموت أحلى من حياة مره

• • •

وماتوانت جنود السلطان
حتى هجموا على الثائرين بمصفحاتهم ، وطائراتهم ، ولكنهم قاوموها بكل ثبات .
حتى أنه يحكى أن (غمرا) وهي بلاد صغيرة ، ضربت بستمائة قنبلة ، و(غمر) هذه لا تكاد تذكر لضؤولتها ، فناهيك بالحصون بكم كانت ضربت ؟
وقالت إذاعة لندن حين تحكي هذه الوقائع :
« لقد درب العمانيون تدريبا دقيقاً » .

• • •

واستمر الحال هكذا :
أخذ و رد بين العمانيين ، وجنود السلطان .
ولم يستطع الجنود أن يفعلوا في العمانيين شيئا . حتى عززتهم الطائرات .
وكان ابتداء ضربها في العاشر من محرم سنة سبع وسبعين ثلاثمائة وألف هجرية .
وكان الشيخ الحميري مع الإمام في بلدة (بركة الموز) .

وطالب ومن معه في فرق

وضربت القلاع بالقنابل ، وتفرق غالب الناس ، ولم يبق إلا القليل : كمنوا في الحوراء شرقي (فرق) : ينتهزون الفرص ، كلما رأوا أحدا من الجنود ضربوه .

ولم يقتل في هذه المدة كلها من العمانيين سوى رجلين ، فيما أحسب أنهما لم يتمكنا من الاختباء .

•••

وقد أخبرني بعضهم :

أن رجلا ضرب بمائتين وخمسين قنبلة ، ولم تصبه واحدة منهن ، وذلك لأنه كان يكمن تحت حصاة ، فإذا مرت الطائرة أطلق عليها النار ، فتعطى خبراً لقاذفات القنابل ، فينتقل هو من ذلك المكان إلى مكان آخر ، فتأتي القاذفات فتضرب ذلك المكان بقدر خمسين قنبلة ، ثم يطلق عليها من مكان آخر .

وهكذا : كلما جاءت تصب قنابلها على ذلك الهدف ، وليس هنالك أحد .

وهو يتفرج عليها .

ولما أخبر أصحابه بذلك ، هان عليهم أمر الطائرات ، وصاروا لا يهابونها ــ اللهم إلا من كان في الحصون ، أو البيوت الكبيرة ، فإنها أضيرت من أثر القنابل .

ولم يؤثر الضرب على قلعة نزوى كثيرا ؛ بل كأنها تمشط بمشط .

•••

وكان الامام ومن معه :

عزموا أن يتوجهوا إلى وادي بني رواحه وسمائل ، ليضموها إلى دائرتهم .

ولكن عاقهم : ضرب الطائرات ، فلم يتمكنوا .

والعائق الثاني : هو أن الشيخ : خلفان بن جميل السيابي .

أفتى أهل سمائل : أنه يحل لهم أن يردوا الإمام عن بلادهم ، ولو بقتال .

ولما سئل عن ذلك ، قال : إن الإمام لا يستطيع حمايتها ، وسيعرضها لإفساد جنود السلطان ، والعبث فيها .

وقال بهذا أيضا ، الشيخ حمد بن عبيد السليمي .

ولكن أخبرني من أثق به أنه رجع عن فتواه وتاب .

أما الشيخ بن جميل ، فإن الإمام قال عنه : إنه زل في فتواه . (اهـ) .

●●●

وقد سألت بنفسي الشيخ خلفان

لما اجتمعت به عن هذه الفتوى ، فأخبرني أنه معتقد صحة ما أفتى به ، وزاد أن هذه الإمامة تهور ، ولا رجال لنصرتها ، ولا قوة عندهم ، وعدوهم أعظم منهم بكثير ، ومن شروط الإمامة أن يكونوا نصف عدوهم في العدة والعدد .

قل لي : أين النصف ؟ وأين العشر ؟

لا فائدة من وراء ذلك إلا سفك الدماء ، وتخريب الأموال .

●●●

وبحثته : ما تقول الآن في الإمام ؟

هل ثابتة إمامته ؟

فإن كان لا ،

فهل يسعهم ترك ماهم فيه ؟

قال : نعم يسعهم ترك ماهم فيه ، والانتظار لوقت القوة .

إن أمنوا سطوة الحكومة « وذلك لما كانوا في الجبل » .

أما عن ثبوت الإمامة ، فأقول :

يسعني السكوت فيها كغيرها من الأحوال .

● ● ●

وسألته : عن الإلغامات التي تزرع في الطرق لسيارات عدوهم

قال : هذا لا أراه في نظري ،

وفيه مافيه من تحمل إتلاف الأنفس والأموال .

● ● ●

بحثته قائلا : إن ذلك مقصود به العدو ، لا التجار والسعاة . بيد أنه تقدم لهم خبر أن الطريق ملغوم ، فلا تمروه .

قال : وإن كان هذا القصد ، فلا يسع عندي ، ولا أراه من الصواب في شيء . (اهـ) .

● ● ●

ولما وصل الإمام

الى بلدة مطى : هاجمتهم الطائرات والدبابات من الجو والأرض وكان أنصح أنصارهم بنو سليمة :

فرمت في وسط جمعهم الطائرة قنبلة ، قضت على اثني عشر رجلا ، وأربع نسوة في وقت واحد ، فأوهنت شوكتهم ، وأورثتهم الفشل .

وأكثر أصحابهم هربوا عنهم لما شاهدوه مما لايطيقون دفعه فيقابلونه ،

وإلا فالعمانيون لا يحوم الجبن حول حماهم

وهم إن قيسوا بغيرهم : ظهر لهم من الفضل في هذا الميدان ،

وفي غيره مالا يستطيع حسود إخفاءه ،

ولكن زاد القياس ، وعظم الشأن ، ورأوا مالا يتوقعون ، ولا ينالون من يخاصمون :

وإنما يبلغ الإنسان طاقته .

« وتلك الأيام نداولها بين الناس » .

●●●

ولما رأوا : أن لا قبل لهم بما ينتاشهم

قرروا الالتجاء بالجبل الأخضر ..

فأرسلوا إلى الشيخ طالب

وكان لا يزال في الحوراء :

فوجدوا عنده ماعندهم ، وقد تفرق أصحابه عنه ، بسبب فراغ الذخيرة عنهم .

فتظافرت الآراء ، واعتمدوا على أن ينحازوا إلى الجبل الأخضر

والجبل الأخضر كما هو معروف بشهرته ومنعته .

وكان اليوم الرابع عشر من المحرم

هو الذي قرروا صعودهم فيه :

فالإمام ، والأمير الحميري صعدا من جهة : المناخر ،

والشيخ طالب صعد من جهة : كمه ،

فدخل الجنود : **فـرقا ونـزوى .**

وكان ناظر الشئون الداخلية :

السيد أحمد بن ابراهيم بن قيس مقيما في سمائل يتحسس الأخبار .

فلما بلغه خلو الديار من الرماة والثوار ، قصد إلى نزوى ومر بإزكي .

وكان الشيخ العلامة الرقيشي ملازما للامام والأمير الحميري ، حتى وقت صعودهم الجبل ، فصرعه القدر ، ولم يصعد معهم ، بل رجع إلى بلاده .

● ● ●

ولما صفا الجو لأحمد بن ابراهيم : قبض على كل من قدر عليه ، فزجهم في السجون .

ومن جملتهم هذا الشيخ .

وكل المسجونين وجدناهم لم يسجن واحد منهم عن قهر ، بل عن مكر وحيلة .

● ● ●

أخبرني الشيخ ابراهيم بن محمد الرقيشي ، قال :

لما أراد السيد أحمد بن إبراهيم المكر بالوالد ، دعاه ،

وقال له : إنا لا نستغني عن رأيك فأصبحنا إلى نزوى .

وأسر إلى بشفقة شديدة ، يقول : اصحب والدك لتعينه لأنه ثقيل السمع .

قال إبراهيم : أنا فهمت أنه لا يريد بنا خيرا ، إلا أنه ليس من المروة أن أترك والدي ، والوالد أصر على المسير .

فلما وصلنا نزوى ، وقام السيد أحمد من المجلس الخارجي جاءنا بعض العسكر وقال : يدعوكم السيد في القلعة لبعض المعارفة .

فلما دخلنا القلعة لم نجده ، بل وجدنا قيودا وضعت في أرجلنا ، و بعد يومين : حملنا إلى الجلالي .

وهكذا حشر سائر العلماء والرؤساء ، ومن عليه رمق ، ومن أشار إلى الدولة الأولى بيد أو لسان :

فزجهم في السجون ، ولم يزالوا هناك ، مات من مات منهم ، وعمى من عمى ، ومرض من مرض .

ومن بقى منهم إلى عهد السلطان قابوس ، ففرج الله عنهم به و بلطفه .

• • •

ولما مات الشيخ الرقيشي في بيت الفلج ، وكان مريضا مدنفا :

لما أنزل من الجلالي : طلب أولاده أن يدفنوه في وطنه ، فاستؤذن السلطان في ذلك ،

فمن حقده وعداوته ، لم يأذن إلا أن يدفن في بيت الفلج ،

ولم يأذن أن يفك منه القيد حتى في حال شدة المرض ، إلا بعد ما مات .

والقيد : سمعت الشيخ يقول عنه :

إنه يجد راحة بوجوده في رجله ، لأنه سبق أن أزيل عنه ، فتبدل مكانه : جني : قبض على رجليه ، وصارتا كأنهما قطعة حجارة ، لا يستطيع النهوض بهما .

وكان إذا فقد القيد لم يستطع أن يقرأ القرآن :

يقول : كأنني ألبس غشاوة سوداء على وجهي .

وكأن صخرة على قلبي ،

فإذا رد القيد إلى الرجل ، زال عني هذا الشر .

فكان وجود القيد أحب إلى من عدمه .

●●●

وكان دائما يقول : ما نيتنا إن خرجنا من السجن ؟

نقول له : أخبرنا .

يقول : نيتنا أن نقوم بالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، ونرد الباغي عن بغيه .

وكان لا تلين له قناة ، ولا تسمع له شكوى ، بل يقول :

لو قسنا ما أصابنا بما أصاب من قبلنا ، لرأينا أنا في سلامة ، وأنا لم نصب بشيء . (اهـ كلامه) .

●●●

وسألوني :

لما صعدت معهم إلى الجلالي ، هل تكلم فينا أحد ؟

قلت : أخبرني **الشيخ خلفان بن جميل السيابي** ، أنه كلم السلطان في أمركم ، فقال : قلت للسلطان : ان هؤلاء العلماء كلهم في السجن ، وعمان محتاجه إليهم ، فنسألك الإفراج عنهم حتى ينتفع بهم الناس ، وتنتفع بهم الحكومة .

قال : فالتفت إلى مغضبا ، وقال :

أتقول انهم علماء ؟!

لا بل هم منافقون .

أتظن أني لا أستطيع إلحاقك بهم ؟!

قلت : بلى إني لا أعجزك .

فهربت عنه خائفا من أن ألحق بهم . (ا هـ) .

● ● ●

فقال **القاضي سعود بن سليمان** لما أخبرتهم بهذا الخبر :

أيقال عنا أننا منافقون ؟

قلت : يقول السلطان ذلك

قال : إذاً لا يهمنا ، فما نحن فيه منه أكبر من قوله . (ا هـ) .

● ● ●

ولما صعد أولئك القوم الجبل :

اتخذوا مراكز فيه .

وكان فيه غيران واسعة

فاتخذوا فيها مقاعد للقتال .

وكان على الجبل من الطرق المهمة اثنا عشر طريقا :

جعلوا على كل طريق جنودا وقائدا .

وادخروا من المواد الغذائية ما يكفيهم ، إلى أن يأتيهم مدد من مكان .

ثم رأوا أن لا فائدة في قعودهم هكذا ،

فنظموا غزوات على جنود السلطان التي حول الجبل .

فحصل الجنود على أذى كبير ؛ لأنهم من دون توقع يكون الهجوم عليهم ، فيقتلون ويجرحون .

فصاروا يتشفون لغيظهم من البيوت التي يتوقعون أن أهلها عون للخارجين ، فهدموا بيوتا كثيرة ، وخربوا بلدانا جزيلة .

أما البلدان التي كان فيها اسم للشيخ الحميري :

تنوف وكمه والمناخر ووادي بني حبيب والشريجه :

جعلوا هذه البلدان كأمس الدابر ، كأنما ريح عاد مرت عليها .

وضيقوا الخناق على من ينتمي إلى : سليمان أو إلى غالب وطالب .

وقبض أولاد زاهر على أخيهم محمود ، وكان ابن أخت الإمام فحملوه إلى السلطان ، فألحقه بالمسجونين .

فيقال : إن أباه مرض بسبب ذلك مرضا شديدا لما أصابه من الحزن والأسف على الموافقة بحمل ابنه ، فكان سببا لموته .

وهدم بيت الإمام في بلاد سيت ، وبيوت من يقربون إليه .

والتف حول أهل الجبل لفيف لا بأس به : منهم ديانة ، ومنهم حمية ، ومنهم هروبا من الحكومة .

وضرب عليهم حصار شديد ، لا يستطيع صاعد أو نازل أن يصعد أو ينزل إلا بعلم منهم ، ولكن مع هذا كله لم ينقطع عنهم الصاعد والنازل ، والطائرات كل يوم تضرب وتدمر بتلك الصواعق .

• • •

وأُحدّث عن شيء
وقعتُ فيه : إنا كنا في عفر نزوى

فضربت الطائرةُ بقنبلة فوق الجبل ، فاهتز البيت الذي نحن فيه ، وبينهما من المسافة مالا يقل عن عشرين ميلا .

وبقي الحال هكذا ، والفريقان في تعب ، حتى شهر ذي القعدة من السنة :

تدارك الله أهل الجبل بمدد جاء عن طريق السعودية ولهذا المدد قصة عجيبة .

وهي أن من خرجوا بهذا المدد كانوا خمسين عمانيا ، على رأسهم الشهم الغضنفر : **سالم بن عبدالله الحارثي .**

خرجوا بهذه القوات في سفينة من الدمام ، حتى وصلوا صحار ،

فأنزلوها بالساحل ، وذهب بعضهم فاشترى سيارة ضخمة ، حملوا عليها مامعهم من السلاح :

تسعة من مدافع الهاون ، وحوالي مائة واربعين بندقية ، ومن الذخيرة شيء كبير ، ومن الالغامات كذلك .

فاخترقوا بسيارتهم جميع الطرق المؤدية إلى الجبل ، ومن

العجيب أنهم يسألون من يمرون عليه عن الطريق ، فيرشدونهم ، ولو كانوا جنودا للحكومة ، حتى وصلوا عند حصن العوابي : عرفوهم ، فأطلقوا عليهم الرصاص ، ولكنهم لم يؤثروا عليهم شيئا .

فلما دخلوا الوادي ألغموا الطريق ، فجاءت سيارة الجنود تابعةً لهم ، فثار بها اللغم ، فأبرقت لطائرة الهليوكبتر لتسعف المجروحين أو الموتى ، لما جاءت الطائرة ، وكان الوقت ليلا ، لم تستطع النزول فوقفت لها سيارة أخرى ، تضيء لها الأرض .

فلما نزلت اصطدمت بتلك السيارة ، فتعطل الجميع .

ووصل هؤلاء القادمون إلى بلاد : العليا :

فتلقاهم أناس حملوا عنهم ماجاءوا به ، فنفعهم هذا المدد ، وسد القادمون ثغرا كبيرا في الجبل .

وبمناسبة وصول هذا المدد كتب الإمام لبعض أصدقائه كتابا يقول فيه :

في اليوم السادس من ذي القعدة سنة سبع وسبعين ثلاثمائة وألف وصل الشيخ الولد : **سالم بن عبدالله** ، من الغربية ، وعنده عدد من رجال الشرقية ، جاءوا على سيارة كبيرة ، فاخترقوا بها جميع المراكز المعادية والمصادقة ، رغم إطلاق الرصاص عليهم ، فما أثنى عزيمتهم شيء من ذلك . حتى وصلوا بها : العليا : بلاد الأمن .

وقد وصلوا بجميع ما يحتاج إليه المسلمون ، استعمالا واحتياطا ، والحالة هنا تسير في تقدم والحمدلله . (اهـ كتابه) .

● ● ●

وفي آخر ذي الحجة :

وصلتهم معونة أخرى بقيادة الشيخ : **محمد بن خلفان الهدابي .**

وحين وصلت الساحل : حملت على ركاب لبني قتب ، فجاءوا بها على طريق بهلا ، وصعدت الركاب إلى مكان يقال له :

« كهف النضد » .

ثم حملها الرجال إلى المراكز ، وانطمست العيون عنها ، أو طمستها الدراهم كما قال طارق بن تيمور ، وقد سمعته يذكر ذلك يقول :

إن هذا المدد الذي يصل لأهل الجبل يمشي على طريق من الدراهم المفروشة تحته .

وتحتوي هذه المعونة على :

أربعة مدافع مضادة للطائرات ، وبنادق وذخيرة وألغامات وقنابل يدوية :

فرجت عنهم بعض الشيء .

وصارت الطائرات بعد ذلك لا تستطيع أن تقرب من مراكز أهل الجبال ، إلا ماكان من أمر الصاروخ الذي ضرب فجاء الناس مجتمعين في غار هنالك :

اكتشفت أولا الطائرة ، فرأت أوعية الأكل في الشمس فاستدلت أن خلفها أحدا ، فأبرقت لهذا الصاروخ ، فجاء كالبرق الخاطف ، فضرب في فم الغار ، وكان به أحد عشر رجلا :

مات خمسة منهم في الحال وجرح الباقون ، وكانوا كلهم من أهل الشرقية ، ولم يقتل من أول الحرب إلى انتهائه من هؤلاء المتحصنين في الجبل إلا خمسة وعشرون رجلا ،

هكذا نقل إليّ .

• • •

وعاد محمد بن خلفان الهدابي مرة أخرى :

وجاء بمعونة أخرى في قافلة للدروع ، ولم يكتشف خبرها حتى وصلت مأمنها ،

فبقي خصمهم في أمر عظيم ، لا يدري كيف يتصرف فيهم ؟

والطائرات لا تتوقف عن الضرب ، ولا يوما واحدا .

ومن جملتها صاروخ رأى حمارا في أصل واد هنالك ، فطارده ، فدخل مدخلا لم يفكر في الخروج منه ، فلما جاء ليخرج ، وإذا في وجهه قلة جبل ، ارتطم بها ، فسقط ، ومات طياره ، فغنم منه فرد ومدفعان .

وبعد أيام قليلة : جاء بعض الانجليز ، ومعه امرأة منهم إلى نزوى فطلبوا من المسئولين فيها أن يكتبوا لأهل الجبل ، يطلبون منهم الشخص الذي كان يقود الصاروخ(١) ، فمات . وإن هذه مخطوبته تريد النظر إليه ، فكتبوا .

فرد أهل الجبل :

إن أردتم ذلك ، فأتونا بكتاب من قنصل الدولة البريطانية إلى الإمام رأسا ، والشخص موجود معنا .

وإنما أرادوا بالكتاب من القنصل ، ليكون اعترافا

---

(١) يراد بالصاروخ قاذفات الصواريخ مجازا .

بهم من الدولة البريطانية .

وزاد الشيخ الحميري في كتابه :

إن هذا الصاروخ أسقطته مدافعنا القوية بالعزيمة الثابتة .

فكادهم الجواب ، واستعظموه ، وفطنوا لما أرادوه منهم ، فرجعوا بلا فائدة .

• • •

وفي أول صفر ، من سنة ثمانية وسبعين ثلاثمائة وألف :

دعا الإمام بالقبائل للنصرة ، يرغبهم في الجهاد . ويحذرهم الاستعمار ، وهذا نص كتابه :

« سلام عليكم ورحمة الله ، ولا خبر لدينا إلا تقدم المسلمين ، وانتصارهم في جميع معاركهم ، وفشل البغاة المعتدين وخيبتهم في جميع مقاصدهم .

أما بعد : فإن الله فرض الجهاد على جميع خلقه المكلفين ،

فأي آونة أضر من هذه الآونة التي انتهكت فيها المحارم ؟ واعتقلت فيها الأحرار ؟

فإني أدعوكم إلى الجهاد في سبيل الله ، وفي الدخول فيما فيه دخلْتُ .

فطاعتكم لي واجبة « وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم » ، فالجنة تحت ظلال السيوف .

واعلموا أن الاستعمار يخرب الديار ، و يستعبد الأحرار وإن إخوانكم المجاهدين يواصلون كفاحهم إلى آخر قطرة من

دمائهم . او يتحقق لهم النصر ، ولا زال النصر حليفنا . والله مع الصابرين » . (اهـ كتابه) .

● ● ●

فلم يستجب له أحد :

إلا فتى حبسيا ، سنذكره فيما بعد إن شاء الله .

وذلك لأن الحكومة شددت كثيرا على المواطنين .

فكانوا لا يخشونها على أنفسهم فحسب ، بل على حرمهم وأموالهم ومنازلهم ، مع أنه ليس عليهم قصور من رجال ، وإنما القصور من العتاد ؛ لأنه لم يصل إليهم إلا تلك الدفعات الثلاث .

وكل شيء لا يزاد عليه ، لابد من نقصانه .

● ● ●

خبر الحبسي :

هذا الحبسي : كان يسكن في : تنجنيكا :

ولطول ما فكرت فيه الحكومة من استئصال أهل الجبل .

وصف لهم هذا الرجل ، وأنه يجيد العربية والانجليزية قراءة وكتابة .

وأنه إذا جاء : يكون النظر غير ملتفت إليه من قبل أهل عمان .

فاختاروه عيناهم بكشف خبر أهل الجبل .

هكذا قيل ، والله أعلم بصحة هذا الخبر .

إلا أنه مما يؤيد صحته :

أنه كان من الاتفاق أني خرجت وإياه من زنجبار إلى عمان في سفينة واحدة . فكان يسألني عن أهل الجبل و يقول :

هل أنت ذاهب لمناصرتهم ؟ فإنهم يستحقون المناصرة .

أجبته على حسب الظروف التي تكون عندي .

و بعد ذلك كتب إلي : أني أستطيع أن أحملك على عشرة تأخذك الحكومة بها .

فأجبته : يد الله فوق يدك .

وبالفعل فقد التحق بأهل الجبل ، وأظهر لهم التودد ، وكانت له مواقف معهم ، وبقى حوالي ثلاثة أشهر ناصحا قائما بما يجب عليه .

لكنه لوحظ أنه يحمل قلما وقرطاسا ، و يكتب .

فلما رأوا ذلك منه : ساء ظنهم فيه ، فجعلوا عليه عيونا ، ولما فهم منهم ذلك ، وأنهم عرفوه : هرب عنهم بليل ، فأصبح لا يرى له أثر .

فنزل عن طريق العليا ، فقبض عليه جنود السلطان ، وحملوه إلى بيت الفلج ، حيث القيادة العسكرية .

ولما وصل هنالك : عرفه أصحابه ، وأدلى إليهم بمعلوماته ، وأوضح لهم كل شيء ، وجعل لهم خارطة بين فيها جميع المراكز ، والطرق التي يتردد فيها أهل الجبل ، وكشف لهم ما كان مستترا ، فشكروه ، وأطلقوا سراحه .

• • •

ولكن الله لم يهمله :

فصار من نكبة إلى نكبة أخرى :

آل أمره إلى أن أدخله والي المضيبي السجن

فمرض في السجن مرضا شديدا ، أورثه هذا المرض :

سلس البول ، وأمراضا أخرى خبيثة الرائحة ، حتى أن الطبيب سد مجرى البول ، وجعل له أنبوبا يبول من عانته ، فكان يتأذى منه الحاضرون إذا جلس بالقرب منهم .

وأرادت الحكومة أن تكافئه على معروفه : فجعلته نائب وال في « نخل ووادي المعاول » . لكنه لم تدم وظيفته لازدياد المرض عليه ، وأخيرا حمل إلى لندن فمات .

فوضع في صندوق خشب ، داخل صندوق حديد ،

وجيء به إلى المضيبي ،

وأوصى الطبيب أن لا يفك الصندوق ،

بل يدفن بجثته التي داخله ؛ لأنه إنْ فتح سيكون خطرا على الحاضرين .

فهذا ما انتهى إليه أمره ، ولله عاقبة الأمور .

● ● ●

وبسبب خبر الحبسي :

وما كشفه من خبر أهل الجبل :

صار أمر أهل الجبل في نزول ، ولم يفلحوا بعدها في مواقفهم تلك :

وكانت قاذفات القنابل تقوم من عدن فجرا ، فتأخذ نهارها كله في المطاردة ، و بعد الغروب تعود . وهكذا ...

أما الصواريخ : فإنها تقوم من الشارقة ، في ضمن خمسة عشر دقيقة ، فتأتي أولا إلى مركز نزوى فتأخذ منه معلومات الأهداف ، ثم تضرب برشاشاتها حتى تفرغ ، فتعود .

وإذا دهم الجنود أمر : أبرقوا لها ، فتجيء في أسرع وقت حيث لا يكاد يتمكن هدفها من التحفظ منها لولا تيقظهم وألفتهم لهذا ، بعناية الله لهم .

• • •

ومن المبرزين ممن ماتوا من أثر هذه القنابل :

الشيخ محمد بن خلفان الهدابي

والشيخ سيف بن أحمد بن عبدالله الهنائي

ومن سبق ذكرهم من أهل الشرقية .

• • •

وأخيرا تنمروا :

فصاروا يقتحمون إلى الموت بلا مبالاة

وما همهم إلا نكاية عدوهم ، حيث يعلمون له مقرا .

و يتمثلون بقول أبي الطيب :

يموت راعي الضأن في جهله
ميتة جالينوس في طبه
وربما زاد على عمره
وزاد في الأمن على سربه
وغاية المفرط في سلمه
كغاية المفرط في حربه
فلا قضى حاجته طالب
فؤاده يخفق من رعبه

• • •

وأخيرا جلبوا حميرا :

نحوا من خمسمائة حمار ، ذكرت إذاعة لندن :

أن الملكة أهدتها للسلطان ؛ ليحمل عليها المواد الغذائية والطبية . و يقال انها جلبت من السنغال .

وصاروا يدربونها في جبال غلا ؛

لتتمكن من الصعود إلى الجبل الأخضر بسهولة .

فكان بعض المدربين أتعبه حماره لعدم قبوله التدريب ، فرماه بمسدس ، و بعد ذلك فرقت الحمير في المراكز .

●●●

ثم جلبوا كلابا من أوروبا ؛

لتطارد أهل الجبل ، ولكنها لم تنفعهم بشيء .

فكان أهل الجبل يقولون : الكلاب لا تصيد الأسود .

واستمر الحال ، ولكنه في ضعف على أهل الجبل ، وقوة لخصمهم

وما ضعفوا من جهة المواد الغذائية ، فإنها معهم كثير .

●●●

أخبرني من أثق به :

أنه اجتمع عندهم ثلاثمائة جونية عيش ، ومن القهوة والسكر والتمر شيء كثير .

وإنما قصورهم إلى الأشياء التي تأتي إليهم من الخارج :

فملوا ، وضجروا .

والناس ذوو تقلبات وأفكار :

وما ذاك من بغض لها غير أنه
يرجى سواها فهو يهوى انتقالها

• • •

وذات ليلة :

وكانوا في أمان حسب العادة ،

فما شعروا إلا بالجنود وقد أحاطت بهم :

يانائم الليل مسرورا بأوله
إن الحوادث قد يأتين أسحارا

• • •

فما شعروا إلا بالجنود وقد أحاطت بهم : تلقيهم الطائرات بالمظلات ، لا يدري الصديق صديقه ، ولا العدو عدوه :

وهذا ما نفع زعماء الجبل : حتى تمكنوا من الخروج ، والانسلال خفية ، ولم يزالوا في خفية حتى خرجوا من عمان .

ووصلوا الى المملكة العربية السعودية

وهكذا انتهى أمر الإمامة

فكانت مدتها مع الاختفاء بها أربع سنوات وستة أشهر .

ومن الاتفاق بقى الإمام في إمامته ثمانية عشر شهرا . وفي اختفائه ثمانية عشر شهرا ، ومدة ظهوره في المرة الثانية ثمانية عشر شهرا .

ولما بلغ السلطان احتلال الجبل : سأل عن المقاومين : أين هم ؟

أجابوه : إنهم اختفوا ، ولا ندري عنهم شيئا .

فقال : إذاً ما صنعنا شيئا .

إن الأسود أسود الغاب همتها
يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

• • •

وبعد ذلك شفى الجنود غيظهم من المواطنين :

فكم من بيوت نسفوها .

وكم من أنفس أزهقوها .

وكم من أموال أتلفوها .

وكم من حسرة أورثوها .

ولا حول ولا قوة إلا بالله .

• • •

وصفا الجو للسلطان ، ولم ينازعه منازع في عمان :

وما هي إلا دولة إثر دولة
تخول ذا نعمي وتعقب ذا بلوى
إذا أنزلت هذا منازل رفعة
من الملك حطت ذا إلى الغاية السفلى

• • •

ولكن السلطان سعيد بن تيمور :

استحوذ على عمان ، ولم ينفعها بشيء ، بل كان عبئا على أهلها .

حسودا ، حقودا :

وكل امرىء يولي الجميل محبب
وكل مكان ينبت العز طيب

ولم تزل عمان هكذا في كابوس من حاكمها

حتى قيض الله لها من أنار لها السبيل

وفك عنها الإسار .

ورفع رؤوس أهلها في الداخل والخارج .

ابنه الذي سلطه الله عليه « من مأمنه يؤتى الحذر » .

فكان ذات يوم آمن في بيته في صلالة

إذ هجم عليه ابنه قابوس بمن معه ، وكان هو متيقظا للأمور ،

يقال عنه : أنه ترك في كل مكان سلاحا ، حتى في الحمامات .

ولكنه لما حان القدر ، لم يغنه الحذر

ولو نفع الحذر أحدا : لنفع الزباء . وهي أمنع من عقاب الجو .

ولنفع أمبراطور الفرس : **محمد رضا بهلوي** ، وهو من القوة والحراسة بحيث لا يخفى حاله ، فخرج من بلاده يحمل منها ترابا بشمه فقط .

ولنفع أنور السادات حين أحاطت به جنوده ، فهو كالنواة في التمرة لشدة الجنود التي أحاطت به ، فلما أصابته الرصاصة ، وانقلب الكرسي فوقه ، قال :

مش معقول أن أبنائي يضربونني .

• • •

فلينظر الإنسان ، وليقدم لنفسه خيرا يرجع إليه .

• • •

وتاريخ قابوس ليس من شأننا ؛ لأنه تبدل الحال غير الحال ، وملأت الصحف من تاريخه ، كما ملأ هو الأكف من نضاره ، ولله عاقبة الأمور .

نسأل الله الذي بيده كل شيء ، أن يحمي عماننا من كل سوء ، ومن أرادها بكيد فنسأل الله أن يرد كيده في نحره ، وأن يجعل تدميره في تدبيره .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله .

والحمد لله رب العالمين .

● ● ●

ظهر الأربعاء ٢٠ جمادي الآخرة ١٤٠٥ هـ

١٣ مارس ١٩٨٥ م

نقله أبو عـــلاء

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة في الفكاهة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين ، وآله وصحبه أجمعين .

أما بعد : ـــ

فلما فرغنا من إبراز ماحفظنا ، رأينا أن نجمم القلوب بذكر شيء من الفكاهات العمانية ، كما قال الصديق ـــ رضي الله عنه ـــ : « جمموا القلوب تعي الحكمة » .

وكما قيل : إني لأستجم قلبي بشيء من اللهو ، لأقوى به على الحق » .

وفي الأثر : أريحوا النفوس ، فإنها تصدأ كما يصدأ الحديد » .

● ● ●

يدور الحديث بين الناس :

أنه في آخر الزمان تكثر النساء ، حتى لايجدن رجالا ، فتخطب المرأة الرجل ، وتدفع له « جزل تمر » .

فذات مرة : كان رجال مجتمعين ، فمرت امرأة حاملة الجزل ، فناداها واحد من الحاضرين ، وقال : أنا .

قالت : « يوم غايته بنجيّى » .

فما زاد ، ولا زادت ، معناها : إذا حان الوقت سأختار :

● ● ●

قلت : هذه القصة شبيهة بقصة الأديب الذي وقف على جسر « الرصافة » .

قال : فمرت امرأة على رجل .

فقال لها : لله درعلى بن الجهم .

فقالت : لله در أبى العلاء المعرى .

ولم يزيدا على ذلك .

قال الأديب : فقلت للمرأة : ماذا تقصدان ؟

فقالت : قال هو : لله در علي بن الجهم ، يريد قوله :

عيـــون المــهـا بين الـرصـافـة والجسر
جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

فقلت له : لله در أبي العلاء ، أريد قوله :

أيــا دارهــا بــالخـيــف إن مــزارهــا
قــريــب ولــكــن دون ذلــك أهــوال

أ . هـ .

رجل لدغته عقرب :

و يقال : إن من لبدغته عقرب بأتي إلى حمارة ، فيقول في أذنها : « لدغتني عقرب » . فتبرأ اللدغة .

فجاء هذا الملدوغ ؛ ليسر بذلك إلى حمارة كانت بالقرب منه ، فرمحته في وجهه ، فذهب يعاني ألمين ، بعد أن كان ألما واحدا . أ هـ .

● ● ●

ـ وكانت امرأة كثيرة الصلاة :

فإذا جاء زوجها إلى البيت وجدها تصلي ، فينتظرها حتى يغلبه النوم ، وهكذا كل يوم ، لم يستطع معاشرتها .

فقال لها ذات يوم : « سمعت المطاوعة يقولون : إذا جامع الرجل امرأته ، فكأنهما قتلا كافرا .

فلما جاء ذات ليلة بعد العشاء ، وجدها تنتظره .

فقالت له : « نقتل كافرا » .

و بعد فراغهما ، قالت له : « نقتل كافرا آخر » .

فقتلا في تلك الليلة خمسة كفار .

فأرادت منه أن يقتل السادس ، لكنه قال لها ــ وقد مل القتل ــ : صل ، فإن سيف علي بن أبي طالب لم يكمل الكفار ، ما كنا نحن لنكملهم ، وهرب عنها . أهـ .

● ● ●

واصطدمت سيارة « صالون » بتنكر كبير ، فدخلت تحته ، فمر عليهما : حبسى :

فقال : دخلت ترضع . أهـ .

● ● ●

والتقى بدوى ببدوية ، فقال لها : ما اسمك ؟

قالت : « لحيتك » .

قال : إذن أنت اسمك (عزيزة) .

وما اسمك أنت ؟

قال : « تالي ليل » .

قالت : إذن أنت اسمك « صباح » .

فظهر أن اسمها الحقيقي هو ذاك . أهـ .

● ● ●

كان رجل عماني يسوق سيارة : لكنه لايعرف أن يردها إلى الوراء ، فجاء أمامه ضابط المرور ، وكان انجليزيا ، فاستوجب الرجوع إلى الوراء ، فإذا قال له أنه لايعرف أن يرد السيارة على الوراء ، سيناله جزاء من الضابط .

لكن قال : نحن العرب لانرجع إلى الوراء ، فإن شئت فارجع أنت ، فرجع الضابط .

● ● ●

كان طبيب يعالج الناس بالحدس : يجس المريض ، فيعرف مرضه ، و يصف له الدواء فيبرأ .

وكان عنده ولد ، قال له : أنا أكفيك هذا اليوم ، فأذهب إلى فلان المريض .

قال له : لا تفضحنا .

قال : بل أنا ماهر في هذا العمل .

فدخل على المريض فجسه ، ثم قال له : « لعلك أكلت لحم حمار » .

قال : معاذ الله ، أيؤكل الحمار ؟

فخجل المتطبب ، وخرج ، وسأله أبوه .

قال : لما دخلت رأيت بردعة الحمار ، ولم أر الحمار بجنبها ، فقلت في نفسي : إنهم أكلوا الحمار ، فضرهم لحمه . أ هـ .

• • •

كان رجل يكتسب على نفسه وعياله على ظهر ثور :

وفي يوم من أيامه ، وقد رضي عن الثور ، وكان عنده زوج و بنت ، وكانا ثقيلي السمع ، فلما حضروا للغداء .

قال : هذا الثور لا تأتى به الأثمان .

فقالت الزوجة : نعم هذا الخبز صنيع بنتك .

فقالت البنت : أنتما مفوضان في الزوج الذي ترضيانه لى .

فكل منهم عبر عما في نفسه .

فالرجل يهمه الكسب .

والمرأة يهمها الجوع .

والبنت يهمها الزوج . أ هـ .

هجم لص على امرأة وحيدة في بيتها .

وقال لها : أنا جبرائيل ، أمرني ربي أن آخذ من هذا البيت ما شئت .

قالت المرأة : وكانت ثابتة الجأش : أهلا وسهلا برسول ربي ، ادخلْ في هذه الحجرة التي فيها ذخائرى ، لتأخذ ما شئت منها ، ولما دخل ، أغلقت عليه الباب ، واستغاثت بجيرانها ، فناداها : افتحى الباب لأخرج .

قالت : لا أستطيع ، أخاف أن يبهرني نور وجهك يا جبريل .

فجاء الجيران فقبضوا عليه . أ هـ .

●●●

وكانت امرأة دائما تقول لولدها :

أنا فداؤك ، عسى أن أموت قبلك ، وتلهج بمثل هذا الكلام .

فأراد أن يختبرها ، فقال لها ذات ليلة : أنا ذاهب إلى المكان الفلاني ، فخرج عنها ، وتنكر ، ودخل عليها في حالة منكرة ، وبيده شعلة نار .

فقال : أنا ملك الموت ، جئت لأقبض روحك .

قالت : وما يفديني ؟

قال : لايفديك أحد ، إلا أن يكون ابنك : إما أنت ، أو هو ؟

قالت : هو في المكان الفلاني ، فاذهب إليه .

فخلع ما كان عليه ، وقال لها : أين ما كنت تلهجين به ؟ علمت ذلك . فاستحيت . إهـ .

●●●

وسافر قوم في سفينة : فأصابهم طوفان ، فقام واحد منهم يبكي .

قيل له : ما يبكيك ؟

قال : أخاف الغرق .

قالوا : « الله كريم » .

قال : أخاف ، لأن الله كريم ، أخاف أن يكرم بي سمكة . إهـ .

● ● ●

وجاء بدوى إلى الشيخ : سالم بن حمد البراشدي ، وعنده أخته .

فقال للشيخ : أريد أن تزوجني بأختي .

قال الشيخ : هذا لايجوز .

قال البدوى : تظنه لايجوز .

قال : أنا على يقين .

فخرجا عنه ، ورجعا إليه بعد ساعة ، يقول البدوي : أيها الشيخ « جربناه فجاز » وأنت تقول : لايجوز .

قال : كيف جربته ؟

قال : دخلنا في ذلك البيت ، فأدخلت متاعى فيها ، فدخل .

فقبض عليهما الشيخ ، وأرسلهما إلى الإمام ، والبدوي يعنى بلايجوز أنه لايدخل ، كما هو العرف معهم .

● ● ●

كان رجل يصلي بالناس التراويح : وكان يدعو لنفسه : اللهم ارحمنى ، اللهم عافنى ، اللهم أعطنى .

ضبحا » فصاح « ولد النار » بطول صوته :

اسمع ولد راعي الفرظ كيف قرأ « من تيه » يعنى الإمام الأول ، وانثه .

• • •

وكذلك خادم يخص الحجريين يحب الخيل : فاشترى ابنه فرسا عجوزا هزيلة .

فقال له أبوه : يا ولدى . ماتريد بهذه الفرس العجوز الهزيلة ؟

قال : يا أبت . إن ماتت في ميزان الحسنة ، وإن عاشت واحوفهم .

فصاح أبوه بأعلى صوته : « واحوفهم ، واحوفهم » يعنى : ويل لأهل الخيل منه .

• • •

ومن حبه للخيل : زار « سعيد بن محمد الحارثي » «بدية» .

وكان الوقت شتاء ، فما وجد لفرسه مكانا يكنها فيه عن البرد .

فقال له هذا الخادم : أنا عندي مكان ، ولم يكن عنده إلا حجرة واحدة ، تنام فيها زوجه وكانت نفساء ، فأخرجها إلى بيوت الجيران ، وأدخل الفرس في الحجرة حتى الصباح .

وكان يقول للوالد عبدالله بن حميد : وقد رآه راكبا حمارا ، لا أسلم عليك ؛ لأني أبغضك حين لم تركب فرسا . أ هـ .

• • •

وزار الإمام الخليلي في نزوي : ولما هم بالرجوع ، وهو يشد على الفرس تحت القلعة ، يقول لها : ما أبعدك من نزوى ، وأقربك من « شنتف » و : شنتف : ابنته .

• • •

وكذلك خادم للحرث يحب الخيل ، فجاء يوما إلى الوالد : عبدالله بن حميد الحارثي :

يقول له : أرسلني عيسى إلى إبرا . فأعطني حصانك أذهب عليه .

فقال له : خذ نصف قرش ، واستأجرْ حماراً من البلوش ، فغضب ، و بعد أيام مر عليه وهو على ظهر فرس .

وناداه : هل لك حاجة في : وادي نام ؟

« يريه أنه غير محتاج إلى حصانه ، و يذكره بالقصة الأولى » .

فقال له : لي حاجة ، خذ هذا القرش ، فأت لنا بدجاج من هناك » ، وكان ذكر الدجاج عيبا كبيرا ، فضلا عن شرائها وقبضها باليد ، فما نبس بكلمة .

• • •

وجاء رجل حجري : إلى الشيخ عبدالله بن غابش في وقت القائلة ، فأزعجهُ بشدة طلبه لخروجه .

فلما خرج ، قال : نظمت قصيدة ، وأخاف أن يذهب عني مطلعها ، فأت بقرطاسة وقلم ، فاكتبها عني .

وقال له : كيف المطلع ؟

فقال :

بنو عيسى بنزوى قد أحاطوا
كسيل قد تحدر بانحطاط

فقال الشيخ : « حي همطلع .. حي همطلع » ودخل وسد الباب . أ هـ .

• • •

وكانت « دبي » في الزمان الأول : من أراد أن يقضى حاجة الخلاء ، يذهب الى الساحل ـ الرجال والنساء ـ وكان رجل حبسى بدت له حاجة ، فقعد ليقضيها ، وعليه بشت فاض من خلفه على الأرض .

فجاءت امرأة وقعدت دُوَيْنَ الرجل ، ولم تره لشدة الظلام ، ففرغت ما في بطنها ، فسال أكثره على البشت ، ولما فرغت .

قالت : « هاقد استرحت » .

فقال الحبسى : « استرحت أنت ، وشقيت أنا » .

فخجلت المرأة ، وهربت ، و بقى هو مبتليا ببشته . أ هـ .

• • •

وكان رجل حبسي يتحدث عند السلطان فيصل : « فضرط » فبدل أن يستحى ، التفت إلى مقعدته ، وقال لها : تحدثي ، نحن ليس علينا حاجة ، فضحك الحاضرون والسلطان .

• • •

وآذت قبطان السفينة لحيته : ولم يجد من يحلقها له .

فقال لمن في السفينة : من يتجمل فيحلقها ؟

قال الحبسى : أنا ولى الشرف أحلقها ، « شغر » يعنى من تحت إلى فوق .

فيقال : هناوي حلق لحية غافرى . أ هـ .

● ● ●

وأصابهم طوفان :

وكـان من عادتهم ، إذا أصابهم طوفان يرمون بعض الأمتعة في البحر، ليخفف ثقل السفينة ، فلما قاموا يرمون الأمتعة ، رمى الحبسى « برشبة للنوخذة » فلما جاء ليستريح إليها بعد الارهاق لم يجدها .

قال الحبسى : رميناها .

فـغـضب النوخذة وقال : لم تجد ما ترمى غير الرشبة وهى غير ثقيلة .

قـال الحـبسى : نـرمـى أمـتـعـتـنـا الـغـالـية ، وتبقى رشبتك الرخيصة . أ هـ .

● ● ●

وكـان رجل يحمق : وله أخ أكبر منه يدبر أموره ، و يرسله في بـعـض الأحـيـان ، وكـانا يسكنان مضيرب ، فأرسله يوما إلى سـوق « إبـرا » إلى صـاحـب لـه ليبيع له جراب تمر ، شد الجراب فـوق الحـمـار ، وأركبه خلفه ، وقال له : قل لصاحبنا : يبيع هذا الجراب ، و يعطيك ثمنه .

فـسـار الحـمـار ، ولما خـرج مـن البلد ، وجد مرعى ، فأخذ يـرعـى ، و يـتـردد مـن مـكـان إلى مـكـان حتى رجع إلى البلد ، وشرب من الفلج ورجع إلى بيت صاحبه .

فخرج أخوه ، فوجد الحمار على الباب ، وأخاه على ظهره مع الجراب كما وضعهم في أول الصباح .

فلما رآه ، قال له : السلام عليكم ، يقول لك أخي : بع هذا الجراب .

فانتهره الأخ ، وقال : أين أنت ؟

قال له : ألست أنت الدلال الذي أرسلني إليه أخي .

فقال الأخ : إنا لله وإنا إليه راجعون . أ هـ .

• • •

وأرسله يوما إلى سوق إبرا : ببقرة إلى صاحبه ليبيعها .

وقال له : إن وصل ثمنها ثلاثين قرشا يبيعها ، أما بأقل فلا .

فوصل إلى نصف الطريق ، وقال في نفسه : ما قال لي أخي : إن وصل ثمنها اكثر من ثلاثين ، نبيعها أم لا ؟

فربط البقرة في سمره ، ورجع إلى أخيه ، وقال له بما حدثته به نفسه .

فقام أخوه ، وذهب إلى البقرة فردها من حيث ربطت .

قلت : وتشبه هذه القصة ما يوجد في كتاب « المستطرف » : أن رجلا أرسل ابنه ليشتري له حبلا للبير طوله كذا . كذا ، فوصل إلى جانب من الطريق ، ورجع إليه ، وقال :

يا أبت : أخبرتني عن طول الحبل ، ولم تخبرني عن عرضه كم ؟

قال أبوه : عرض مصيبتي فيك .

• • •

وقال يوما هذا الاحمق لأمه : أريد أن أتزوج ، وأنت ليس عندك الآن زوج وما يجمل بنا أن نأتي بامرأة من جانب ، وأنت في البيت ، فالأحسن أن أتزوجك أنت ، ولا نتكلف مئونة أكثر .

فقالت : خبت يا أحمق ، موتك خير من حياتك .

● ● ●

وأرسله أخوه يوما : ببطيخ ليبيعه في سوق إبرا ، فسقط عليه في الطريق ، فربط الحمار ورجع إلى أخيه .

وقال له : سقط ثوج البطيخ ، فتعال معي نرفعه .

قال له : ياخسف ، البطيخ يرفع واحدة واحدة لا يحتاج إلى مساعدة .

قال : أنا ظننته مثل الجراب يحتاج إلى اثنين . أ هـ .

● ● ●

وكان محمد بن سالم بن عمير : رقادا ، وكان ذات يوم نائما في المسجد فأيقظوه ليذهب إلى بيته ، وكان في الطريق سدر تحته شوك كثيف ، فلما وصل تحت السدر ، سجد يظن أنه يصلي ، فشاكه الشوك في ركبتيه ووجهه ، فصاح يا ألله .

● ● ●

وذات ليلة جاء من إبرا : إلى بيته في المضيرب ، فربط فرسه تحت المسجد ودخل يغتسل في الفلج ، فنام في الفلج حتى أصبح ، وللفلج خرير من تحته .

وفي أثناء ذلك جاء المؤذن ليتوضأ لصلاة الصبح فسمع خرير

الفلج ، ورأى الرجال فظنه ولده مقتولا ، فصاح بأعلى صوته ، فانتبه محمد ، فشتمه المؤذن يقول : أدخلت علينا الرعب . أ هـ .

• • •

ونام عبدالله بن سلوم : في بيت مهجور ثلاثة أيام بلياليها لم ينتبه ، وأهله وجماعته منتشرون يفتشون عنه ، لايدرون ماذا صار عليه حتى رجع إليهم بعد ثلاث .

• • •

وكان الشيخ صالح بن علي : يرسل الى القبائل في الخطابات ابن عمه حمود بن حميد ؛ لأنه كان مفوها .

وأرسله الى الحجريين في أمر يعارض بعضهم فيه .

وكان ضده مسلم بن عبيد الحجري .

وفي مرة التقيا على باب مجلس ، فقال مسلم : « ان ثار من فوجها واحد ياها واحد » فوجها يعنى فوقها ، و ياها جاءها ..

فقال حمود : « لكن الأول على نكاح والثاني على سفاح » . أ هـ .

• • •

ويحكى أن حاكما على بلد متسلط عليها : لايبالي بأخذ البريء بذنب المجرم ، وقد سلط « صوارا » لقبض الحيوانات المطلقة ، فإذا جاء له بشيء منها غرم صاحبها وعذبه .

وذات يوم جاء الصوار إلى أرض عليها سور ، فرأى حمارة مطلوقة فيها ، فدخل ليقبضها ، فقال له صاحبها : أتعرف الحمارة لمن ؟

قال : نعم . لك .

قال : وتعرف الأرض لمن ؟

قال : لك .

قال : هل أمرت أن تقبض حمارتي من أرضي ؟

قال : أقبضها ولا أبالي .

وقد عرف الرجل أنه لابد له من الأدب من هذا الجبار ، فقال : الأفضل أن يؤدبني على ذنب ، فأخذ عصى وأطلقها على الصوار حتى أوهنه ، وجعل دمه يسيل من عقبيه ، فترك الحمارة ورجع إلى أميره يشتكي إليه ، ويخبره بما وقع .

قال له الحاكم : ما حل بك فهو جزاؤك ، أتنسب إلي ما لا آمرك به ؟

أ هـ ..

•••

وكان علي بن صالح الحارثي : وسعيد بن حميد الحجري صديقين .

وكان سعيد كثيرا ما يزور عليا و يطلبه للزيارة و يعاتبه على عدم مبادلته بها .

فاتفق ذات يوم أن ضلت ناقة لعلي تبعها من أول الصباح إلى أن وجبت عليه الظهر في «الواصل» .

وكان به عطش وجوع شديدان ، فحدثته نفسه بالدخول مع صديقه وكان يسكن الواصل .

فلما لقيه قال سعيد لعلي : جيت وقد فات الغداء ، فاقعد انتظرني حتى أصلى .

فلما جاء بعد الصلاة ، جاء بدلة قهوة، وقال له : اشرب من هذه القهوة لامزيد عليها . (كويتيه) .

ثم قال له : قم فانظر ما جمعناه من التمر ، والمسه بإصبعك .

قال علي : فلمستها وانا في شدة الجوع ، ولم تسمح له نفسه بأن يعطيني من ذلك التمر ولو قليلا .

وكانت جرة من تلك الجرار : كمنت فيها عقرب ، فوضعت إصبعى فيها .

فلسعتني ، قال : هذه الجرة لأمي .

قلت : ما قصرت جرة أمك .

فاكتفيت بتلك اللسعة عن الأكل والشرب ورحت عنه بخفى حنين .

● ● ●

وجاء سعيد هذا مرة إلى مضيرب : يقول : إن لى حاجة كبيرة . كبيرة . ماسة لايكفيني غيرى إياها .

فسئل ما هي الحاجة ؟

فقال : خيوط لمفاتيح .

● ● ●

وكان لايخلو من حكمة : يحدث عنه الوالد سليمان بن حميد يقول :

وجدني سعيد هذا وقد أخذت فرسا طاعنة في السن ، فقال لي : « عليك بالصغير ان كنت غريرا » .

وقال لى : أحذرك من معاملة الحجريين ، « فإن الحجري حجارة - إن سقط عليك هشمك ، وإن سقطت عليه هشمك » .

● ● ●

وجاء ولد غريب عند الحبوس : وكان يشبه واحدا منهم ، لايشك من يراه أنه ولده ، فأومأ الحاضرون إلى الرجل أن

يسأل الولد عن وجه الشبه الذي بينهما ، وألحوا عليه في ذلك .

فقال للولد : أكنتم تحضرون هنا أيام القيظ ؟

قال : إن أمي امرأة فاضلة ، ولكن أبي كان يحضر هنا .

فقال الحبسي لأصحابه : استرحتم وسبهم .

● ● ●

وكانت نخلة الرطيبي : تجود كثيرا في السباخ من سفالة إبرا ، فاشترى الحبسي صرمة من هذه النخلة .

وقال لواحد من أهل السباخ : اصحبني إلى المضيبي حين أفسل هذه الصرمة .

تكلم أنت أعلى منها ، حتى تحسب أنها مغروسة في السباخ .

● ● ●

وكان عند محيسن بن سعيد : حمار عاهر ، إذا انطلق يحتاج إلى أمة من الناس تقبض عليه .

فانطلق ذات يوم ، فتسلطت عليه أتان « صارف » فعلاها وعلا ها وعلاها قدر عشرين مرة ، ثم هرب عنها ، فدخل خربة وركز رأسه في الحائط ، فلحقته وقامت تعلوه وهو لايتحرك ، حتى أتاه صبي صغير فأنقذه منها ، وانقاد لهذا الصبي بعد ما كان يحتاج إلى أشداء من الرجال ، فضرب به المثل ، فقالوا : « مثل حمار محيسن » .

● ● ●

يحكى أن رجلا افتقر ، وصار لايجد عشاء : فقال لزوجته : نخرج من هذا البلد إلى بلد لايعرفنا فيها أحد .

فخرجا ، ودخلا بلدا بعيدا عن بلدهما ، وعند وصولهما وهما يترددان ليجدا محلا ينزلان فيه ، ساقهما الطريق الى قرب منزل حاكم ذلك البلد ، فرأيا ولدا للحاكم خرج من المنزل ، وسقطت منه درة ثمينة ابتعلها ديك كان خلفه .

فاضطرب أهله ، يلتمسون تلك الدرة ، ومن يحسب لها .

فقال هذا الغريب : أنا عندي علم في الحساب .

فطلبه الحاكم ، وطلب منه أن يحسب لتلك الدرة .

فاستمهله يومين ، فأعطاه مأوى يأوى اليه حتى يتمكن من الحساب ــ فكان أول فتح له ــ .

وبعد انقضاء المهلة ، قال للحاكم : أرى أن هذه الدرة في حوصلة طائر أهلي ، فهل معكم طيور أهلية ؟

قال : نعم .

فحشرت له .

قال : أرى في الحساب أنها في حوصلة هذا الديك فذبح في الفور ، وظفروا بالدرة ، فأكرمه الحاكم إكراما زائدا وقربه إليه .

فقال لزوجته : هذه ورطة ، نخاف أن نقع في مثلها ، فنفتضح وبينما يدبران رأيا للهرب : إذا بخزينة الحاكم تصبح مسروقة فدعى بالحاسب ، وطلب منه أن يحسب من سرق الخزينة .

قال الحاسب لزوجته : هذا ما كنا نتوقعه ، وأرى من الرأى أن نهرب في الليل فإذا رأيت : بنات نعش : تكامل طلوعها ، فأخبريني : فهو وقت هادىء مناسب لخروجنا .

ولما كان الحظ حليفهما : جاء اللصوص ؛ يتحسسون عند بيته خوفا منه أن يكون عرفهم .

فصادف وصول واحد منهم ، عند طلوع أول نجم من بنات نعش .

فقالت المرأة لزوجها : طلع الأول منهم : تعني النجم : واعتقد اللصوص أنهم المعنيون ، فدقوا عليهم الباب ، فخرج إليهم ، فقالوا : نحن وصلناك مستجيرين بك أن لا تفضحنا ونرد المال .

فانتهز الفرصة ، وحقق لهم ظنهم ، وهددهم وقال : لو لم تجيئوا لكنتم في داهية :

ردوا المال ، وعلى أن لا أفضحكم .

فردوا المال كله ، وأصبح يسلمه إلى الحاكم بكل هدوء .

فسأله عن اللصوص . قال : مالك رد إليك ، وليس لك على اللصوص سبيل ، إلا ان عادوا .

فازداد به إعجابا ، وله إكراما .

● ● ●

فقال الحاسب لزوجته : « مافي كل مرة تسلم الجرة » .

فأرى أن أتخذ حيلة نخرج بها من هذا البلد ، وليس أنفع لنا من إظهار الجنون الذي به تختل الذاكرة ، فيحصل العذر .

فنزل يغتسل .

ثم خرج عاريا وعورته بادية يركض في الطريق حتى دخل بيت الحاكم بلا استئذان ، فدخل غرفته وهو نائم مع زوجته على سرير فيه سلسلة يُجرُّ بها ، فجرها إلى خارج الغرفة ، وهما باهتان : فما أن خرجا إلا وسقط سقف الغرفة خلفهما .

فقالا للحاسب ما هذا ؟

فانتهز الفرصة وقال أيها الحاكم : جاءني في الحساب أن السقف يسقط هذه الساعة ، فما تمالكت أن ألبس ثيابي خوفا على حياتكما ، فهذا الواقع .

فشاطره نصف مايملك ؛ لأنه أنقذ حياته .

قلت : وهكذا الحظ إذا أقبل ، كما دعت الأعرابية لابنها فقالت : اللهم ارزق ابنى حظا تخدمه به ذو العقول ، ولا ترزقه عقلا يخدم به ذوى الحظوظ » .

● ● ●

كما يحكى أيضا: أن الحظ تمثل لحمار في البرية ، وكان الحمار هزيلا ، فيه دبر كثير ، فقال له الحظ : هل تريد أن أدخل فيك ؟

قال : نعم ، وتنقذني من هذا التعب .

فدخل فيه ، فإذا بثلاثة من اليهود خرجوا متنزهين ، ووجدوا هذا الحمار .

فقالوا : هذا « حمار عزير » كيف ترك يتعذب ؟

فأخدوه ، وخصصوا له مكانا ، وغسلوه ، وأحضروا له العلف والماء ، و بالغوا في إكرامه ، حتى سمن واستراح .

فجاءه الحظ فقال : كيف أنت ؟

قال : أنا في نعمة ليس عليها من مزيد .

قال له : هل استكفيت منى ؟

قال : نعـــــم .

قال : إذن أخرج عنك .

فلما خرج : إذا بحاخام اليهود يدخل على أصحاب الحمار فيخبرونه .

فقال لهم : هذا كفر .

كيف تأخذون حمارا من البرية فتنسبونه إلى العزير . ؟ هذا لايصح ، فاطردوا الحمار وتوبوا إلى الله .

فألقوه من مكان عال ، فتكسر ، فمر عليه الحظ فقال : كيف رأيت ؟

قال : ادخل في مرة أخرى .

قال : لا أنفعك .

فعاش ذلك الحمار في شقاء حتى مات .

● ● ●

ونام أناس : في مكان ، فاحتلم أحدهم ، وقبض على ذكره أن يخرج المنى في إزاره ، وقام ليفرغه في الخلا ، فاصطدم بأحد أصحابه ، وانفلتت يده ، فصب كل ماقبض عليه في وجه صاحبه ، وثيابه ، فانتبه بهذا الوابل يصب عليه

● ● ●

كان رجل : يسمى مرزوقا ، اشترى جحشا ، وهويسكن المضيرب فكان كل يوم يذهب إلى القابل ، يشترى للجحش طعاما .

فقيل له : لأى شيء تذهب القابل كل يوم ؟

قال : لأشترى طعاما للجحش .

قيل له : ولأى شيء الجحش ؟

قال : لآتى عليه الطعام .

● ● ●

أذكى من سمعت عنه

يضرب مثل : و يقال :

أدل من ولد العنص

وسبب هذا المثل أنه : أغار رجال من الجحاحيف عندهم واحد منهم يقال له : ولد العنص ، أعمى .

فلما كانوا في أثناء الطريق في البرية ، سقطت على ولد العنص سكين ، فأراد أصحابه أن ينزلوا إليها .

فقال : إنا مدركون ولما رجعوا بعد مدة ، و وصل إلى ذلك المكان ، قبض على ناقته ، وقال لأصحابه :انزلوا للسكين تجدوها بين يدي الناقة ، أو بين رجليها .

فنزلوا فوجدوها .

فضرب به المثل في الدلالة

●●●

ومثله أيضـــــا :

رجل عنده أغنام : ولد له في ليلة خمسماية بهيمة .

فلما جاءت الليلة الثانية ، وأراد أن يدخلها في الزرب عن الوحوش ، صارت زوجته تناوله إياها ، الواحدة والثنتين والثلاث ، وهو يعدها .

فقالت الزوجة : كملت .

قال : بل بقيت واحدة ، وهي بنت فلانة ، فالتمستها ، فوجدتها منضوية تحت شجرة « فكيف هذا الذكاء لو كان في طلب العلم » ؟!

وفي صبيحة تلك الليلة التي ولد فيها البهم ، أصبحت أمهاتها في الرعى ، ولما رجعت في المساء : كل بهمة قصدت أمها ، وكل أم وقفت لابنها من دون أن يريا بعضهما البعض

قبل ذلك .

فسبحان من ألهم كل شيء مصلحته .

● ● ●

أصبر من رأيت

كنت في القاهرة : وكنت أسير في سكة الحديد ، فلقيت رجلا يقود خمس بقرات ، كل بقرة معها بنتها ، فكانت عشرا بجمعها حبل واحد ، وتلك البنات يلتفتن يرضعن أمهاتهن .

والأمهات يتوقفن لاجلهن ، وكلما جر واحدة من تحت أمها ، دخلت الثانية ، فيجرها ، والثالثة والرابعة والخامسة ، وكلما جز واحدة وسار إلى الأخرى ، رجعت الأولى وهكذا .

فبقيت أنظر إليه حوالى نصف ساعة ، وفي هذا النصف الساعة لم يقطع مسافة خمسين مترا ، وما سمعت ذلك الرجل تفوه بكلمة تدل على ضجر ، ولا غضب على تلك البقرات أو ضربها أو انتهرها ، اللهم إلا أنه قال : هذه حالة تجنن :

فتعجبت لصبر ذلك الإنسان . **فقلت : هذا أصبر من رأيت ..**

● ● ●

ولما كان الشيخ الأغبري : واليا على وادي بنى خالد ، جاءه رجل يشتكى من أخيه أنه سرق عليه جراب تمر .

وكان المسروق غنيا بخيلا ، والسارق فقيرا كريما ، فأنكر السرقة .

فقال الشيخ للمسروق : هذا أخوك سرق هذا الجراب ليكرم به الناس ، وأنت ليس فيك منفعة لأحد .

فانتصر السارق وقال : صدق الشيخ ، أنا أكرمت به الناس ، واعترف ، فأمر الشيخ بإلزامه .

● ● ●

أسوأ حالة رأيتها

في بومبي وأنا مار في الطريق رأيت رجلا مقعدا على حائط حديقة وعليه ثياب متمزقه يتصدق عليه المارون في الطريق بالأكل وليس له مخزن إلا بطنه يأكل كلما يتناوله وما يخرج من بطنه أكوام خلفه منه اليابس ومنه ماله ثلا ثة أيام ومنه ماله يومان وكلما خرج من بطنه كومة زحف عنها وهكذا وكانت الأكوام خلفه قدر خمسة أمتار .

كان رجل فقيرا : عنده زوجة ليس لهما عمل إلا جلب الحطب ، والاقتيات منه ، فكانا كل مساء يذهبان فيبيتان في السيح ، وفي الصباح يحتطبان و يبيعانه وهكذا دواليك .

وفي ذات ليلة وهما نائمان : رأى الرجل في النوم كأن حصاة كبيرة يخرج منها ماء من جميع جهاتها ، فمن مكان تخرج عين تجري ، ومن مكان قطرة آخر وشل .

ومن مكان قطرات متوالية ، ومن مكان قطرة بعد قطرة .

فسأل : ما هذه الحصاة ؟

قيل له : هذه أرزاق بنى آدم ، بعضها كثير ، و بعضها قليل ، و بعضها تقتير .

فقال : وأين رزقي أنا ؟

قالوا له : هذا المقتر ..

قال : أو سعه بإصبعى ، فضربه ضربة قوية ليوسعه ،

فأيقظه صراخ زوجته ، وعينها تسيل .

فقال : ما بك ؟

قالت : أنت ضربتنى في عيني ففقأتها .

قال : وسعت رزقي توسيعا كافيا :

كنت تساعدينني على الحطب ، والآن تعطلنا جميعا .

● ● ●

وكان رجل : كثير الأسفار ، لايكاد يستقر في بيته .

فجاء مرة من سفره قبيل الغروب ، فلما دخل بيته .

قالت له زوجه : نزيد لك في العشاء ، أو أنت على سفر .

● ● ●

قصة راعى الحـــــرف

لقى رجل سفيه : رجلا حليما فنخسه ، فأعطاه حرف ذهب ، وقال : ستأتيك من غيري .

ففرح هذا السفيه ، وأراد حرفا غيره ، فلقى رجلا آخر فنخسه ، فهشم أنفه ، فقالوا : **إن الذى أعطاه الحرف هو الذي هشم أنفه .**

● ● ●

ومثل هذه القصة : ما وقع للأحنف بن قيس حين سبه سفيه .

فسأله : لماذا تسبنى .؟

قال : ارتهنت بكذا ، لأن أسب سيد تميم . فقال الأحنف : لكنى لست سيدهم ، إنما سيدهم فلان .

فذهب هذا إليه : فلما سبه أمر بضربه أو قتله « الله أعلم » بصحيح الرواية : فقالوا : **قتله الأحنف .**

مات ميت في بهلا : فخرجوا به إلى المقبرة قبيل الغروب ، فأدركهم المطر ، فأدخلوا الجنازة في مسجد مهجور خارج البلد ، ورجعوا إلى بيوتهم ، حتى يخف المطر .

وصدفة : جاء رجل من بلاد سيت : فأدركه المطر ، ودخل في ذلك المسجد ، ولم ير الجنازة ، والظلام خيم على الأفق .

فبينما هو كذلك ، إذا بأهل الجنازة تراجعوا ليحملوه إلى قبره ، فقعدوا في الصرح ينتظرون الباقي منهم ، فأحس بهم هذا الغريب وظن أنهم جاؤا ليسحروه ، لأن أهل بهلا مشهورون أنهم سحره ، فبقى في وجل عظيم .

فلما اجتمع القوم قاموا ليدخلوا إلى الجنازة ، فصرخ هذا الغريب داخل المسجد ، وكسر الدريشة ، وخرج منها هاربا إلى بلاده يعلن فيهم : أن أهل بهلا هموا بأن يسحروه .

وهرب أهل الجنازة ، وقالوا : حيي الميت : ورجعوا الى البلد يقولون : إن الميت يصرخ ، حتى تحقق أمره في الصباح .

● ● ●

رجل توفيت زوجه : وتركت ابنا ، فصار أبوه يرعاه في جميع أوقاته لايفارقه ، وسماه : الحليو .

وتعب الوالد : يشتغل و يطبخ فقال الولد : تزوج ، تحمل بعض التعب عنك .

قال : أود ذلك ، ولكنى أخاف أن تؤذيك .

قال : لا تؤذيني .

فتزوج ، و بعد الليلة الأولى .

قالت الزوجة للأب : هذا الولد لايمكن أن يبيت معنا ، فإما أنا عندك ، أو هو؟

قال : ولدى صغير ، ولم يفارقنى منذ ولد ، فأين أتركه ؟

قالت : ألقه في السطح .

ولم يجد بدا ، فألقاه ، فصاح الولد وتضرع إلى أبيه : يا أبت .. يا أبت .

وأخيرا قال : يا أبت : أنا الحليو .

فأجابه : يا حليو : أجد أحلى منك .

● ● ●

قبض رجل حجري : على فأرة ، فقطع ضروسها ، وأطلقها وقال : في قتله راحة له ، ولا أحب أن أريحه .

● ● ●

وغيره : أكل سنور لحمته في بدية ، و بعد مدة جاء إلى مسقط فوجد سنورا فقتله ، فقيل له : لم قتلته ؟

قال : أكل لحمي .

قيل له : أكلها سنور في بدية ، وأنت الآن في مسقط .

قال : لانفخذ في السنانير : **معناه : أن الرجال يفخذ فيهم ، ولايؤخذ رجل بجريرة رجل .**

● ● ●

مر رجل في الطريق ليلا : وأمامه امرأتان تمشيان تتحدثان عن زوجيهما ولم تعلما أن أحدا يسمعهما .

فقالت واحدة : إن زوجها طيب الأخلاق ، حسن الرعاية ، لين الجانب ، إلا أنه إذا جاء لتلك الحاجة لايقضي لها وطرا .

فقالت الثانية : إن زوجها فظ غليظ جاف ، إلا أنه إذا جاء لتلك الحاجة ، الله يبارك عليه .

فقال الرجل من خلفهما : الله يبارك ، فاستحينا .

● ● ●

تزوج رجل امرأة : فسر بها كثيرا ، وكان موسم الحج على الأبواب ، فمن شدة سروره بها حدثته نفسه أنه ينتهز بركة الأراضي المقدسة فتركها ، ولم يمسها ، وعزم بها على الحج .

فلما كانت ليلة عرفة ، وهما محرمان ، افتضها تلك الليلة لأجل البركة .

وفي الصباح سمعا : أن الجماع في الإحرام يفسد الحج .

فسأل الرجل من أفتاه بفساد حجه .

وأن عليه الحج في قابل .

● ● ●

وقيل : إن رجلا مثريا ، وقفت به و بأصحابه الباخرة في ميناء البصرة .

فقال لأحد أصحابه : يقال إن العنب في هذا البلد رخيص فانزل فخذ لنا بر بيتين .

فأتى الرجل من البلد ، وعنده اثنان يحملان العنب .

فقال المشترى : قلت لك : خذ لنا بر بيتين . فما هذا الأمر العظيم .

قال الرجل : **لا تخف ، هذا كله بر بية واحدة .**

● ● ●

لما كان الإمـ عزان بن قيس : في حصن : المنترب : بدية . جاء رجل ليسلم عليه ، ولم يعرفه ، فتقدم إلى رجل ضخم ، فسلم عليه باسم الإمام .

فقيل له : ليس هو الإمام ، ودل عليه ، فرآه نحيفا .

فقال له : سامحني سيدي الإمام « طحت في جراب اللقاط » .[1]

فقال ذلك الرجل : « جراب اللقاط أبوك » **فضحك الإمام والحاضرون ..**

● ● ●

ومر رجل على الشيخ : علي بن أحمد الحبسي ، وهو خارج لصلاة المغرب فقربه للعشاء ، وقال لأهل بيته : قربوا له الأكل كله يأكل منه ما يشاء ، وسنأكل نحن الباقي .

وكان الأكل مصنوعا لسبعة ، ففعلوا فأكل الضيف ما قرب له كل من : أرز ، وإدام ، وتمر ، وماء ، وكبب الصحون ، فلما جاء علي بعد الصلاة ، قيل له في البيت : الآن نطبخ مرة أخرى ؛ لأن الضيف لم يبق شيئا .

وجاء الضيف ليودعه ، وكان اسمه : ولد مدية : ومدية أمه .

فسأله : كم ولد عند مدية ؟

فقال : ليس إلا هو .

فقلنا : **الحمد لله ، لو كان لها أكثر لأجحفتم بالناس .**

● ● ●

وجاءه ضيف شايب : فقربه وأجلسه بجنبه ، ولما جاءت القهوة ، قال الشيخ : بدوا الشايب ، وفي المرة الثانية كذلك .

---

(١) يعني باللقاط الفاسد من التمر يجعل في ظرف كبير لاطعام الحيوانات بخلاف التمر الطيب الذي يأكله الناس فانه يوضع في ظرف اصغر .

ثم قال **الشيخ علي** لبعض أصحابه : آتوني بنار ومجز ، أريد أسِمُ نفسي .

فلما جيء بالنار ، وجيء بالمجز ، قال : بدوا الشايب .

قال : لا أريد الوسم ، فلأى شيء تحرقني ؟

قال : من يتقدم في القهوة يتقدم في كل شيء .

فاستغاث الرجل وحلف أن لاينزل عليه مرة أخرى .

● ● ●

وأخبرني الشيخ الرقيشي : قال : كنا ليلة من ليالي الشتاء ، ونحن في مسجد من مساجد الجبل الأخضر ، ولم تغمض أعيننا من قوة البرد .

وقبيل الفجر ، مر نسوة تحت المسجد ، وهناك جابية جمد فيها الماء ، فتأخرت منهن واحدة ، وخلعت ثيابها ، وأخذت حجارة كبيرة رمتها في الجابية حتى فكتها ، ثم رمت نفسها ، واغتسلت .

ولما خرجت قالت : برد علي ، برّد الله عليه : **تدعو لزوجها شاكرة .**

● ● ●

وجاء لصوص : إلى رجل وزوجته ، ومعهما شاة ، فقعد اللصوص يتشاورون ، ماذا يصنعون ؟

واتفقوا على أن يقتلوا الرجل ، و يذبحوا الشاة ، **و ينكحوا** المرأة وهما يسمعان .

فقال الرجل لزوجته : تسمعين التآمر علينا ، فما رأيك ؟

قالت : نفوض أمرنا إلى الله .

قال لها : تفوضين : أنت تستفيدين ، وأنا والشاة فكيف نصنع ؟

• • •

لقى مسعود بن علي : صديقه سليمان بن سنان ، في بلد غير بلديهما .

فقال سليمان لمسعود : كأنك ما عرفتني .

قال : ما عرفتك .

قال : أنا صديقك : فلان بن فلان . قال : أعرفك جيدا ، لكني ماظننت أني ألقاك في هذا البلد .

• • •

قام رجل : يقرأ القرآن ، و يتعتع ، و يتردد ، فتبرمت زوجه من تلك القراءة ، وكان عندها شاة لا تفتأ من الثغاء .

فقامت المرأة وأخذت بعنق الشاة فجرتها الى القرب من زوجها ، وقالت لها : دارسيه فكلاكما سواء .

• • •

خادم للمساكرة : وضع رجل رمحه في رجله من دون أن يتعمد ذلك ولكن الخادم لم يتكلم ، حتى ثقب رجله .

فقيل له : لم لم تتكلم ؟

قال : خفت أن يقال « خادم المساكرة ذل » .

• • •

وسافر أناس : في سفينة ، فيها مابة حارثي ، ومسكري واحد ، ولشدة العداوة بينهما ، قام المسكرى إلى السفينة يخرقها .

فقيل له : ما هذا ؟ وستموت .

قال : لا بأس : ماية حارثي بمسكري .

●●●

وكان خادم : في مضيرب يخدم قهوة ، فلما ثارت : لم يجد مايردها به ، فردها بكفه فاحترقت وأكل الجلد الذي انفصل من كفه بسبب الاحتراق .

وهذا الخادم : كان يصب القهوة على الرجال ، وفيهم الإمام : سالم بن راشد وكان يمزح كثيرا فقال : أنا خادم الزينات : فنظر إليه الإمام نظرة بال منها ، حتى سال البول على أعقابه أمام الناس .

وكان هرما : ولكنه لم يتأخر عن زوجته .

فقيل له : أنت شايب ، وفيك صفة الشباب .

قال : **هذا لولب إن لم نحركه حلى .**

●●●

سأل مرة : رجل رواحي : أين خيلتم المطر ؟

قال : على المعاول ، على الخوض ، على علاية سمائل ، على وادي بنى رواحة ، وكان بجنبه رجل سيابي ، فقال السيابي : «بعيد الشر» إذا كان أمامكم هناوي فر بكم هناوي ؛ لأن الرواحي عدد بلدان الهناو ية ، ولم يذكر بلدان الغافرية ، كنخل ، و بلدان بنى جابر ، و بلدان السيابيين ، وسفالة سمائل ، وغيرها .

●●●

وجاء فاضل : رجل من المساكرة إلى حسين رجل ثري من الحرث ، يقول له : أريد قرض مائتي قرش ، لأ رمم برج المساكرة المطل على السفالة . حتى إذا صار شيء بين المساكرة والحرث . يكون البرج صالحا للاحتماء به

قال حسين : إذاً هذه هي قصة الرجل الذي يقول للمرأة : **أقرضيني قرشين أعطك إياها في مقابلة الاستمتاع بك .**

●●●

كنا في آخر يوم : من أيام منى ، وقد ارتحل جميع الحجاج من المخيم إلا مفتي البعثة الشيخ : سالم بن حمود ، ومن معنا ،فإذا برجل كلباني يهرول نحونا ، و يلتفت إلى ورائه و يقول : هذا الشيطان كاد أن يهلكني ، وما قدرت أن أرميه ، فأريد أن تأمروا من يرميه عني .

لكني أقول : إن السلطان فعل كل جميل للعمانيين ، و يسر لهم كل عسير ، لم لم يعمل لنا حجا في بلادنا فنستريح من هذا الزحام .

اطلبوا لنا منه ذلك .

●●●

كان رجل : يقال عنه : إنه لايستطيع إتيان النساء ، وهو عنده زوجة من خير نساء زمانها تقوى وصبرا .

وفي ذات يوم سقط لحافها وهي عند زوجها في خلوة .

فردته بسرعة وقالت : « الله بالستر ، سقط لحافي قدام محمد » . وكأنه لم ير منها شيئا ؛ **ولذلك رأت سفورها أمامه بدعة طلبت الله منها الستر .**

●●●

جاء رجل : عليه لحية طويلة شايبة ، فقام الشباب يضحكون عليه ، فاشتكى عند السيد شهاب بن فيصل في زمان محافظته على العاصمة .

فأرسل إلى الشباب فانتهرهم ، وتوعدهم إن عادوا مرة ثانية ــ وكان مهابا ــ ولما خرجوا من عنده قال للشايب : لا ألومهم في الضحك عليك . حوعليك . اخرج ، لا أراك .

●●●

ووجد شهاب : ذات يوم امرأة متزينة متعطرة تمشي في السوق فأمر بها فحلق رأسها وضربها .

وأمر زوجها أن يركض وراء سيارته من مطرح إلى مسقط .

وقال : **هذه عقوبتك هذه المرة .**

وإن خرجت زوجتك مرة أخرى سترى العقوبة الثانية .

●●●

واشتكت مرة عنده : امرأة من زوجها لا تريده .

فسألها : ما السبب ؟ وما الذي قصر فيه ؟

قالت : لا شيء ، لكنى لا أريده ، وأعزم له حقه .

قال لها : هات الغرامة .

فجاءت بها ، فقال للزوج : خذ هذا المال فاستعن به على حوائجك ، وخذها من يدها ، فإن عصتك فاضربها . وأبلغنى ،عنها أؤدبها لك . **فما فاهت بكلمة بعدها .**

ومنع أهل السيارات : إذا كانوا تحت بيته أن يزمروا . فكان يسمع بعض الأحيان تزميرا ، فسأل من هذا ؟ فقيل له : هذا فلان الانجليزي .

وهذا الانجليزي له مقام عند السلطان ، فكان مغترا بمقامه .

فقال شهاب : إذا رأيتموه قادما فأخبروني .

فوقف : وأنزله من سيارته ، وضر به قدر خمس ضر بات ، وكانت عنده زوجته ، فلما رأت زوجها يضرب ، بالت .

فقال لها : وأنت الكلبة مالقيت لبولك إلا هذا المكان .

وفي اليوم الثاني : أمر بهما فسفرا .

●●●

كان رجل يجبن : فإذا صار قتال هرب عنه واختبأ .

وذات مرة كان مختبئا في مكان خرب ، فإذا في المكان ثعبان ، فصار من الثعبان أخوف من القتال .

فبينما هو كذلك إذا بسهم غرب جاء من موضع القتال إلى ذلك الثعبان فقتله ، **فاتعظ الرجل وخرج يقاتل مع قومه .**

●●●

وكان رجل : سائرا في الليل والمطر نازل .

وكان لايرى الطريق إلا على ضوء البرق ، فمر في طريقه على مقبرة ، فسمع خرخشة في قبر .

فهم بالرجوع ، ثم عيرته نفسه ، فجاء الى القبر ، وقال : لابد أن أعرف هذه الخرخشة ، فخلع مصره من رأسه ، ولواها على يده ، وأدخلها في خشف في القبر ، فقبض على شيء لايعرفه ، وأخرجه : فإذا هي نعجة حصلانه في ذلك الخشف .

●●●

وآخر بالعكس منه : عنده رمح يهدد به أعداءه . وذات ليلة سمع صوتا أخافه ، ظنه الملغوثة ــ وهي الكلب الكلب ــ فرماها

بالرمح من بعيد ، وهرب . **فإذا الذى رماه عجلة تجر رسنها . فسمى راعى الرمح .**

كان شاب : يطالب أباه أن يأخذ له زوجتين في ليلة ، زاعما أن واحدة لا تكفيه .

فقال أبوه : جرب الآن واحدة ، ثم إن لم تكفك ، نزيدك الثانية في اليوم الثاني .

وقال الأب للعروس : ان زوجك يطلب أخرى ، فإن لم تقنعيه زدناه .

فما قصرت العروس ، قبضته سبعة أيام لم تفكه ، كلما جاء ليخرج منعته ، ولم يشتغلا بسوى ماهما بصدده .

و بعد السبعة الأيام قال لها : انه وجب علي زيارة لاخوالي فأود أن أزورهم .

قالت له : أنا معك .

قال : لا يمكن ..

قالت : إذا لا تبرح .

فلما أعيته الحيلة ، اصطحبها على مضض .

فجاء وقت الظهيرة إلى شجرة ، استراحا تحتها ، وهنالك أغنام ، والتيس لايسكت ، كل مرة على واحدة .

قال الرجل للتيس : لا عليك ، ستزور أخوالك ، كما زرتهم أنا .

قالت المرأة : أ لأجل هذا تزورهم ؟

إذا أرجع فلن أطلب منك شيئا . لكنك هل تريد زيادة امرأة ؟

قال : لا .. عشرين مرة .

فلذلك صار المثل : **فلان يزور أخواله : إذا كَلَّ من زوجته .**

●●●

وكنا مرة : في المدينة المنورة ، فوجدت هنالك امرأة من أهل صور ، فزارت العائلة في البيت الذي نزلنا فيه .

ومن شدة ما فرحت به من الاجتماع بهم أرادت أن تتقرب إليهم فقالت : أنا كثير أحب النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبا بكر ، وعمر ، وأظن هؤلاء الثلا ثة هناو ية .

فلنا لها : بم عرفت ذلك ؟

قالت لأن المناو ية خير من الغافرية ، فلذلك ما رضيت أن أنسبهم إلى الغافرية .

وليس ذلك مستقرا في نفسها ؛ إلا أنها أرادت التقرب منا ؛ لأننا في عرفهم هناو ية . فنصحتها عن ذلك بأن مثل هذا القول في مثل هؤلاء لايجوز .

●●●

وكنا مرة : في مكة المكرمة ، في سنة ١٣٧٦ هـ ، وكان آنذاك المسجد الحرام ملتصق بالسوق ، فجئنا عن طريق : باب إبراهيم : نمر بين الدكاكين ، فنادانا تاجر .

فقال لنا : لم تمرون علينا ، ولا تسلمون ؟

قلنا : نحن في السوق ، فعلى من نسلم ؟

قال : أما أنا ، فسلموا على ، وادخلوا عندى .

فأعجبتنا منه هذه اللفتة ، وقلنا : غريب مثله يوجد هنا . فدخلنا دكانه ، وجلسنا عنده .

وكان الماء أعز شيء حول المسجد الحرام ، وكنا في غاية من العطش فطلب هو ماء ليشرب ، ففرحنا نحن ، وقلنا : كأنه يعلم

أننا عطاشى ، فجيء بالماء ، فشرب ، وترك الباقي تحت ركبته ، ولم يلتفت إلينا ، فاستغربنا من سوء خلقه .

ثم أخذ يحدثنا عن أولاده ، وأين يعملون ؟

وقال : إن لأحدهم ولدا يشبهني في كل شيء ، حتى إذا ضرط يرفع رجله ، فما عرفنا : أنضحك فيسنا ، أم ماذا ؟

فخرجنا عنه ، ولم نودعه ، ولم نعد نأتي من تلك الطريق .

●●●

ووقفنا : على تاجر آخر ، لنشترى منه بعض الاشياء .

فقلنا : لا تزد علينا في الثمن .

قال : إذا لم أستغلكم أنتم ، فمن أستغل : مكيا مثلي ؟

(أنتم الزرع والضرع) .

●●●

وفي مكة أيضا : حلف رجل بطلاق زوجه : أن لايفطر على مامسته النار ، ولا على ما لم تمسه

وكان في عصر يوم من أيام رمضان ، فقرب الفطور ، وعيل صبره .

فسأل أهل العلم . قالوا : إن أفطرت : طلقت زوجك إلا واحدا من أهل العلم قال له : افطر عليها ، أي على زوجك ، فإنها ليس من النوع الذي حلفت عليه .

ووقف : أثنان فوق العقبة ، بين مكة وملاوى .

فمرت عليهما بنت كاعب ، فقالا لها : أمتزوجة أنت ؟

قالت : « أنتم في قلوبكم مرض » .

●●●

مر رجل : هو وزوجته في طريق ، فاعترضهما رجل آخر يقود شاة .

فقال لزوج المرأة : اقبض هذه الشاة ، وأخذ بيد المرأة إلى وراء شجرة ، قضى حاجته منها ، ثم جاء إلى شاته فأخذها .

فقالت المرأة لزوجها : ما هذا الذى فعلته ؟

كيف تركته يتصرف هذا التصرف ، وأنت راض .

قال لها : اسكتى « قرصت شاته حتى صاحت » .

●●●

وأخرى قالت لصويحباتها : تستطيع أن يقرب منها خليلها ، وحليلها ينظر ، ولا ينكر .

وقالت لزوجها : اطلع . اخرف لنا من هذه النخلة .

فلما طلع : قربت منها خليلها .

فرآه الزوج ، فصاح عليها : من ذاك عندك ؟

قالت : من ترى .

قال : أرى رجـــلا .

قالت : لايهمك ، كل من كان فوق يرى من تحته اثنين .

فنزل ، وتواري الخليل .

فقالت المرأة : ان كنت لا تصدق ، فأنا أطلع .

فطلعتْ ، فلما كانت فوق النخلة ، نادته : من عندك ؟

أرى امرأة عندك .

قال الزوج : إذن ماتقولين حق : إن من كان «فوق» يرى من تحته اثنين .

فطلع مرة أخرى ، وجاء الخليل ، الى المرأة ، فقضى

حاجته منها ، والرجل ينظر ، ولا ينكر ، معتمدا على المرأى : رآه ، ورأته زوجته .

●●●

وكان رجل : من الغرب يأتي كل سنة يزور في عمان ، فإذا أراد الرحيل وركب ناقته ، أثر كلمة ينبزبها أهل عمان

وفي آخر زيارة له : لما ركب ضرطت ناقته ، فقال : « في وجه من يواكل حرمته » .

فقال أحد الحاضرين : « في وجه من شافها » .

فيقال : أنه مارجع بعدها ، أوما قال بعدها شيئا .

●●●

وهذه بقية جاهلية مع العرب : خلافا للسنة ، إذ كانوا يعيبون على من يأكل عند زوجته ، أوحتى يراها حين تأكل .

فرحم الله الصديقة بنت الصديق إذ تقول :

كنت أشرب أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم بالقدح فيجعل فاه على موضع فيّ ، فيشرب وأنا حائض ، وأتعرق العرق وأنا حائض ، ثم أنا وله النبي صلى الله عليه وسلم فيضع فاه على موضع في » .

يقول شارح المسند : رضوان الله عليه : هذا من غاية مخالفته لليهود بغضا ، ومن نهاية موافقته لها حبا ، وفيه إشارة إلى كمال تواضعه ، وطيب نفسه صلى الله عليه وسلم .

●●●

من أغرب الصـــدف

أن أناساً ركبوا البحر: ليصطادوا ، فلما كانوا في مزاولة عملهم : إذا بسمكة صغيرة قفزت من البحر ، فضربت واحدا منهم في رقبته ، فذبحته كما تذبح الغنمة فمات من حينه .

• • •

وغيرهم كانوا يغوصون: لطلب اللؤلؤ في الخليج ، وواحد منهم أحس بوعكة فتأخر عن أصحابه .

وفي الضحى قام يصنع طعاما لأصحابه ، حتى إذا جاؤا وجدوا الأكل جاهزا :

فقطع السمك ، ووضعه في النار ، ودخل البحر ليغتسل ، والسكين التي قطع بها السمك في يده ليغسلها .

فعندما دخل البحر إذا بسمكة عظيمة تستقبله فاغرة فاها ، فدخل في جوفها منجرفا كما يدخل الماء والسمك الصغير .

ولما أن أراد الله له الحياة ، أهمه أن يقطع أمعاءها بتلك السكين حتى ماتت .

وجاء أصحابه ، فافتقدوه ، ووجدوا ثيابه والطعام الذي قام بتصليحه ، فالتمسوه حتى أيسوا منه .

وبعد ثلاثة أيام ، وكانوا على الساحل رأوا هذه السمكة العظيمة طافية تلعب بها الأمواج ، فحاولوا القبض عليها وأخرجوها وأحضروا السكاكين لتقطيعها .

فقال واحد منهم : أترون هذه السمكة : صاحبكم في بطنها ، لتظهر قدرة الله على أمره ، فشقوها برفق وإذا بصاحبهم يخرج ، وليس عليه جلد لحمة ترجرج لا تتحرك ، ولكن فيه

نفس ، فستروه ، وحملوه الى المستشفى .

و بعد أيام دبت الحياة فيه .

و بعد أشهر عاد الى الحياة كما كان ، وأخبر بكل ماجرى له .

وعاش بعدها سنين خرج من صلبه أولاد ، أخبرني بذلك من رآه وحدثه .

• • •

وغيرهم كانوا راكبين في سفينة في الخليج ليلا : فسقط واحد منهم في البحر ، فنزل البحارة ، وغاصوا ليخرجوه .

و بالفعل قبضوا على رجل ، وأخرجوه ووضعوا عليه اللحف ليدفأ ، والسفينة تجري .

و بعد وقت طويل تنبه .

فإذا هو غير صاحبهم ، قالوا : سبحان الله .. من أنت ؟

قال : أنا فلان ، من المكان الفلاني ، سقطت من السفينة الفلانية ، فأخرجتموني ، جزاكم الله خيرا ، وكنت أظنكم أصحابي ، فانظروا الى حكمة الله . سقط هذا ، ليكون فداء لذاك .

• • •

كان رجل حبسي لا يصلي : فلما قيل له : لم لم تصل ؟ من لم يصل يدخل النار .

قال : كم للنار ، لو لم يكن أحد غير أهل جعلان لكفاها : لم يعرف المسكين ذلك اليوم الصين والهند وغيرهما .

• • •

وكان رجل بلوشي : يسكن مضيرب ، فاعتنق المذهب

الإباضي ، فقال له جماعته : تركت مذهبك ، الإباضية لايدخلون الجنة .

فقال : إذاً محمد بن عبدالله الخليلي ، وعيسى بن صالح الحارثي لايدخلان الجنة .

قالوا : لا .

قال : جنة لا يدخلها هذان ، وتدخلونها أنتم ، لا تغتسلون حتى من البول . أنا عاذر منها .

سأكون حيث يكون هذان وأمثالهما .

• • •

كان رجل حجري له حاجة عند الإمام : فكلما جاءه وجد عنده رجلا عليه لحية طويلة ، منشطرة شطرين ، فعيل صبره .

فقال للإمام : أيها الإمام لنا فيك حاجة ، وكلما جئناك وجدنا شابوص ها العجرب عندك :

« يعنى العقرب وشابوصها : أرجلها :

وفي القاموس :

الشبص تداخل شوك الشجر .

• • •

وآخر حبسى : له حاجة كذلك : عند السلطان فيصل وكلما جاء وجد عنده رجلا يصفر لحيته ، فعيل صبره كذلك .

فقال : سيدنا لنا حاجة ، وكلما جئنا عندك : وجدنا يبة ها الشوران محتوية عليك .

« الجبة وعاء يجنى فيه الشوران ، والشوران : زهره طيب الرائحة ، يستعمل للعطر .

وفي القاموس : الشوران : العصفر .

●●●

وحكى بعض الإخوان ، قال : مات رجل غنى ، وترك يتيما ، فنما مال هذا اليتيم حتى صار ملايين ، وشب اليتيم واستحق ماله ، ولكن خيف عليه أذا أخبر أن يصاب .

فقالوا : من يخبره بهدوء !

فقال طبيب : أنا أقنعه بحكمتى .

وذهب إليه ، فأطال الحديث عنده .

حتى إذا ما أنس به قال له : أرأيت إنْ بشّرتك بمال ، يظهر لك ما تعطينى ؟

قال اليتيم : أعطك النصف .

قال الطبيب وشهق : النصف !

وخرجت روحه من الفرح .

●●●

يتداول مثل فيقال : « طيحة من فحل ، ولا طيحة من نشو » .

معناه : سقوط من ذكر النخل ، ولا سقوط من هجين أنثاه :

وعلى هذا : فقد سقط رجل من نشو ، فتكسر ، لكنه تحامل على نفسه فأجبرها ، حتى رقد تحت فحل هنالك ، لكي يقال : إنه سقط من الفحل لا من النشو .

●●●

ومثله ما يحكى عن : محمد بن ناصر الجبري : أنه جاء إلى وادي بني رواحة وقت المبيت ، فسأل عن البلد التي أرادوا النزول بها .

فقيل له : تسمى : و بال .

فقال : لا تنزلوها .

ثم جاؤا إلى بلد أخرى تسمى : وصاد .

فأمر بالنزول ، فقيل له : لم ذلك ؟

فقال : لئلا يقال : بات و بال : الأفضل أن يقال : بات وصاد .

• • •

أخبرني الشيخ هاشم بن عيسى الطائي ، قال : كان قاضيا في بركا في زمن السلطان سعيد بن تيمور .

وكان الوالي فيها : سيء الخُلُق كبير النفس .

يقول الشيخ هاشم :

وكان جبارا عنيدا ، يضرب الناس و يقتلهم و يغرمهم بأدنى سبب .

وكان يضرب رجلا يوما ، والرجل يستغيث بالمسلمين ، فذهبت لأغيثه .

فلما رآني الوالى : أشرف عليّ من السطح .

قال : ما تريد ؟

قلت : أشفع لهذا المستغيث .

قال : كنت نو يت أن أرفع عنه السوط ، ولكنى الآن أقتله لما جئت أنت .

فقتله .

قال : وكان ينكر البعث .

فسألني يوما : أأنت ممن يقول بالبعث ؟

قلت : نعم وأومن به .

قال بلهجته البذئية : « هذا رأيكن المطيوعيات : من مات صالحا جعلت طينته في جحلة يترك فيها الماء ، ومن مات فاجرا جعلت طينته في برمة يطبخ فيها .

قال الشيخ : فقلت : إن الصَّرُّوخ أقرب دليل على البعث ، وهو أنه يموت في الشتاء و يُبعث في الصيف .

قال : إن كان حقا : فجئني بصرّوخ .

قلت : لا أعرفَ أين هو.

قال : إذن لا أصدق .

قال الشيخ : سيحاسبك غيري .

« زعم آلذين كفروٓا أن لن يبعثواْ قل بلٰى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير » (٧) .

(سورة التغابن)

وبعد ذلك : عزل عن الولاية ، فضاق عليه الحال. ، فصار يبيع مدخراته :

ومن جملتها : كتاب اللباب . في ثلاثة أجزاء .

فنودى عليه في السوق .

فاستوجبه السيد : **احمد بن إبراهيم .**

ولما علم رده ، وأحرقه بالنار

فأصبح في اليوم الثاني : يصيح :

أطفئوا منى النار .

أطفئوا منى النار .

وكأن جسده يشتعل نارا .

و يهراق عليه الماء .

ولا يطفئهـــا .

حتى وصل الماء البحر .

وأصبح في اليوم الثاني أعمى ، ومات .

في اليوم الثالث أو الرابع .

• • •

وسمعت الشيخ الأغبري يقول :

ان رجلا ظلمه رجل أموالا، فأدى الحال الى اليمين فحلف الظالم يمينا بالله عند القاضي أنه ليس عليه حق لغريمه ، وقبل أن يفارق مجلسه التصقت يمينه بصدره ولم يقدر على نزعها فخوف بالله أن هذه عقوبة اليمين فأصر قائلا انه لا يخلف أولاده فقراء وان غريمه أخذ حقه باليمين فما زالت يده تنخر صدره حتى خشفته فمات .

أجرأ من سمعت عنه

رجل من أعيان أهل عمان كان كثير الجرأة على المعاصي فخوف النار فقال الأفضل اذا أتيت يوم القيامة أن يكون عن يميني سبعون وعن شمالي سبعون فيقال من هذا فيقول الملائكة هذا فلان بن فلان يقال الى النار لا يؤتى أخطر مثل الحمامة الى الجنه .

هذه جراءة أو جهل عميق .. نعوذ بالله من الشقاء .

من النوادر

عاش رجل شهومي يسكن الهجر من الظاهرة .

أدركته أمامة الإمام ناصر بن مرشد اليعربي ١٠٢٤ هـ .

وأدركتـه إمامة الإمام محمد بن عبدالله الخليلي ١٣٣٨ هـ . ومات في الخمسينات .

ويقال : انه لم يفقد شيئا من عقله وبصره وسمعه ، وأن لحيته تبيض وتسود ، وتسود وتبيض مرتين أو ثلاثا .

● ● ●

ورجل حبشي من أهل الرستاق . لايشرب إلا في السنة مرة في عز الصيف . وقد ناف عمره على الثمانين .

● ● ●

وآخر خروصي ، من أهل ضيان . لايشرب أبدا ، ولم يعهد عنه أنه شرب في عمره الذي ناف على السبعين سنة .

ويقال : أن أهله أرغموه مرة . وقبضوه . وسقوه بالقوة . وبعد ما استقر الماء في بطنه قاءه .

فسبحان من له الخلق والأمر ..

بسم الله الرحمن الرحيم

اطلعت على شعر من هذا النوع للإخوة :

سيف بن سالم اللمكي
وأحمد بن مالك المعولي

فأحببت مجاراتهم في ذلك ، فقلت :

إني اطلعت على نظم به سبق ... الإخوان في ذكر ألقاب الأولى شهروا
من القبائل حسب العرف بينهم ... لكنهم غفلوا بعضا فما ذكروا
فقمت أقفوا خطاهم بالتطفل في ... ذكر الذين بقوا والله يغتفر

وليس هذا ببدع بل له سلف ... جاءت إلينا به الأخبار والسير
كما حكى ذاك جار في ممازحة ... بين ابن صخر وبين الأحنف الأثر

فما هو: الشيء قد لف البجاد: به

قال: السخينة: رد حازم ذكر

بنو تميم: وقد لف البجاد لهم ... إبر الحمار فما هانوا وما صغروا
سخينة لقريش المجد قاطبة ... لايستهان بهم فالسادة الغرر
وهيبة العز والبأس الشديد لهم ... من الحمار يقال: (الحافر) الوعر
لآل حبس عموما: (صخبر) فإذا ... قسمتهم فلكل منهم خبر
أولاد محرز لايحزنكم لقب ... بـ (عومة) قيل فيكم فهو معتبر
إن الشروج إذا ما أخصبوا حزنوا ... لأن (شرجنهم) سالت وما شعروا
وللمحاريق (صخام) واخوتهم ... رواشد (فرباب) قبل إن حضروا
أما الرجال بنو نعمان ان لهم ... (نعيمة) ألصقت فيهم فلا وزر
وآل بطاش الغر الكرام لهم ... (عرسية) فإذا نودوا بها ابتدروا
بنو وهيب وهم أهل الغنى فلهم ... ذاك (الخصين) لهدم الفقر يعتبر
للهادين: (خشاش) في اصطلاحهم ... مع الجوار أولو بأس إذا ذعروا
هذي الجوابر من غير الحبوس لهم ... من الجوارح (نسر) كاسر أشر
واذهب إلى (كندة) بحر العلوم فقل ... إن النبي يحب (القرع) فافتخروا
لآل حجر: (حصيني) يسوءهمُ ... وعند رؤيته يعروهم ضجر

• • •

وللسوالك ذباك (الحمار) أتى ... (والديك) للدوكة البدو الذين طروا
وانْ ذهبت إلى جعلان مختبرا ... فابدأ بكاملها افشم الالى بدروا
(سنورة حنَبت) في الحي يلعبها ... صبيانهم فهي في أيديهم وبر
قوم الشهيد ابن وهب راسب فلهم ... كرامة (الثفنات) البيض تزدهر
وإن تجاوزتهم مع ال بوحسن ... شم الأنوف فقل (فاروة) تفر
وبو علي أسود الغاب إن لهم ... شيئا من (الصرب) لم يعلق به وضر
فر البرودة مع طيب الأرومة قد ... حاز الجنيبي ماضيهم ومن غبروا

نـظـــت هــذا وعلى مـا اسـأت إلى
قـبـيـلـة قـال فـيـهـا الـبـدو والحضر
وإنمـا الـقـصـد مـن هـذا النظام على
هــذا الــنــظــام مجـاراة ومــزدهــر

●

●

وقـائـل الـنـظـم مـن أهـل المـضـيـرب مَـن
عـنـاهـم « العـلـص والجـرجـور والـعـفـر»
والله يـرحـم مـن قـال الـصـواب ومن
عـاب المـعـاب وخير الـنـاس مـن غـفـروا

●

●

والحمد لله رب العالمين